في القتال وقد تعب من في القلعة وجاءهم مالا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم ولما فرغ من القلعة أمر أن يكتب له رؤساء البلد ومعلوا ذلك فلما عرضت أسماؤهم عليه أمر باحضارهم فحضروا فقال أريد منكم الأموال التي باعكم خوارزم شاه التي كانت مع التجار الذين قتلهم خوارزم شاه في أول ابتداء الامر كما تقدم ذكرهم وقال لهم اهالي ومن أصحابي أخذت وهي عندكم فأحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من أموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين الذين أخرجهم من البلد فأمر أصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء أيضا وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس وارتكبوا من النساء الامر العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيأ مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ومن استسلم أخذ أسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب لطلب المال

﴿ذكر مسير جنكزخان الى سمرقند﴾

لما انقضى أمر بخارى ارتحل جنكزخان وجنوده نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عن مقابلتهم وكان هو بمكان بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عساكر مقاتلة وأحاطوا بسمرقند وفيه خمسون ألف مقاتل من الخوارزمية وأما عامة أهل البلد

ولايعصرن كبر فخرج اليهم سحمان أهله وأهل القو والمدبر حاله ولم يخرج
ام ن العسكر الخوارزمي احد لك فلو ام ن حوف هولا الملاعين دماءهم
الرحاله بظاهر البلد فلم يزل النهر مأخروب وأسل البلد سعوه و يطمعون ثم
وكان الكفار قد كمنوا لهم كمنا فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم حالوا بينهم
و بين البلد ورجع الباقون الذين أنسوا المال أولاد وا في الوسط واحدهم
السيف ن كل جانب لم يسلم منهم أحد وقتلوا عن آخرهم شهدا رضي الله عنهم
وكانوا ستين ألفا فلما رأى الباقون ن الجند والعامه ذلك ضعفت نفوسهم
وأيقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكا نحن من جنسهم ولا ولا يقتلونا
فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا أبواب البلد ولم يقدر العامه على منعهم
وخرجوا الى الكفار باهلهم وأموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا لنا سلاحكم
وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما أخذوا أسلحتهم
ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا أموالهم ودوابهم
ونسائهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج اهله جميعهم ومن تأخر
قتلوه فخرج جميع الرجال والنسا والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل ما فعلوا
مع أهل بخارى ن النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه
وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس
بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا ن لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة
سبع عشرة وستمائه وكان خوارزمشاه بمدينة كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى
سمرقند فيرجعون ولا يقدرون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان ، سير
مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير مرة عشرين ألفا فعادوا أيضا

﴿ذكر مسير التتر الى خوارزمشاه وانهزامه وموته﴾

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين ألف فارس وقال
لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وأخذوه وهذه
الطائفة تسميها التتر المغربة بتشديد الراء المكسورة لانها سارت نحو غرب

وكان مصورا على الصحب وادمان السهر عسر سمع ولا معمل على الآداب اعتامه في الملك وبدنه وحفظه وحفظ رسالا وكان محبا لاهل الدين ملازما لعلمهم متبركا بهم ومبانيه رحمه الله كثير وكان قد انسعت مملكته من جهة العراق الى تركستان وملك بلاد سرية وبعض الهند

﴿ ذكر استيلاء التتر على مازندران ﴾

لما أيس التتر من ادراك خوارزم شاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة في قديم الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا البلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى أقاصي خراسان بقيت أعمال مازندران يؤدون اليهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى أن ملكت أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهولاء الملاعين ملكوها صفوا سهوا لامر يريد الله تعالى ولما ملكوا بلاد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه ومعهم أموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك أن والدة خوارزم شاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى أصفهان وهمذان وبلاد الجبل تمتنع بها فصادفوها في الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الري فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع والنفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكز خان بسمرقند

﴿ ذكر وصول التتر الى الري وهمذان ﴾

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الري في طلب خوارزم شاه محمد لانهم بلغهم أنه مضى نحو الري فجدوا السير في أثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك أيضا من المفسدين الذين يريدون النهب والشر فوصلوا الى الري على حين غفلة من أهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا

الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلاد الجبل وأذربيجان
وقاتلوا الكرج وهزموهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا
من بلادهم في أقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا
مثل دمياط وأقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها
وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ومن أعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمد قد عدم ولم
يعرفوا حقيقة خبره وتارة يقال مات عند همذان وأخفي موته وتارة يقال انه دخل
أطراف بلاد فارس ومات هناك وأخفي موته وهذا أمر عظيم حيث أصبح مثل
خراسان وعراق العجم وغيرهما سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو
يجوس البلاد يأخذ ما أراد ويترك ما أراد على أنهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها
كل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم أحرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا
ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعة

﴿ ذكر ملك التتر مراغة ﴾

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغة من أذربيجان * وسبب
ذلك انا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك
السنة وهم في بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية
الكرج لانهم رأوا ان بين أيديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصدام
فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة فرأوا عندها امتناعا عدلوا عنها
ووصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة
مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهي
مقيمة بقلعة رويين دز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم
امرأة فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت
عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون
ويقاتلون فان عادوا قتلوا فكانوا يقاتلون كرها وكانوا كما قيل

كالاسمر ان سـدم بعر وان بأحر بعـمر وكان المر يقاتلون ورا المسلمين

فيكون القتل أولا في المسلمين الاسارى وهم يعو مه فاقا وا على المدينة عده

أيام ثم ملكوها سوه ونهبوا رابع صفر ووضعوا السيف في أهلها فقتل منها ما

يخرج عن الحد والاحصا ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم أحرقوه واختفى

بعض الناس عنهم وكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان

المر قد رحلوا فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيوخذ ويقتل قال ابن الاثير -

وبلغني أن امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلا

فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل أخذته أسيرا قال وسمعت من بعض

أهل مراغه أن رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدا

واحدا حتى أفناهم ولم يمد أحد منهم يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا

يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا من مراغه

فاهدن نحو مدينة اربل قال ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتى ان

بعض الناس هم بالجلا خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل

الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جماعة صالحة من

عسكره وأراد أن يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا

يعبرها أحد فانها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر ان يعبرها الا الفارس

بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة الناصر ورسله الى

الموصل والى مظفر الدين أمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بدقوقا ليمنعوا

التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون

العراق وسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل

وتبعهم من المطوعة كثير وأرسل الخليفة أيضا للملك الاشرف يأمره بالحضور

بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك الا ... الم

ان الملك العادل وصل من دمشق الى أخيه الاشرف يستنجد على الفرنج الذين

بمصر وطلب منه أن يحضر بنفسه ليسير وا كلهم الى مصر يستنجد واو ... من

المرض فاعتذر الملك الاشرف الى الخليفة بأخيه وقوة المرض وان لم يتداركها
خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر ففعل ذلك
واستنقذ دمياط كما ذكرناه فيما سبق فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا
سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو أكبر أمير بالعراق ومعه غيره من الامراء في
نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على
الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفر الدين
قال لما أرسل الى الخليفة في معنى قصد التتر قلت له إن العدو قوى وليس لى من
من العسكر ما ألقاه به فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من
البلاد فأمرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير
عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواش فأقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين ولما سمع
التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم أن العسكر يتبعهم فلما لم
يروا أحدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامي عند دقوقا فلما لم يروا أن التتر
يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها

وهمذان بفتح الميم وبالذال المعجمة بعدها ألف ونون اسم مدينة بناها همذان بن
الفلوج بن سام بن نوح وأما همدان بسكون الميم وبالدال المهملة بعدها ألف ونون
فاسم قبيلة باليمن لما تفرق العسكر الاسلامي عاد التتر الى همذان ونزلوا بالقرب منها
وكان لهم بها شحنة أي حاكم يحكم فيها فأرسلوا اليه يأمرونه ليطلب من أهلها مالا
وثيابا وكانوا قد استنفدوا أموالهم في طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا
وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذي يسعى في أمور أهل البلد من التتر
ويوصل اليهم ما يجمعه من الأموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد أهل همذان
ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام في اجتماع الكلمة
على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد أفنوا أموالنا ولم يبق لنا
ما نعطيهم وقد هلكنا من أخذهم أموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان

الكفار أشار عليه بمكاتبة الخليفة ليمد اليهم عسكرا مع أمير يجمع كلهم فاتفقوا
على ذلك وكتب الى الخليفة يشكو اليه ما هم عليه من الخوف والذل وما يركبهم به
العدو من الصغار والخزي ويطلب نجدة ولو ألف فارس مع أمير يقاتلون معه
ويحتمون عليه فلما سار القصاد بالكتب أرسل بعض من علم بالحال الى التتر
يعلمهم ذلك فأرسلوا الى الطريق فأخذوهم وأخذوا الكتب منهم ثم أرسلوا الى
الرئيس ينكرون عليه الحال فجحده فأرسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في
أيديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى القتال كما ذكرنا الى أن ملكوهم

﴿ ذكر مسير التتر الى أذربيجان وملكهم أردويل وغيرها ﴾

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها
وقتلوا فيها فأكثروا القتل وخربوا أكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام
بأمرها شمس الدين الطغرائي وجمع كلمة أهلها وقد فارقها صاحبها أوزبك بن
البهلوان وكان أميرا منخلعا لا يزال منهمكا في الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر
والشهرين لا يظهر واذا سمع صيحة طار مجفلا الا وله جميع أذربيجان واران وهو
أعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها يقصدها فلما سمع بمسير التتر من
همذان فارق تبريز وقصد نقجوان وسير أهله ونساءه الى خوي ليبعدهم
فقام هذا الطغرائي بأمر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع
وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قاربه التتر
وسمعوا بما أهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة
وأصلحوا السور والخندق أرسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم
على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فأخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها
وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من
البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها فلما وصلوا الى بيلقان
حصروها فاستدعى أهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا
من أكابرهم ومقدميهم فقتله أهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا

البلد عنو في شهر صفر سنة عشر وستمائة وصنعوا الى ان لم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها اسقطوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي أم بلاد اران فعلموا بكثرة أهلها وشجاعتهم لكثرة ندريبهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فأرسلوا الى أهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

﴿ ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج ﴾

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال أيضا وكان الكرج قد أعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كبيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فأخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد قال ابن الاثير ولقد بلغني أنهم قتل منهم نحو ثلاثين ألفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جمعا آخر وسيرهم الى التتر ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فأخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يقدموا على الوغول فيها فعادوا منها وداخل الكرج منهم خوف عظيم قال ابن الاثير حتى سمعت عن بعض أكابر الكرج وكان قدم رسولا أنه قال من حدثكم ان التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم أنهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون أبدا ولقد أخذنا أسيرا منهم فألقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر الى أن مات ولم يسلم نفسه للاسر

﴿ ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه ﴾

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي

وقاتلوا أهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل انه جمعوا كثيرا من الجبال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتل الناس منهم وممن قتل من غيرهم وألقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها فصبروا تلك الليلة فأنبتت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فاعادوا الزحف وملازمة القتال فضجر أهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فاما فرغوا منه أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فأرسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا يسعى بينهم فى الصلح فأرسل عشرة رجال من أعيان أصحابه فأخذوا أحدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامن وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو أسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوا الدربند وراء ظهورهم

﴿ ذكر مافعلوه باللان وقفجاق ﴾

لما عبر التتر دربند شروان ساروا فى تلك الاعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار وأوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم أمم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فأرسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وأنتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ماشئتم وتتركوا بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد

والروس هزيمة عظيمة بعد أن أثخن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على أقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرها فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام في عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الا أن الناس نجوا وكانت العادة جارية أن السلطان له المركب الذي ينكسر فأخذ من ذلك شيأ كثيرا وسلم باقي المراكب وأخبر من بها هذه الحال

﴿ ذكر عود التتر من بلاد قفجاق والروس الى ملكهم ﴾

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار أواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى أن جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت أرض قفجاق منهم فعاد من سلم من قفجاق الى بلادهم وكان الطريق منقطعا منذ دخلها التتر فلم يصل منهم شيء من البرطاس والسنجاب والقندز وغيرها مما يحمل الى تلك البلاد فلما فارقها التتر وعاد القفجاق اليها اتصل الطريق وحملت الامتعة كما كانت هذه أخبار التتر المغربة ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

﴿ ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند ﴾

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التي سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه وأما جنكزخان فانه بعد أن سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه وبعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم أصحابه عدة أقسام سير قسما منها الى بلاد فرغانه ليملكوها وسير قسما آخر الى ترمذ وسير قسما آخر منها الى كلابه وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من أحصن القلاع وأمنع الحصون

فسارت كل طائفة الى الجهة التي أمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت بالقتل والاسر والسبي والنهب والتخريب وأنواع الفساد مثل ما فعل أصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا آخر فعبروا جيحون الى خراسان

﴿ ذكر ملك التتر خراسان ﴾

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الامان فأمنوهم فسلم البلد وكان ذلك سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وفارياب فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى أهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لا يرام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون فحاصروها ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشيء فأرسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة ما فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وعبر جيحون بجموعه اليهم وحصرها وبه خلق كثير من المسلمين أسرى فأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه وأقام عليها أربعة أشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر أن يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب ولم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازي القلعة فاحتمى من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب ونجوا وأما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع أهل البلاد الذين أعطاهم الامان ببلخ وسيرهم مع بعض أولاده الى مدينة مرو فوصلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتي ألف رجل وهم

يسيلرون بطاذرمرو وهم عازمون على لقاء لتتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا وصبر المسلمون وأما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم أسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم وأسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت أموالهم وسلاحهم ودوابهم وأرسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال وكان أهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتر الى الامير الذي بها مقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك وأهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك أمير هذه البلد ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فأمنوهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له أريد أن تعرض على أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه وأعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما حضر واعتمده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى أميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال اكتبوا الى تجار البلد ورؤسائه وأرباب الاموال في جريدة واكتبوا الى أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما أمرهم فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهلهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه أحد فجلس على كرسي من ذهب وأمر أن يحضر أولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت أعناقهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون وأما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل وأخذوا أرباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الاموال فربما مات أحدهم من شدة الضرب ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه ثم انهم أحرقوا البلد وأحرقوا تربة السلطان سنجر السلجوقي ونبشوا القبور طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل

أهل البلد كافة وقال هولا عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وأمر بإحراقها القتلى فكانوا يحصونهم بألف قتيل فيهم العلماء والصلحاء والزهاد والعباد كما كان مثل ذلك من الديار المعر بعضها أحسن من البلاد كاشد فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين وسبحان من بيده ملكه كيف يشا ولا يسئل عما يفعل ثم ساروا الى نسا فحصروها وحصروها أيام وهاجم صالح بن العسكر الاسلامي ولم يكن لهم بالمرو فملكوا المدينة وأخرجوا أهلها الى الصحرا فقتلوهم ونهبوا أموالهم وعادوا من انهم قال كما فعلوا بمرو وأما ما بجهة عسر يوما يخرجون ويقصدون المنازل على الأموال وكانوا انما فعلوا أهل مرو وقتل لهم ان قتلاهم سلم لهم كثر ملكوهم لم يعملوا قتلهم حتى رهن أرواحهم وان كثرا منهم خرجوا الى بلاد الاسلام فأمروا أهل نسا بورأن يقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل أحد فعملوا ذلك فلما فرغوا من ذلك سيروا طايفة منهم الى طوس فعملوا كذلك أيضا وخربوها وخربوا المشهد الذي فيه علي الرضا بن موسى الكاظم والذي فيه هارون الرشيد وجعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهي من أحصن البلاد فحصروها عشرة أيام ثم ملكوها وأمنوا أهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عندهم من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزم شاه لانه كان ملكا ذلك القطر فقاتلهم وهزمهم كما سنذكره فلما سمع بذلك أهل هراة وثبوا على الشحنة فقتلوه فلما عاد المهزومون الى هراة جمعوا عسكرا هم مستعدا من جنكزخان فانضموا اليهم ودخلوا هراة قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها وأحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى بلاد خراسان فعملوا بخراسان مثل ما فعلوا في غيرها ولم يسلم من شرهم وفسادهم شي من البلاد وكان جميع ما فعلوا بخراسان سنة سبع عشر وستمائة

ذكر ملكهم خوارزم وخرابها

وأما الطائفة من التتر التي سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت أكبر

السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كثير من المسلمين وأهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم أشد القتال ودام الحصر لهم خمسة أشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا أن القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين كان يحميهم السور فأرسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوه فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليها فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ثم انهم فتحوا السد الذي كان يمنع ماء جيحون عن البلد فدخل الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء كالبحر ولم يسلم من أهله أحد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فيظنون أنه مقتول فينجو وأما أهل خوارزم فمن اختفى منهم من التتر غرقه الماء أو قتله الهدم فأصبحت خرابا يبابا

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام وأهله فكم من قتيل من أهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرين ومضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

﴿ ذكر تجهيز جنكزخان الجيوش الى غزنة لقتال
جلال الدين بن خوارزم شاه ﴾

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من عسكر أبيه نحو

سبعين ألفا وذلك غير من كانوا عنده من عسكر ملكه ولما وصل التتر الى أعمال غزنه خرج اليهم المسلمون مع جلال الدين بن خوارزم شاه فالتقوا فى موضع يقال له بلق فاقتتلوا هناك قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة أيام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا وانحازوا الى الذي عندهم للتتر وقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فاجتمعوا مع المنهزمين من غزنه ودخلوا هراة وملكوا البلد وقتلوا أهله وخربوه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ثم ان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد أن هزم جيش جنكزخان أرسل رسولا الى جنكزخان يقول له أى موضع تريد يكون فيه الحرب حتى نأتى اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا أكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامى اليهم وصافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم التتر ثانيا وقتل منهم كثير وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة بسبب الغنيمة وسبب ذلك أن أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاتراك كان شجاعا مقداما ذا رأى فى الحرب ومكيدة وهو الذى باشر الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا أنتم فقد ملئتم منهم رعبا وهو الذى كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين أيضا أمير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزم شاه نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران فى الغنيمة فاقتتلوا فقتل منهم أخ لبغراق فقال بغراق انا أهزم الكفار ويقتل أخى لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون ألفا كلهم يريدون أن يكونوا معه فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد وصل فى جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم

من العسكر عزم على مفارقه غزنة ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكز خان يقص أثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه جنكز خان بجيوشه فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا فى ذلك كالاشقر ان تأخر ينحروا ان تقدم يعقر فتصافوا واقتتلوا أشد قتال اعترفوا كلهم أن ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال وبقوا كذلك ثلاثة أيام فقتل الأمير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل فى الكفار أكثر والجراح أعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون أنهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا عن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما أصاب الكفار من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون الى الهند ومعهم جلال الدين وقيل انهم عبروا بغير سفن وان جلال الدين اقتحم النهر العظيم هو وعساكره وما بحافتهم الا أربعة آلاف حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده أصحابه ثلاثة أيام ثم وجدوه واعتدوا بفقدمه عيدا ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين وملك الى لهاور من الهند وأما جنكز خان وعساكره فانهم عادوا الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الى الهند وبعدهم عنهم فلما وصلوا غزنة ملكوها لخلوها من العساكر والمحامى فقتلوا أهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبقوا أحدا من العلماء والصلحاء وغيرهم وخربوها وأحرقوها وفعلوا بسوادها وما حولها من المدائن والقرى كذلك فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس ثم رجع جنكز خان بجيوشه الى بلاده وأما الممالك التى ملكها وخربها فترك الكثير منها ولم يجعل له عمالا فيها فرجع اليها أهلها وتملكها ملوكها الذين كانوا فيها (غريبة عجيبة) لما وصل جلال الدين الى حافة نهر السند ولم يجد من السفن ما يعبر فيه وجنكز خان خلفه يقص أثره ضاقت الارض بما رحبت على جلال الدين ومن

معه ورأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يبكين ويصحن فقال له نائبه سلسلة
اقتلنا أو خلصنا من الاسر فامر بهن فغرقن في النهر وهذه من عجائب البلايا ونوادر
المصائب والرزايا

﴿ ذكر عود التتر الى الري وهمذان وغيرهما ﴾

في سنة احدى وعشرين وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان
وهؤلاء غير الطائفة الغربية التي ذكرنا أخبارها قبل ووصل هؤلاء الى الري وكان
من سلم من أهل الري قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم
فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا في اهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلد
وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا
من التتر الاولى فانهم لم يقربوهما ولا أصاب أهلهما أذى فأتاهما هؤلاء وملكوهما
وقتلوا أهلهما وخربوهما وألحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا في البلاد
يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من
أهلها فأبادوهم قتلا وأسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا لما وصلوا الى الري رأوا
بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى
أذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضا قد كبسوهم ووضعوا السيف
فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وأرسلوا الى صاحبها أوزبك بن
البهلوان يقولون له ان كنت موافقنا على طاعتنا فسلم الينا من عندك من
الخوارزمية والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا في طاعتنا فعمد ابن البهلوان الى
من عنده من الخوارزمية فقبض عليهم ثم قتل بعضهم وجعل بعضا منهم أسرى
وأرسل رؤس من قتلهم الى التتر وأرسل معها الاسرى وأنفذ معهم من
الاموال والثياب والدواب شيئا كثيرا هدية فعادوا عن بلاده وساروا نحو خراسان
وفعل التتر هذا كله في هذه العودة وليسوا في كثرة بل كانوا نحو ثلاثة آلاف
وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس ولكن وقع الرعب
في قلوبهم من التتر وان كانوا قليلا وكان عسكر ابن البهلوان أكثر من ذلك كله

ومع هذا فلم تحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم قال ابن الاثير فنسأل الله أن ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى أمر عظيم من قتل المؤمنين ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

﴿ ذكر وصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى خوزستان والعراق ﴾

في أول سنة اثنتين وعشرين وصل جلال الدين بن خوارزم شاه الى بلاد خوزستان والعراق واستناب نوابا في ممالك الهند واستولى على كرمان وأصفهان وباقي عراق العجم وفارس وقاربت جيوشه بغداد فخاف أهل بغداد منه ثم سار الى تبريز وأذربيجان وكثرت عساكره واستفحل أمره وصار ينتزع الممالك من يد الملوك الذين كانت الممالك بأيديهم والكلام على ذلك طويل وصار يفعل في كثير من البلاد التي يملكها من القتل والاسر والنهب مثل ما يفعل التتر * وفي هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته قريبا من سبع وأربعين سنة قيل ان أصل قيام التتر كان بمكاتبته لهم يأمرهم بقتال خوارزم شاه ليشغلوه عن تطلبه ملك العراق والله أعلم بحقيقة الحال وولي الخلافة بعد الناصر ولده الظاهر بأمر الله ومكث تسعة أشهر وتوفي وولي ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ثم المستعصم ختام خلفائهم كما سيأتي ولما قوي أمر جلال الدين بن خوارزم شاه واستفحل ملكه بلغه سنة أربع وعشرين وستمائة أن طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينه وبينهم فانهزموا منه فأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين مدة أيام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد أقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ أتاه الخبر بأن كثيرا منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم فوصلوا اليه في سنة خمس وعشرين وجرى بينه وبينهم حروب كثيرة كان في أكثرها الظفر لهم عليه وفي الاخير كان الظفر له عليهم فهزمهم وهؤلاء التتر الذين جاؤه في هذه المرة كانوا قد سخط جنكزخان على مقدمهم وأبعده وأخرجه من بلاده فقصد خراسان هو وجيوشه فرآها خرابا فقصد الري ليتغلب

على تلك النواحي والبلاد فلما سمع جلال الدين رأيه أراد أخذ المال إلى أن
كانت آخر هزيمته على التركمان كرما وجاءت مكاتبة من طولي بن جنكزخان
لجلال الدين يقول له إن هؤلاء ليسوا من أصحابنا إنما نحن أبعدناهم فلما أمن
جانب ابن جنكزخان أمن وسار إلى أذربيجان وإنما كانت المكاتبة مع ابن
جنكزخان لأن جنكزخان كان قد هلك سنة أربع وعشرين وستمائة وكانت مدة
ملكه نحو ثلاث وعشرين سنة ولما أيس من الحياة جمع أولاده وقسم بينهم الممالك
وجعل العهد للرئيس عليهم هو ولده المعروف طولي خان ثم هلك عن قريب وتولى
مكانه ولده هلاكو الذي كان على يده أخذ بغداد

﴿ ذكر خروج التتر إلى أذربيجان وما كان منهم ﴾

أول سنة ثمان وعشرين وصل التتر من وراء النهر إلى أذربيجان وكان
جلال الدين قد ضعف ملكه لأنه كان سيء السيرة قبيح التدبير لم يترك أحداً من
الملوك المجاورين له إلا عاداه ونازعه الملك ووقع بينه وبينهم حروب وجرى في
آخر الأمر في كسره فضعفت شوكته وكتب إلى التتر بعض الملوك الذين كان
يحاربهم يحثونهم على المجيء لاستئصال جلال الدين ويعرفونهم ضعفه عن لقائهم
فهذا كان أيضاً من أسباب مجيئهم أما أفعال التتر في هذه المرة ولم يقدم جلال الدين
على لقائهم وقتالهم فدخلوا البلاد واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد
ثم قصدوا أذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به وجلال الدين لا يقدر
على منعهم من البلاد فقد ملئ رعباً وخوفاً وانضاف إلى ذلك أن عسكره اختلفوا
عليه وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب في
ذلك أن أمراً أدى بأمله جلال الدين أظهر من قلة عقله ما لم يسمع بمثله وذلك أنه
كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق أن ذلك الخادم
مات فأظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وأمر الجند
والأمراء أن يمشوا في جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ
فمشى الناس رجالة ومشى جلال الدين بعض الطريق راجلاً وألزمه أمراؤه

و وزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز أرسل الى أهل البلد وأمرهم بالخروج عن البلد لتلقي تابوت الخادم ففعلوا فأنكر عليهم حيث لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم فشفع فيهم أمراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصي وانما كان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكي وامتنع من الأكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر أحد ان يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقولون انه الآن أصلح مما كنت فلحق أمراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز مع وزيره فبقي حيران لا يدري ما يصنع لاسيما لما خرج التتر هذه المرة فحينئذ دفن الغلام الخصي وأرسل الى الوزير واستماله الى أن حضر عنده فلما وصل اليه بقي أياما ثم قتله جلال الدين وهذه نوادر غريبة لم يسمع بمثلها تدل على الخذلان

﴿ ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه ﴾

في سنة ثمان وعشرين أيضا حضر التتر مراغة من أذربيجان ثم ملكوها بالامان وقتلوا في البلد الا أنهم لم يكثروا القتل واشتد خوف الناس منهم بأذربيجان فلما رأى جلال الدين ما يفعله التتر بأذربيجان ورأى ما هو عليه من الضعف والوهن فارق أذربيجان يريد الخليفة وملوك الاطراف ليعضدوه على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم فلم يشعر وهو بالقرب من آمد الا وقد كبس التتر ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين ثم لم يزل يتنقل في الهرب من موضع الى موضع وهو بغاية الذل بعد ذلك العز الى أن دخل قرية من قرى ميافارقين ولحقته التتر في تلك القرية فهرب الى جبل هناك فيه أكراد يتخطفون الناس فأخذوه وسلبوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم اني أنا السلطان فاستبقني أجعلك ملكا فجعله الكردي عند امرأته ومضى الى الجبل فحضر كردي آخر معه حربة فقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمي فقالت المرأة قد أمنه زوجي فقال

السكري أنه السلطان وكان قد قتل كاختلاط خزانته وضربه بالحربة فقتله
وكان ذلك منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة فسبحان من لا يزول ملكه
وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار . ومما ينبغي أن نذكر في هذه الأخبار العجيبة الدالة
على كمال قدرة الله تعالى وأنه يتصرف في عباده كيف يشاء قصة الصناديق التي
كانت لأبيه محمد خوارزم شاه وذلك أن خوارزم شاه لما هرب من التتر كما تقدم
بتفصيل ذلك والتتر تتبعه نزل لما وصل عراق العجم عند بسطام وأحضر خوارزم
شاه كل ما كان معه عشرة صناديق ثم قال إنها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم أشار
إلى صندوقين منها وقال إن فيهما من الجواهر ما يساوي خراج الأرض جميعها ثم
أمر بحمل العشرة الصناديق إلى قلعة أردهن وهي من أحصن قلاع الأرض
وأخذ خط النائب بها بوصول الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى
جنكزخان على تلك البلاد جلبت إليه الصناديق مختومة فأخذ جميع ما فيها ولم
ينتفع خوارزم شاه الذي جمعها بشيء منها وقد تقدم أنه مات في جزيرة بذلك . قال ابن
الأثير فسبحان من بدل أمنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب
العالمين الفعال لما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولما دخل التتر ديار بكر
والجزيرة يطلبون جلال الدين وقع منهم من الفساد والنهب والقتل والتخريب
شيء كثير ونهبوا اسعرد وآمد وارزن وميافارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم أهلها
فبذل لهم التتر الأمان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم
السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم إلا من اختفى وقليل ما هم
قال ابن الأثير وحكى لي بعض التجار وكان قد وصل من آمد أنهم حزروا القتلى
فكانوا يزيدون على خمسة عشر ألف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من أسعرد
فذكرت أن سيدها خرج ليقاتل وكان لها أم فمنعته ولم يكن لها ولد سواه لم يصغ إلى
قولها فمضى معه فقتلا جميعا وورثها ابن أخ للأم فباعها من هذا التاجر
وذكرت من كثرة القتلى أمرا عظيما وأن مدة الحصار كانت خمسة أيام ثم ساروا
منها إلى مدينة طنزة ففعلوا بها كذلك وساروا من طنزة إلى وادي القريب

وكان فيه طائفة من الاكراد وفيه مياه جارية وبساتين والطرق
فقاتلهم الاكراد فمنعوهم عنه وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا
وساروا في البلاد لامانع يمنعهم ولا أحد يقف بين أيديهم فوصلوا ... الى
فنهبوا ما حولها واحتمى صاحب ماردين بقلعة ماردين ثم وصلوا
الى نصيبين والجزيرة ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت أبوابها
فعادوا عنها ومضوا الى سنجار ووصلوا الى الجبال من أعمال سنجار ونهبوها
ودخلوا الى الخابور ووصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا ومضى طائفة منهم
الى الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المؤنسة من الموصل فنهبوها واحتمى
أهلها بخان فيها فقتلوا كل من فيه قال ابن الاثير وحكى لي عن رجل منهم أنه
قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت أراهم في نافذة في البيت
فكانوا اذا أرادوا قتل إنسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية
ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون
ويغنون بلغتهم ويقولون لا بالله ومضى نصف طائفة منهم الى نصيبين الروم فنهبوها
وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد بدليس فتحصن أهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا
فيها يسيرا وأحرقوا المدينة قال ابن الأثير وحكى لي إنسان من أهلها قال ولو كان
عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر أحد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل
يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من أعمال
خلاط يقال لها باكرى وهي من أحصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها
وقصدوا مدينة أرجيش من أعمال خلاط وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا
كذلك وكان هذا في ذي الحجة من سنة ثمان وعشرين وستمائة قال ابن الاثير
ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقاه الله
سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل
القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا
يتجاسر أحد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغني أن انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن

مع التتري ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على
الارض ومضى التتري فأحضر سيفا فقتله به وحكى لي رجل قال كنت أنا ومعي
سبعة عشر رجلا في طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف
بعضنا بعضا فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله
ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا
فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك فأخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وأمثال هذا
كثير وقد مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله
سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد العدو عنهم * والعجب أن هذا
العدو ملكوا هذه البلاد في هذه المدة وعادوا سالمين لم يذعرهم أحد ولا وقف في
وجوههم فارس فكان من بيده ملكوت كل شيء من يشاء ويقتل من يشاء
ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولما وصل التتر بلاد أذربيجان أطاعهم أهلها
جميعا وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائي والخوئي والعتابي وغير ذلك * وسبب
طاعتهم أن جلال الدين لما انهزم الى آمد من التتر تفرقت عساكره وتمزقوا
كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة وأربل وخلاط ما فعلوا
ولم يمنعهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون في الانفاق
وانضاف الى هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له في ذلك الوقت خبر
ولا علموا له حالا فسقط في أيديهم وأذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا من
الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التي هي أصل بلاد أذربيجان ومرجع
الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل في عساكره بالقرب منها وأرسل الى
أهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فأرسلوا اليه المال الكثير
والتحف من انواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شيء حتى الخمر وبذلوا له الطاعة
فأعاد الجواب يشكرهم وطلب منهم أن يحضر عنده مقدمهم فقصده قاضي البلد
ورئيسه وجماعة من أعيان أهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي وهو الذي
يرجع الجميع اليه الا أنه لا يظهر شيئا من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع

الطبرانى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب أن يحضر واعنده من صناع الثياب الخطائى وغيرها مايستعمل للملكهم الاعظم فان هذا هو من أتباع ذلك الملك فأحضروا الصناع فاستعملهم فى الذى أراد ووزن أهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاه أى خيمة للملكهم أيضا فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد المزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيأ كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم أنهم لا ينصرون جلال الدين بن خوارزم شاه قال ابن الاثير ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من أهل الرى كان قد انتقل الى الموصل وأقام بها هو ورفقاء له ثم سافر الى الرى فى العام الماضى قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الرى أطاعهم أهلها وساروا الى أذربيجان وسار هو معهم الى تبريز فكتب الى أصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما يقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لاتنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولاتظنون أن هذه الطائفة التى وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما أرادوا أن يعلموا هل فى البلاد من يردهم أم لا فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وأن البلاد خالية من ذلك ومن العساكر فقوى طمعهم وهم فى الربيع يقصدونكم و ما يبقى عندكم مقام إلا ان كان فى بلد المغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعا فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم * وفى هذه السنة أعنى سنة ثمان وعشرين وستمائة كان انتهاء ما فى الكامل تاريخ ابن الاثير وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة وهو الامام عز الدين على بن محمد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثم سار الى الموصل وسمع من كثير من الاشياخ المقيمين بالموصل ثم رحل الى بغداد ثم الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل

وانقطع في بيته عاكفاً على العلم تعلماً وتصنيفاً وكان إماماً في علم الحديث حافظاً
للتواريخ المتقدمة والمتأخرة خبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وله تصانيف كثيرة
منها أسد الغابة في أخبار الصحابة وهو كتاب جليل ومنها التاريخ الكبير المسمى
بالكامل وله غير ذلك ومن تلامذته شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان صاحب التاريخ
المشهور وينسب الجزري إلى ابن عمر فقيل هو رجل من أهل برقعيد من أعمال
الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه البلدة فأضيفت إليه ثم إن العساكر
الخوارزمية الذين كانوا أتباع جلال الدين تفرقوا في ديار بكر والموصل وحلب
وأكثروا العبث والفساد وفعلوا مثل أفعال التتر من الزنا والفواحش والقتل
وكذلك التتر أكثروا العبث والفساد فيما استولوا عليه من البلاد ولم يزل يشتد
بالمسلمين وشرح ما جرى في تلك السنين من الخوارزمية والتتر يطول والقصد
الاختصار * وفي سنة إحدى وأربعين وستمائة قصدت التتر بلاد غياث الدين
كيخسرو السلجوقي صاحب بلاد الروم فأرسل واستنجد بالحلبيين فأرسلوا
إليه نجدة مع ناصح الدين الفارسي وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر
فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر منهم خلقاً كثيراً وأسروا كثيراً
وعكست التتر في البلاد واستولوا أيضاً على خلاط وآمد وهرب غياث الدين
كيخسرو إلى بعض المعاقل ثم أرسل إلى التتر وطلب الأمان ودخل في طاعتهم
* وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد
لقتالهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم بحيث المثل ثم لما قدر
الله وأراد من الأزل أنه لا بد من استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية
قدر سبحانه وتعالى لذلك أسباباً وجعل لذلك علامات ومقدمات أما الأسباب
فأعظمها خروج السلاطين عن كمال الاستقامة وانهماكهم في المعاصي والشهوات
وأما العلامات والمقدمات فقد أوجد الله في تلك السنين علامات ومقدمات كان
الناس يظنون عند مشاهدتها أن القيامة تقوم في تلك السنين ثم تبين بعد ذلك
أنها مقدمات وعلامات لانقراض الدولة العباسية وصنف أهل الإسلام قال

الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة كان لانقراض الخلافة ببغداد وماجرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء منها أنه فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فما سكنت الريح إلا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة وقال الحافظ عماد الدين بن كثير وكان هذا فألا على زوال دولة بنى العباس ومنذرا بما سيقع بعد هذا من كائنة التتار لعنهم الله تعالى ومنها قال ابن كثير فى سنة سبع وأربعين طغى الماء على بغداد حتى أتلف شيأ كثيرا من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة الجمعة بسبب ذلك * وفى هذه السنة هجمت الفرنج على دمياط فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقا من المسلمين * وفى سنة خمسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة دار وقال ان الفرنج لعنهم الله ألقوه فيها قصدوا * وفى سنة اثنتين وخمسين ظهرت نار فى أرض عدن فى بعض جبالها بحيث انه يطير شررها الى البحر فى الليل ويصعد منها دخان عظيم فى أثناء النهار فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا فى أفعال الخير والصدقات * وفى سنة أربع وخمسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من أهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من أسوار البلد وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا وانهدم مخزن الخليفة يعنى موضع خزانة أموال المسلمين وهلك شئ كثير من خزانة السلاح قال السبكى فى الطبقات وكان ذلك من جملة الامور التى هى مقدمة لواقعة التتار * وفى هذه السنة فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة ونارة وأقام على هذه الحالة يومين فلما كان ليلة الاربعاء تعقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر فظهر من الحرة نار عظيمة وسالت أوديه منها سيل الماء وسالت الجبال نارا وسارت نحو

طريق الحاج العراقي فوقف وأخذت تأكل الأرض أكلاً ولها كل يوم صوت
عظيم من آخر الليل إلى ضحوة النهار واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم
وأقلعوا عن المعاصي واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين
منتصف الشهر وكسفت الشمس في غده وبقيت أياما متغيرة اللون ضعيفة النور
واستفرغ الناس وصعد سكان البلد إلى الأمير يعظونه فطرح المكس ورد على
الناس ما كان نهبه من أموالهم ولجأ السلطان إلى بغداد بخبر هذه النار فقال له
الوزير إلى أي الجهات ترمي بشررها قال إلى جهة الشرق وفي ليلة الجمعة مستهل
رمضان من هذه السنة احترق المسجد الشريف النبوي ابتدأ حريقه من زاويته
الغربية من الشمال وكان قد دخل أحد خدمة المسجد إلى خزانة هناك ومعه نار
فعلقت في الآلات واتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف فأعجلت الناس عن
قطعها فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ووقعت بعض أساطينه
وذاب رصاصها واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر
الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه وعدما وقع من تلك النار الخارجة
وحريق المسجد من الآيات وكانت كأنها منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من
الكائنات انتهى ما ذكر الجلال السيوطي في حسن المحاضرة وذكر السيد
السمهودي في خلاصة الوفا بأن اتصاله لسبب ذلك الحريق فقال احترق المسجد
النبوي ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أول الليل لدخول
أبي بكر بن أوحد الفراش الحاصل الذي في الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج
قناديل لمنارة المسجد وترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص
القناديل فيه مشاق فاشتعلت النار فيه وأعجز طفيها وعلقت ببسط وغيرها مما
في الحاصل وعلا الالتهاب حتى تعلقت بالسقف بسرعة آخذة قبلة وأعجلت
الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة واجتمع معه غالب أهلها فلم يقدروا على
طفئها وما كان إلا أول الليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد
وما احتوى عليه من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والمقاصير والصناديق

ولم يبق خشبة واحدة أى كاملة وكذا الكتب والمصاحف ووقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فى الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة ولم يكن فى ذلك الزمن قبة على القبور المقدسة وانما كان سقف فقط واول من عمل ذلك السقف قبة السلطان المنصور قلاوون الصالحى سنة ثمان وسبعين وستمائة فجعلت قبة صغيرة مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤوس السوارى المحيطة بالحجرة الشريفة ولما كانت عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى سنة سبع وثمانين وثمانمائة جعلت القبة المشرفة متناهية فى العلو وجعلت من الآجر وأسس لها دعائم عظام بأرض المسجد وقد بسط العلامة السمهودى فى خلاصة الوفا الكلام على النار التى ظهرت بالحرم لانها من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم من حيث انه أخبر عنها قبل وقوعها فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تظهر نار وفى رواية للبخارى تخرج نار فى أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى وفى مسند الفردوس وكامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضىء له أعناق الابل ببصرى ثم أطال الكلام فى بيان ذلك ثم قال قال النووى تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام وكانت فى زمنه أى النووى وكان ابتداء ذلك زلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم مع تكررها واشتدت فى يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ثم ليلة الاربعاء ثالث الشهر فى الثلث الاخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل بقية الليل ثم الى يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد فتموج الارض وتتحرك الجدران حتى وقع فى يوم واحد دون ليلته ثمان عشرة حركة ونقل عن أبى شامة عن القاشانى قال تزلزلت الارض يوم الجمعة زلزلة عظيمة الى أن اضطربت منائر المسجد وسمع لسقفه صرير عظيم فلما كان يوم الجمعة نصف

النار ظهرت تلك النار فمن محل ظهورها في الجو دخان مرا كم يسد الافق سواد فلما تراكمت الظلمات واقبل الليل سطع شعاع النار وظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق وقال القرطبي وكانت ترى على صفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن وترى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار الى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر قال وقال لي بعض أصحابنا رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة ايام وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال القطب القسطلاني وكان موجودا في ذلك العصر وهو جد القسطلاني شارح البخاري ان ضوءها استولى على ما بطن وظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وصار من فيهما السراج وصار نور الشمس على الارض بعد صفرة ولونها بعد بهجة والقمر كأنه كسف وقال أبو شامة انها رؤيت من مكة ومن الفلا جميعها ومن ينبع قال وأخبرني من أثق به ممن شاهدها بالمدينة انه بلغه أنه كتب بها على ضوئها الكتب وبها ايام وصح والشمس والقمر في مدتها ما يطلعان الا كاسفين قال أبو شامة وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى أن بلغنا خبرها وقال القطب القسطلاني وقد أخبرني جماعة أنهم شاهدوها من جبال شامة وقد من أخبر انه أبصرها بتيماء بصرى في مثل ما هي من المدينة في البعد وقال العماد بن كثير أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال أخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى انه أخبره غير واحد من الاعراب صبيحة الليلة التي ظهرت بها هذه النار انهم رأوا صفحات أعناق ابلهم في ضوء تلك النار فظهر أنها الموعود بها وعد بذلك المعجزة لحصول ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وانارتها تلك الابل كان بعد تمام الابدار واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لا يخفى

وكانت نعمة فى صورة نقمة أى لانه نعمة من كونها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم دالة على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم وكانت أيضا سببا لتوبة الناس والتجائهم الى الله تعالى ونقمة من حيث الانذار والتخويف ووجلت القلوب منها وأشفقت وأعتق أمير المدينة وهو عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ورد على الناس مظالمهم وأبطل المكس وهبط للنبى صلى الله عليه وسلم وبات فى المسجد ليلة الجمعة والسبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار وأهل النخل يتضرعون ويبكون كاشفين رؤسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال فسالت من وادى احيلين الى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة اشهر فطالت مدتها ليشتهر أمرها وينزجر عامة الخلق بها وعظم أمرها ليشاهدها عنوان نار والآخرة ٥ وأرسل أمير المدينة عدة من الفرسان اليها فلم تجسر الخيل على القرب منها فترجل أصحاب الخيل وقربوا منها فذكروا أنها ترمى بشرر كالقصر ولم يظفر وا بجلية أمرها فجرد الامير عزمه لذلك فوصل منها الى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الارض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد الاحجار كالبحار المتلاطمة الامواج وعقد لهيبها فى الافق قتاما حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا اذ سلبا بهجة الاشراق فى الآفاق وقال القطب القسطلانى انها لم تزل مارة على سبيلها وهى تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الاخضر والحصى وان طرفها الشرقى آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وان طرفها الشامى وهو الذى يلى الحرم اتصل بجبل يقال له عير على قرب من شرقى جبل أحد ومضت فى الشظاة التى فى طرفها وادى حمزة رضى الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبى صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرنى شخص أعتمد عليه أنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرم كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت الى ما دخل منه فى الحرم طفئت وخمدت وقال أبو

شامه ان سل هذه النار اعتد رمع وادي الشظا حتى حاذى جبل أحد وكادت النار تعار بين حرتي العريض ثم سكن قسرها الذي لي المدينة وطفئت مما لي العريض ورجعت تسير في المشرق وقال كثير من المؤرخين انها سالت سيلا ذريعا في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر تذوب كما يذوب الرصاص ولم تزل تجتمع من آخر الوادي عند منتهى الحرم أي في المشرق حتى قطعت في وسط وادي الشظا الى جهة جبل عير فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قال السيد السمهودي وآثار ذلك السد موجودة اليوم هنالك ويسمى الحبس وانقطع وادي الشظا بسبب ذلك وصار السيل يحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وأماما ذكره بعضهم من أن تلك النار ليس لها حر فلعل ذلك كان آخر أمرها فهذه الآيات كلها مقدمات لأخذ التتار بغداد وانقراض الدولة العباسية وظهور الضعف والخلل لأهل الاسلام وذكر الامام القرطبي في تذكرته أن هؤلاء التتر هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تقاتلوا قوما صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة ينتهي الى المسند وفي رواية عراض الوجوه ذلف الانوف سلاطها وأطال في بيان روايات الحديث وقال ان هذا الامر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قد وقع كما أخبر ونقل مثل ذلك عن الحافظ ابن دحية وغيره وأطال في بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر أخذ التتر بغداد وقتلهم الخليفة ﴾

قد تقدم ما تملكه التتر من ممالك الاسلام في السنين المتقدمة وصاروا بعد ذلك يدبرون الامر في أخذ بغداد ويتخوفون من كثرة العساكر الموجودة عند الخليفة وعزموا على أخذها في سنة ثلاث وأربعين وستمائة فانهزمت عساكرهم وضعف عزمهم ولما كان أخذهم اياها مقدرا في علم الله تعالى محدودا بأيام مخصوصة سهل لهم الاسباب التي توصلهم الى ذلك عند مجيء وقته فمن ذلك أن وزير الخليفة

كان رافضيا ويحب نقل الخلافة من بني العباس الى العلويين وسولت له نفسه أن ذلك يسهل اذا قويت شوكة التتر وأنه يعتقد معهم صلحا وينقل الخلافة للعلويين على رغمه فصار يكاتب التتار ويظهر لهم أنه يحب استيلاءهم وان أمر المسلمين يكون تابعا لأمرهم وكان الخليفة المستعصم بالله مفوضا أمور الخلافة الى الوزير المذكور فينقاد له ويقبل اشارته ويصغي لما يقول مع ان الخليفة المذكور كان صحيح العقيدة يعتقد مذهب أهل السنة ويميل الى الخير والصلاح ويحب أهل الخير والصلاح لكنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك مهملا للامور المهمة محبا لجمع المال وأهمل أمر التتار وانقاد الى وزيره محمد بن العلقمي حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية فان ابن العلقمي كتب كتابا الى هلاكو ملك التتر وهو ابن طولي بن جنكرخان أنك تحضر الى بغداد وأنا أسلمها لك وكان من جملة الاسباب التي حملته على ذلك وقوع فتنة في تلك الايام بين الرافضة وأهل السنة في بغداد أدت تلك الفتنة الى نهب عظيم وخراب وقتل عدة من الرافضة فغضب لذلك ابن العلقمي وحسن التتار على العراق ليتشفى من أهل السنة ولما كتب لملك التتر يحثه على الحضور كتب له ملك التتار ان عساكر بغداد كثيرة فان كنت صادقا فيما قلته وداخلا في طاعتنا ففرق عساكر بغداد ونحن نحضر ولما وصل كتابه الى الوزير دخل على الخليفة المستعصم وقال له ان جندك كثيرة وكانوا أكثر من مائة ألف وعليك كلفة كثيرة والعدو قد رجع والصواب أنك تعطي دستورا لخمسة عشر ألفا من العساكر ليتوفر معلومهم فأجابه المستعصم لذلك فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الاقامة بها ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفا من الديوان ثم كتب الى ملك التتر بما فعل وكان تدبير الوزير أن التتر اذا قدموا بغداد يقتلون الخليفة ويضعفون شوكة بني العباس ثم يعودون الى سبيلهم فيبقى هو على ماهو عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة فيقوم بعد ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع ثم يضع السيف في أهل السنة هكذا كان قصده ولما

فأطمع ملك التتر ما فعله الوزير ابن العلقمي من محو العساكر وإمحاق أمر
الخلافة فسار بجنوده في أول سنة ست وخمسين وستمائة ومعه أمراء الكرج وعسكر
الموصل وخلائق لا يحصون وقصد بغداد ونزل عليها وصار الخليفة المستعصم
يستدعي العساكر ويتأهب لحرب التتر وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على
قتال التتر وخرجوا الى ظاهر بغداد وقاتلوا التتر قتالا شديدا وكثرت الجراحات
والقتلى في الفريقين الى أن نصر الله عساكر بغداد وانكسر التتر أقبح
كسرة وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة وعادوا بالأسرى ورؤوس
القتلى الى ظاهر بغداد ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدو وانهزامه فأرسل
الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا سكر الدجلة فخرج
ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم وصار
السعيد منهم من لقي فرسا يركبها وأرسل الوزير الى ملك التتر يعرفه بما فعل
ويأمره بالرجوع الى بغداد فرجع بعساكره الى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك
من يردهم فلما أصبحوا خرجت طائفة من عسكر المسلمين وعليهم الدويدار
فالتقوا مع طلائع التتر فانهزم المسلمون لقلتهم وأحاطت عساكر التتر
ببغداد فقال الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم بالله إني أخرج الى تلافي
هذا الامر وأعقد الصلح وأقرره فأذن له في ذلك فخرج وتوثق لنفسه ورجع
وأخبر الخليفة أن ملك التتر رغب أن يزوج ابنته بابنك وأن تكون الطاعة له كما
كانت للملوك السلجوقية ويرحل عنك فخرج المستعصم في أسباب دولته
وأعيان العلماء وأكابر أهل الوقت لحضور العقد فلما حضروا أعطى ملك التتر
أمره بالقبض عليهم وضرب أعناقهم وقتلوا الخليفة بوضعه وولده في عدلين
وأمر التتار برفسهما الى أن ماتا وقيل أخرقوهما ثم دخل التتر بغداد واستباحوها
وقتل أحد ناحيته وبقي السيف يعمل أربعة وثلاثين يوما وقل من سلم ولم يرجعوا
نهبا كثيرا لا يكاد يحصر من النقد والأمتعة ونهبت دار الخلافة ومدينة
بغداد حتى لم يبق فيها الأرذل ولا ماجل ثم أخربت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها

قيل ان عدة من قتل يزيد على ألفي ألف وثلاثين ألف انسان ثم نادوا بالامان
وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا وبقيت الدنيا بلا خليفة ثلاث
سنين ونصف سنة وكانت مدة خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر
وأياما وعمره نحو سبع وأربعين سنة * وأما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد ولم
يلبث أن أمسكه ملك التتر بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها
أنه لم يكن له خير في مخدومه ولا في دينه فكيف يكون له خير في ملك التتر ثم انه
قتله شر قتلة قيل ان ابن العلقمي بعد قتل المستعصم وقبل قتله هو بقي يركب
اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمي أهكذا كنت تركب في أيام المستعصم فلم
يجبها وكان بعد أن قتل الخليفة يظن ان رياسته تبقى له فأبقوها له أياما الى ان قتلوه
قيل انه في تلك الايام التي أبقوا له الرياسة فيها بعد قتل الخليفة دخل عليه بعض
التتر ممن ليس له وجاهة راكبا فرسه فسار الى أن وقف بفرسه على بساط الوزير
وخاطبه بما أراد وبال الفرس على بساط الوزير وأصاب الرشاش ثياب الوزير
وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده ولما انعكست عليه
الامور ندم حيث لا ينفعه الندم وكان يقول بعد ذلك وجرى القضاء بعكس
ما أملته لانه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدة وقال له بعض أهل
بغداد يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه حمية وحميت الشيعة وقد قتل من الاشراف
الفاطميين ما لا يحصى وكان دخول التتر بغداد وقتلهم الخليفة المستعصم في
العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة وبقي الوزير ابن العلقمي الى أوائل
المحرم سنة سبع وخمسين فتكون المدة التي بقي فيها بعد قتل الخليفة سنة واحدة
وقيل انما مكث بعد قتل الخليفة أياما قلائل وأن التتر لم يقتلوه وانما مات غما وكمدا
لما انعكست عليه الامور وعض يده ندما وفي تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف
الدين يوسف بن البقال أحد الزهاد وقال كنت بمصر فبلغني ما وقع ببغداد من
القتل الذريع فأنكرته بقلبي وقلت يارب كيف هذا وفيهم أطفال ومن لا ذنب له
فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذته فاذا فيه

دع الاعتراض فما الامر لك ٭ ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ٭ فمن خاض لجة بحر هلك

قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة بعد ذكره ذلك قلت أجرى الله عادته أن الامة اذا ارادوا فسادها وانتهكوا حرمات الله ولم يقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في أثر آية فان لم يقع ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا ثم قال الجلال وقد وقع في هذه السنين ما فيه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة التتار وأما حادثة بغداد فمعي ذلك فاللهم سلم سلم اهـ واذا كان هذا في زمانه وهو القرن التاسع فما بالك بزماننا وهو القرن الرابع عشر فنسأل الله السلامة وحسن الاستقامة فقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه والله لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها

﴿ فائدتان ﴾

٭ الاولى استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد وجاءت الاخبار به قبل وقوعه مأثورة عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فانه كان يقول ان الخلافة تصير الى ولده حتى يأتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم فكان كما قال والظاهر ان مثل هذا الخبر لا يقال بالرأي ولا بالحدس والتخمين وانما يكون بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الاخبار بذلك قبل وقوعه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكرنا أنه مأثور عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكره كثير من المؤرخين منهم الملك المؤيد صاحب حماة في تاريخه وكذلك ابن الوردي وغيرهما وعبارة ابن الوردي بلغ بعض خلفاء بني أمية عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فأمر الاموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان علي بن عبد الله يقول أي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم فكان كما قال والعلج المذكور

هلا كو» وفى تاريخ ابن خلكان ان الاموى الذى أمر بضربه وحمله على جمل هو الوليد بن عبد الملك ثم قال ابن الوردى قلت قال ابن خلكان فى تاريخه ان عليا رضى الله عنه افتقد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يوما وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال أبى العباس لم يحضر الظهر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على رضى الله عنه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ما سميته فقال أو يجوز أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن ودخل على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يوما على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه محمد وهما السفاح والمنصور ابنا محمد بن على المذكور فأوسع له هشام على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها ثم قال على لهشام وتستوصى بابنى هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلت الرحم فلما ولى على بن عبد الله بن عباس قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينقل الى ولده فسمع ذلك على بن عبد الله ابن عباس فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان يعنى السفاح والمنصور فكان الامر كذلك وكان على بن عبد الله هذا اعظم المحل عند أهل الحجاز وكان يلقب بالسجاد كان يصلى كل يوم ألف ركعة لانه كان له خمسمائة أصل زيتون يصلى فى كل يوم الى كل أصل ركعتين وكان أجمل قرشى على وجه الارض وأوسمهم وكان اذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه اعظاما واجلالا وتبجيلا له فان قعد قعدوا وان نهض نهضوا وان مشى مشوا خلفه وحوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم وكان اذا طاف كانما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله الى منكب أبيه العباس وكان العباس الى منكب أبيه عبد المطلب نظرت عجوز الى على بن عبد الله بن عباس وهو يطوف فقالت من هذا الذى فرع الناس (فرع) بالعين المهملة

أي علا عليهم فمن لها علي بن عبد الله بن عباس فقالت (لا إله إلا الله) إن الناس
لم يدلوني عليهم بالإجماع تطوف بهذا البيت كأنه بساط أبيض وذكر هذا
كله المبرد في الكامل وذكر أن العباس كان عظيم الجوف وكذلك ... من
غار وقت الصباح فصاح واصباحاه فلم يسمعه حامل في الحي إلا وضعت والله
سبحانه وتعالى أعلم اهـ وتوفي علي بن عبد الله المذكور سنة سبع عشرة ومائة
وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافة بني العباس خمسمائة سنة وأربعا وعشرين
سنة لأن ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهاؤها سنة ست وخمسين
وستمائة وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة فسبحان الملك الحق الذي لا يزول
ملكه وهو الباقي بعد فناء خلقه

﴿ الفائدة التاسعة ﴾

أول خلفاء بني حرب بن أمية معاوية رضي الله عنه وآخرهم معاوية وأول خلفاء بني
الحكم مروان بن الحكم وآخرهم مروان بن محمد وأول خلفاء بني العباس عبد الله
السفاح وآخرهم عبد الله المستعصم وأول ملوك بني الأحمر الذين تداولوا ملك
الأندلس في آخر المدة محمد بن يوسف بن نصر وآخرهم محمد بن سعد وأول ملوك
بني مرين ملوك المغرب الأقصى عبد الحق وآخرهم عبد الحق فانظر كيف
توافقت أسماء ملوك أول هذه الدول وأسماء ملوك آخرها وذلك بتقدير الله وتدبيره
فإنه سبحانه وتعالى له في كل شيء حكمة بل ما من ذرة في العالم إلا وهي مشتملة على
حكمة بل على حكم كثيرة وكل ذلك بتقدير العزيز العليم وسيأتي ذكر مملكة
التتر بعد بغداد وهلاك هلاكو بن طولي بن جنكزخان سنة ثلاث وستين
وستمائة وترك خمسة عشر ابنا وملك بعده ابنه أبغا البلاد التي كانت بيد أبيه
وهي إقليم خراسان وكرسيه نيسابور وإقليم عراق العجم ويعرف ببلاد الجبل
وكرسيه أصبهان وإقليم عراق العرب وكرسيه بغداد وإقليم أذربيجان وكرسيه
تبريز وإقليم خوزستان وكرسيه تستر وتسميها العامة تشتر وإقليم فارس وكرسيه
شيراز وإقليم ديار بكر وكرسيه الموصل وإقليم الروم وكرسيه قونية وغيرهما ما ليس

في الشهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة ومدة ملك هلاكو عشر سنين قال ابن الوردي قلت مات هلاكو على دينه بعلة الصرع وسواعلى قبره قبة بقلعة تلا وفى تاريخ الذهبي أنه هلك بهذا أربع وستين وستمائة اه كلام ابن الوردي وفى تاريخ القرماني ما نصه ذكر الذهبي فى تاريخه أن هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون فهل يقدر المؤرخون أن يجمعوا ويصفوا سوء أفعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام إلا أن الكفار المغولية مالوا الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ثم نزل القرماني ذكر البيضاوى فى تاريخه أن الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض أوليائه بعيض فضله أن يظهر شيأ من الكرامات المحمدية عند هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا در سدى قدس الله سرهما فحضرا عند هلاكو ودخلا النار وشربا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكو ذلك رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم الملة الاسلامية وأهلها وأسلم ومات بعلة الصرع فى بلد مراغة ونقل الى قلعة تلا ودفن بها وبنى عليه قبة اه ولم يذكر اسلامه ابن خلدون ولا الملك المؤيد ولا ابن الشحنة فليحرر ذلك وانما الذى ذكروه اسلام أحمد بن ابغا بن هلاكو والله سبحانه وتعالى أعلم قال الجلال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ولما فرغ هلاكو من قتل الخليفة وأهل بغداد أقام على العراق نوابه وحسن لهم ابن العلقمى أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار لهم فى صورة بعض الخدم والغلمان ومات كمدا لا رحمه الله ولا عفا عنه ثم بعد تملكهم بغداد كتب هلاكو للملك الناصر صلاح الدين بن أيوب وكان ملك دمشق بيد الملك الناصر المذكور فكتب له هلاكو ثلاث مرات يأمره بالدخول فى طاعته ويتهدده ويذكر له تملكه لأكثر البلاد وما فعله بأهل الاسلام فكاتبه الملك الناصر وصانعه وأرسل له هدايا بالعامة بعد ذلك عن ملتقى التتر

﴿ ذكر مسير التتر الى ميافارقين فى البلاد الشامية ﴾

وفى سنة خمس وخمسين أيضا قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميافارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر غازى ابن الملك

دمشق وسائر الشام الى غزة وشحنوا البلاد وقدم على هلاكو صاحب حمص، فقبله وأعادها اليه ثم رحل هلاكو الى حارم فامتنعوا أن يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فأحضر وسلمت اليه فغضب هلاكو وأمرهم فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء ثم عاد هلاكو الى الشرق وتقدم أن ميافارقين ملكوها بعد محاصرتها سنتين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازى مصابر ثابت حتى ضعف من عنده عن القتال فاستولوا عليها وقتلوه وطافوا برأسه فى البلاد بالمغانى والطبول وعلق رأسه بباب الفراديس من أبواب دمشق فلما عادت دمشق للمسلمين دفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس وأما دمشق فملكوا المدينة بالأمان فما نهبوا ولا قتلوا وعصت قلعتها فنصبوا عليها المجانيق ثم تسلموها بالأمان ونهبوا ما فيها وخربوا سور القلعة وأحرقوا آلاتها وزردخاناتها ثم نازلوا قلعة بعلبك ثم ملكوها وخربوا قلعتها وكانوا اعتقلوا نقيب قلعة دمشق وواليها ثم بعد شهرين ضربوا أعناقهما ثم إن العساكر الاسلامية اجتمعت بمصر وسار بهم الملك المظفر قطز ملك مصر يريدون الشام لقتال التتر وبلغ ذلك كتبغا نائب هلاكو على الشام فجمع من بالشام من التتر وسار الى قتال المسلمين فالتقوا عند عين جالوت واقتتلوا فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا وقدر الله كمال النصر للمسلمين بهذه الهزيمة واسترجع المسلمون دمشق وغيرها مما ملكوه من الديار الشامية بعد حصول اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه وكان النصر والفتح العظيم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ولما أراد الملك قطز أن يتجهز من مصر للخروج لقتال التتر بالشام أراد أن يأخذ من الناس شيأ من المال يستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا فى ذلك هم والعامة وأما

أشد أموال العامة معرضا مافي أيدي الحسد ن الأموال والآلات الفاخرة ولا
ذكر في حسن المحاضرة للجلال السيوطي وذكر الامام النووي أنه أفتى
بيبرس المولى بعد قطز بمثل ما أفتى به العز بن عبد السلام وأرسل له انه وبى من
السلام وبص المقصود من ذلك ولا يحل أن يوخذ من الرعية شيء مادام في بيت المال
شيء من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع أو غير ذلك قال وهؤلاء علماء المسلمين في
بلاد السلطان أعز الله أنصاره متفقون على هذا قال الجلال السيوطي فلما أراد
السلطان الظاهر بيبرس الخروج الى الشام لقتال التتر أخذ فتاوى العلماء بانه
يجوز له أخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام
بذلك فقال هل بقي أحد فقيل نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي فطلب بحضر
فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ما سبب امتناعك فقال أنا أعرف أنك
كنت في الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا
وسمعت أن عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائتا جارية
لكل جارية حق من الحلي فاذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود
الصوف بدلا عن الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي أفتيتك بأخذ
المال من الرعية فغضب السلطان الظاهر بيبرس من كلامه وقال اخرج من بلدي
يعني دمشق فقال السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار
علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فاعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع
الشيخ وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الحافظ الذهبي
كان الظاهر بيبرس خليقا بالملك لولا ما كان فيه من الظلم قال والله يرحمه ويغفر
له فان له أياما بيضاء في الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة وقال أيضا
في حسن المحاضرة في موضع آخر وكان في الظاهر بيبرس محاسن وغيرها وظلم
أهل الشام غير مرة وانما جاءه بموافقة هوا فقام الشيخ محيي الدين النووي
في وجهه وأنكر عليه وقال أفتوك بالباطل وكان بمصر مع هيبته لا يتعدى كلمة
الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتى انه قال

لما مات الشيخ عز الدين ما استقر ملكي الى الآن ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير في تاريخه انه حضر الى دار العدل في محاكمة في بئر بين يدي القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز فقام الناس له لما جاء سوى القاضي فانه أشار اليه أن لا يقوم فقام هو وغريمه بين يدي القاضي وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بينة عادلة به فانتزعت البئر من يد الغريم وهو أحد الامراء * ومن محاسن الظاهر بيبرس انه أكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق المتقدم ذكره ووضع منبرا للمسجد النبوي وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده بماء الورد وزار المدينة الشريفة فرأى الناس يلتصقون بالقبر فقاس ما حوله بيده وأرسل في العام الذي يليه درابزين من خشب فأدير حول القبر الشريف

﴿ ذكر عود التتر الى الشام ﴾

لما وصل الخبر الى التتر بانهزام عساكرهم من الشام وخروجه من تحت أيديهم جهزوا جيشا من سنتهم تلك ووصلوا الى حلب في آخر السنة أعني سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها وبذلوا السيف في أهلها فأفنوا غالبهم وسلم القليل منهم واجتمع كثير من عساكر الاسلام بحمص وسار اليهم التتر فالتقوا بظاهر حمص خامس المحرم من سنة تسع وخمسين وستمائة وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وسار من سلم من التتر الى أفامية فقاتلهم المسلمون عندها فرحلوا وتوجهوا الى الشرق

﴿ مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبته ﴾

في شهر رجب من هذه السنة أعني سنة تسع وخمسين وستمائة قدم شخص الى مصر من بني العباس الذين سلموا في بغداد من قتل التتر واسمه أحمد بن الظاهر بن الناصر فعقدوا له مجلسا بمصر حضره العز بن عبد السلام وغيره من العلماء والسلطان الظاهر بيبرس وأثبتوا اسمه وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء جماعة

من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه الملك السلطان بيبرس والعلماء
والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره واحتفل به وجهز معه عساكر كثيرة
ووجههم لقتال التتر طمعا أنه يستولي على بغداد ثم جاءت الكتب بأنه استولى
وعساكر على عانة والحديثة وأن كتب أهل العراق وصلت إليه تستحثه على
الوصول إليهم فقبل أن يصل إلى بغداد وصلت إليه التتر وقاتلوا الخليفة المذكور
وقتلوه وقتلوا غالب أصحابه [illegible] وجاءت الأخبار إلى مصر بذلك في
آخر السنة المذكورة * وفي آخر سنة ستين في ذي الحجة حضر أيضا شخص آخر
من بني العباس الذين سلموا من قتل التتر اسمه أيضا أحمد بن حسن بن أبي بكر بن
علي بن حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر فأثبتوا نسبه وبايعه السلطان
بيبرس والعلماء ولقبوه الحاكم بأمر الله وأشركه السلطان في الدعاء لاستمرار بني
العباس بمصر يبايعهم السلاطين وليس بيده من الملك والتصرف شيء بل الأمر بيد
السلاطين المماليك بمصر واستمر ذلك إلى دخول السلطان سليم بمصر سنة
تسعمائة واثنين وعشرين * وفي سنة احدى وستين وستمائة جهز الملك الظاهر
عساكر من مصر وأغاروا على عكا وأعمالها وهي بيد الفرنج فغنموا وعادوا ثم
ركب الملك الظاهر بنفسه ومعه جماعة اختارهم وأشار بالغارة على عكا وبلادها
وهدم برجا كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرة وكانت من أكبر
مواطن عبادات النصارى لأن منها خرج دين النصرانية ووجه عسكرا كبيرا إلى
انطاكية وبلادها وهي أيضا بيد الفرنج فساروا إليها وأغاروا على أطرافها
وضايقوها وعادوا ومعهم ما ينوف عن ثلاثمائة أسير * وفي سنة ثلاث وستين
سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكر المتوافرة إلى جهاد الفرنج
بساحل الشام ونازل قيسارية وضايقها وفتحها بعد ستة أيام وأمر بهدمها ثم سار
إلى أرسوف وفتحها * وفي سنة أربع وستين سار من مصر بعساكره المتوافرة
إلى الشام وجهز عسكرا إلى ساحل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ففتحوا
[illegible] وعرقا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاصق

الجند القلعة وكثر القتل والجراح فى المسلمين ثم فتحها وقتل أهلها عن آخرهم ثم بعث كثيرا من العساكر الى بلاد سيس يقتلون ويأسرون كيفما شاؤا * وفى سنة ثلاث وستين هلك هلاكو بن طولى بن جنكزخان واستقر ولده أبغا على ما كان بيده من الممالك واستمر الى سنة احدى وثمانين وهلك واستقر بعده أخوه تكدار ابن هلاكو ثم أسلم وتسمى أحمد وخاطب بذلك الملوك الذين فى عصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المصالحة وسار بأمر التتر بالاسلام فثار لذلك فتنة بين التتر مع بعضهم الى أن قتلوا أحمد المذكور سنة اثنتين وثمانين وستمائة وتملك أرغو ابن ابغا وعدل عن دين الاسلام وأخذ دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة وأصابه داء الصرع وهلك سنة تسعين وتملك كيخاتو بن ابغا الى سنة ثلاث وتسعين فقتل وتملك بيدو بن طرغاى بن هلاكو وقتل سنة خمس وتسعين وتملك قازان بن أرغو بن ابغا بن هلاكو سنة ثلاث وسبعمائة فولى بعده أخوه خربندا بن أرغو وابتدأ أمره بالدخول فى الاسلام وتسمى محمد وتلقب غياث الدين ثم صحب الروافض وساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة الاثنى عشر على سكته ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمدان وسماها السلطانية ورهاها واتخذ بها بيتا لطيما ملآن من الذهب والفضة وأنشأ بازائها بستانا جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأخذ فى التعرض لحرمات قومه وهلك مسموما سنة ست عشرة وسبعمائة وخلف ابنه أبا سعيد طفلا ابن ثلاث عشرة سنة فبويع له وأظهر الاسلام واستقامة الامور بواسطة وزير لابيه يسمى جوبان واستمر أبو سعيد الى أن مات سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان قد انعقد صلح بينه وبين ملك مصر الملك الناصر قلاوون سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحج الاكابر من قرابة أبى سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينه وبين الملك الناصر ولما مات أبو سعيد لم يعقب واختلف أهل دولته وانقرض الملك من بنى هلاكو وافترقت الاعمال التى كانت فى ملكهم وأصبحت طوائف فى

خراسان وفي عراق العجم وفارس واذربيجان وكذلك في بلاد الروم ولما هلك أبو
سعيد سنة ست وثلاثين اضطربت أمورها فقام الوزير غياث الدين والملك ... من
من أسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن ايبغا بن ايلكان وهو ابن عمة
السلطان أبي سعيد فغلب وتمكن الشيخ حسن وصار الملك والحل والعقد
الى أن توفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة فتولى مكانه ولده أويس وتوفي سنة ست
وسبعين وسبعمائة وملك ابنه حسين [illegible] ثم تغلب عليه أخوه أحمد
أويس وقتله وملك سنة احدى وثمانين وسبعمائة واستمر أحمد بن أويس الى
سنة خمس وتسعين وسبعمائة فجاء تيمورلنك فخربه وملك العراق وبغداد
فقدم احمد بن أويس على سلطان مصر السلطان برقوق مستغيثا مستصرخا
على طلب ملكه وكان ذلك في ربيع سنة ست وتسعين وسبعمائة فأجاب صريخه
ونادى في عسكره بالتجهز وسيأتي تمام الكلام على ذلك عند ذكر تيمورلنك
وذكرنا ملوك التتر مساقة الى آخرهم ليتصل الكلام بعضه ببعض ٭ ولنرجع الى
ذكر بقية فتوحات الملك الظاهر مع بقية حاربات التتر وملوك مصر بالشام

﴿ ذكر فتح يافا وانطاكية وعكا ﴾

في سنة ست وستين وستمائة توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى
الشام وفتح يافا وأخذها من الفرنج ثم توجه الى انطاكية ونازلها وشدد الحصار
عليها الى أن ملكها بالسيف وقتل أهلها وسبى الذراري والنساء وغنم أموالا
جليلة ثم توجه الى بغراس فملكها ٭ وفي سنة تسع وستين نازل حصن الاكراد
الى أن ملكه ثم رحل الى حصن عكار ونازله وجد في قتاله الى أن ملكه ثم توجه الى
حصن القرين ونازله وملكه ٭ وفي سنة سبعين وستمائة أغارت التتر على عينتاب
وعلى مرج وسطون ... وانتهوا الى قرب أفامية ثم رجعوا ثم نازلوا البيرة ونصبوا
عليها المجانيق وضايقوها فسار اليهم الملك الظاهر بيبرس وأراد عبور الفرات
الى بر التتر فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن البيرة
وتركوا آلات الحصار فغنمها عساكر المسلمين ٭ وفي سنة ثلاث وسبعين توجه الملك

الظاهر بيبرس الى بلاد سيس فدخلها بعساكره المتوافرة فغنموا ثم رجعوا الى دمشق * وفى سنة أربع وسبعين وستمائة قصد التتار البيرة ونازلوها فتوجه اليهم الملك الظاهر بعساكره فلما سمعوا به ارتحلوا * وفى سنة خمس وسبعين غزا الملك الظاهر بلاد الروم بعساكره المتوافرة والتقى فى طريقه بجيش من التتر فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم وقتل مقدمهم وأسر كثيرا منهم ثم سار الى قيسارية فملكها ثم سار الى عمق حارم يقتل ويأسر ثم عاد الى دمشق * وفى سنة خمس وسبعين أيضا كان ابتداء عمل المحمل فى مدة الملك الظاهر بيبرس يطوفون به فى مصر قبل خروجه لترغيب الناس فى الحج وتهييجهم ثم يسافرون به مع كثير من الحجاج من طريق البر وعند رجوعهم يزورون النبى صلى الله عليه وسلم * وفى سنة ست وسبعين حج الملك الظاهر بنفسه وزار النبى صلى الله عليه وسلم وتصدق بصدقات كثيرة على أهل الحرمين وغسل الكعبة بيده بماء الورد ثم رجع ثم توفى فى الثامن والعشرين من المحرم سنة سبع وستين وستمائة ومدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وولى بعده ولده الملك السعيد بركة وخلع سنة ثمان وسبعين وولى ولده الآخر سلامش وخلع بعد شهرين وولى الملك المنصور قلاوون الصالحى وكل هؤلاء يقال لهم المماليك البحرية ويقال لدولتهم الدولة التركية والذين بعدهم يقال لهم الجراكسة الى أن تملك مصر السلطان سليم (والحاصل) أن ملوك مصر بعد الفاطميين الملوك الايوبية وأولهم السلطان صلاح الدين وآخرهم الملك الاشرف موسى بن يوسف ابن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب والملك العادل أخو السلطان صلاح الدين توارث الملك هو وبنوه بعده الى سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانوا استكثروا من المماليك البحرية فتغلبوا على الملك وصار فيهم بعد ساداتهم وبقى الملك فى المماليك البحرية مائة وستة وثلاثين سنة من سنة ثمان وأربعين وستمائة الى سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعدد ملوكهم أربع وعشرون وكان لهم مماليك من الجراكسة فتغلبوا على الملك وأول ملوك المماليك البحرية عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح شعبان بن الحسين بن الناصر قلاوون

وملوك الجراكسة هم مماليك المماليك البحرية وأولهم الملك الظاهر برقوق
وآخرهم قانصوه الغوري ومدة ملك الجراكسة مائة وسبعة وثلاثون سنة من
سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وعدد ملوكهم ثلاثة
وعشرون والسبب الجاري بقدر الله تعالى لملك المماليك البحرية أنه في آخر
الدولة الايوبية كان هجوم الفرنسيس على دمياط وعليهم ملكهم لويز وكان ملك
مصر يومئذ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل فمرض ومات
وأوصى بالملك لولده توران شاه وكان غائبا في قلعة حصن كيفا وكانت زوجة
الملك الصالح شجرة الدر أم ولده خليل مدبرة للامور فأخفت موت الملك الصالح
وأقامت على ذلك مدة وهي قائمة بالامر والنهي الى أن حضر ولده توران شاه
وقاتل الفرنسيس وهزمهم وقتل منهم أكثر من مائة ألف وأسر ملكهم كما تقدم
ذلك ثم شرع في ابعاد مماليك أبيه واهانتهم وكانوا هم الامراء فاتفقوا على
قتله وقتلوه ثم اتفقوا على اعطاء السلطنة لشجرة الدر فكانت تعلم على المناشير
ويدعى لها على المنابر فكان الخطيب يقول بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة
الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة
السلطان الملك الصالح وكتب اسمها على السكة ثمانين يوما وجعلت النائب عنها
في الاحكام عز الدين ايبك وهو من مماليك الملك الصالح نجم الدين بن أيوب ثم
أطلقت ملك الفرنسيس بشروط كما تقدم ثم تزوجت بايبك هذا ثم كتب من
بغداد من الخليفة العباسي توبيخهم على تمليك امرأة ويقول لهم ان لم يكن
عندكم رجل نرسل لكم رجلا يتولى عليكم فاتفقوا على ان يملكوا رجلا من
بني أيوب فملكوا الملك الاشرف موسى المتقدم ذكره وكان صغيرا أشركوا
معه شجرة الدر وبايبك عز الدين ايبك ثم خلعوا الملك الاشرف وجعلوا السلطنة
لعز الدين ايبك استقلالا ثم انه أراد أن يتزوج بنت ملك الموصل فشق ذلك على
زوجته شجرة الدر فاتفقت مع الطواشي محسن الجوهري على قتل عز الدين
أيبك فهجموا عليه في الحمام فقتلوه فلما سمع مماليكه بقتله عزموا على قتل شجرة

الدر فسقهم زوجة عز الدين أم ولده فدخلت هي وجواريها على شجرة الدر فقتلوها بالقباقب وأقاموا في السلطنة نور الدين ولد عز الدين ايبك وعمره عشر سنين وجعلوا النائب عنه أحد مماليك أبيه وهو الأمير قطز ثم لما هجم التتر على الاقطار الشامية استحسن أهل الحل والعقد أن يخلع الملك الصغير نور الدين وان تكون السلطنة استقلالا للأمير قطز يستقل بتدبير الملك والتهيؤ لقتال التتر فأقاموا قطز في السلطنة ولقبوه الملك المظفر وخلعوا نور الدين بن عز الدين ايبك ثم خرج الملك المظفر قطز بالعسكر الى الشام لقتال التتر فالتقى معهم عند عين جالوت من أرض كنعان فقاتلهم قتالا شديدا الى أن هزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا وتعلق المنهزم منهم رؤس الجبال وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم وأسر ابنه وأرسل قطز خلفهم بيبرس ومعه عسكر فتبعهم الى أطراف البلاد وأتم المظفر قطز السير بالعساكر الى دمشق وتضاعف شكر العالم لله تعالى على هذا النصر العظيم من بعد اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام لأنهم ماقصدوا إقليما إلا فتحوه ولا عسكرا إلا هزموه وكان القتال مع التتر وهزيمتهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة * وفي يوم دخول قطز دمشق شنق جماعة من المسلمين المنتسبين للتتر ولما قرر قطز أمر الشام وحلب وغيرها سار من دمشق بالعساكر راجعا الى مصر وكان الأمير بيبرس سأله أن يوليه حلب فامتنع فاتفق مع بعض الامراء الذين كانوا مع قطز على قتله وساروا معه من دمشق يترقبون الفرصة فلما وصل الى موضع بينه وبين الصالحية مرحلة وقد خرج النائب بمصر مع العساكر الذين بمصر لاستقباله من الصالحية فبينما الملك قطز سائر إذ ثارت أرنب بين يديه فساق جواده خلفها وساق معه بيبرس والذين تواطؤا معه على قتل قطز وأبعدوا عن العساكر السائرة معهم ثم وقفوا فتقدم واحد منهم وشفع عنده قطز في انسان فأجابه الى ذلك فأهوى ليقبل يديه وقبض عليها فحمل عليه بيبرس وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه وكان ذلك سابع ذي القعدة

من السنة المذكورة ثم سار بيبرس ومن معه حتى وصلوا الصالحية فوجدوا
العساكر التي خرجت من مصر لاستقبالهم ومعهم نائب السلطنة فارس الدين
أقطاي ينتظرون قدوم الملك قطز فلما علم نائب السلطنة الخبر منهم سألهم من قتله
منكم فقال له بيبرس أنا فقال نائب السلطنة يا خوند اجلس في مرتبة السلطنة
ومعنى خوند الكبير الشأن فجلس واستدعى العساكر للحلف فحلفوا له
واستقر الملك لبيبرس ثم ساق وشق القاهرة وطلع إلى الجبل فنصب له ودخلها
وكانت مصر قد زينت لقدوم قطز فاستمرت الزينة للملك الظاهر بيبرس فسبحان
من بيده ملكوت كل شيء ولا يسأل عما يفعل فإنه في كل شيء حكمه وكان بيبرس
في الأصل مملوكا لايدكين البندقدار الصالحي ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين بن
أيوب قال ابن الوردي في تاريخه إن الملك الظاهر بيبرس كان لما قدم من المدينة
وكان ملازما للخمس في أوقاتها وألزم حاشيته بها وحكى عنه أنه ما شرب خمرا قط
ومنع كل مسكر وكان يحصل من مكس المسكر بمصر كل يوم ألف دينار فأبطله ولما
حج روى باب الكعبة غرما بأخذ بأيدي ضعفاء الرعية ليصعدوا وعمل الستور
الديباج للكعبة والحجرة النبوية وخطب مرة الخطيب إسماعيل الواسطي
والسلطان بيبرس حاضر فقال في الخطبة أيها السلطان إنك لن تدعى يوم القيامة
بأيها السلطان لكن تدعى باسمك وكل منهم يسأل عن نفسه إلا أنت فإنك تسأل
عن رعاياك فاجعل كبيرهم أباك وأوسطهم أخاك وصغيرهم ولدك فاستعذب وعظه وأجزل
عطاه وكان له في الحسن شهير آثار في أرباب معروف في الفقراء والمساكين
ووقف أوقافا على جهات عديدة واستنفذ العمرين ونصب الناس جنة وفتح
انطاكية وبغراس والمصيصة وحصن الأكراد وحصن عكا والعريش وصافيتا
وطرفه وأنشأ مدينة السبيل فكمل فعله بالبر نفسه حالوب ونحوقه النهم
عمران الموت من آب فشكر الله نعمه وأثنى ذكره فهذه دولة المماليك البحرية
والجراكسة إلى آخرها تقدم اختصارا وإن كان خارجا عما التأليف بصدده
تكثيرا للفوائد ولما في ذلك من الاعتبار لذوي الأبصار والله ولي التوفيق

(وارجع) الى ما نحن بصدده في سنة ثمانين وستمائة جاءت جيوش من التتر الى البلاد الشامية وكان ذلك في مدة سلطنة الملك المنصور قلاوون بمصر فخرج لقتالهم فكان المصاف العظيم بين المسلمين والتتر بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا أيقنوا بالبوار وانهزم التتر هزيمة قبيحة وكثر القتل والاسر فيهم وكان عدة جيش التتر ثمانين ألفا وعاد السلطان الى دمشق والأسرى والرؤس بين يديه * وفي سنة أربع وثمانين سار الملك المنصور قلاوون بعساكره ونازل حصن المرقب وهو حصن في غاية العلو والمتانة والحصانة لم يطمع أحد من الملوك الماضين في فتحه فلما زحف العسكر عليه أخذ الحجارون فيه النقب ونصبت عليه عدة مجانيق فلما تمكنت النقوب من أسوار القلعة طلب أهله الامان فأجابهم السلطان رغبة في إبقاء عمارته لو أخذه بالسيف لهدمه فيحصل التعب في إعادة عمارته فأعطى أهله الأمان على أن يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح وتسلم الحصن وقرر أمره ورتبه وارتحل الى الوطأة بالساحل وأقام بمروج ثم سار ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حمص * وفي سنة ست وثمانين سار الى قلعة صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار فأجابه صاحبها الى تسليمها بالامان فتسلمها ثم سار الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فركب طريقا اليه في البحر بالحجارة وحاصر البرج المذكور ثم تسلمه بالامان وهدمه ثم رجع الى مصر وأرسل جيشا الى النوبة فغنموا وعادوا *وفي سنة ثمان وثمانين سار السلطان بعساكره ونازل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ونصب عليها المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار وشدد عليها القتال حتى فتحها بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب بعض أهلها الى المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم ونساؤهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة فهرب اليها كثير من الفرنج رجالا ونساء فاقتحم العسكر الاسلامي البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وسبوا من فيها من النساء

الشام والسواحل من الفرنج بعد ان كانوا أسروا على أحد الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام ولله الحمد والمنة على ذلك وقبله تقدم فتح حلب سنة أربع وستين وكان التتر قد خربوا قلعتها فأمر السلطان بعمارتها فتمت في سنة احدى وتسعين وكان تخريبها في سنة ثمان وخمسين فكان لبثها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة

﴿ ذكر فتح قلعة الروم ﴾

هي قلعة على جانب الفرات في غاية الحصانة سار الى فتحها السلطان صلاح الدين قلاوون في سنة احدى وتسعين بكثير من الجيوش ونصب عليها المجانيق واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف وقتل أهلها وسبيت ذراريهم واعتصم جماعة من أهلها بالقلعة فحوصروا ورمى عليهم بالمجانيق فطلبوا الامان فلم يؤمنهم الا على أرواحهم خاصة وان يكونوا أسرى فأجابوا الى ذلك ثم أمر السلطان بعمارة القلعة ورجع الى دمشق * وفي سنة ثلاث وتسعين قتل السلطان صلاح الدين قتله بعض مماليك أبيه وتسلطن بعده أخوه الملك الناصر * وفي سنة سبع وتسعين وستمائة تجهزت العساكر من مصر ثم ساروا الى الشام ثم ساروا الى بلاد سيس وشنوا عليهم الغارات وكسروهم وغنموا وعادوا ثم ساروا مرة أخرى ونزلوا على حمص وحاصروها وضيقوا على أهلها وكان بها من الارمن جمع كثير فقل عليهم الماء واشتد بهم العطش وهلك النساء والاطفال فأخرج أهل حمص منها نحو ألف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العساكر وغنموهم واستمر الحصار فضاقت على الارمن الارض بما رحبت وهلكوا من كثرة من قتل منهم وغنم منهم المسلمون غنائم كثيرة فطلبوا الامان وسلموا حمص وحموص وجميع البلاد التي في حدود نهر جيحان ثم امامت تل حمدون بعدها ثم باقي الحصون في شوال سنة سبع وتسعين وستمائة ورتب المسلمون فيها من يقوم بها ويحميها * وفي سنة تسع وتسعين وستمائة أقبلت التتر بجموع كثيرة وعبروا الفرات الى حلب ثم الى حماه فخرجت لهم جموع المسلمين والتقوا بجمع الروم من شرقي حمص واقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت جيوش المسلمين وساق

التتر حلفهم الى غزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من المهزمين شيأ كثيرا
وأخذ أهل دمشق الإمان وملكه التتر وعصت عليه القلعة فحاصروها وصبر
المسلمون على الحصار ولم يسلموها وأحرقت الدور التي حول القلعة والمدارس ثم
ان عساكر مصر لما وصلوا الى مصر رسم لهم بالنفقة فأنفق السلطان عليهم
أموالا جليلة وأصلحوا أحوالهم وجددوا عددهم وخيولهم وخرجوا من مصر
في العشر الاول من رجب من سنة تسع وتسعين [illegible] المسلمين الذين بالشام
في الشر وساروا [illegible] فلما خرجت العساكر من مصر بلغ ذلك التتر فخافوا
وساروا [illegible] الى الديار الشرقية وخلا الشام منهم فوصلت العساكر
الاسلامية الى الشام وردوا أمراها وغيرهم وفعلوا مثل ذلك بحلب وحماة
وغيرها ولما استولى التتر على الشام طمع الارمن في البلاد التي افتتحها المسلمون
منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين كانوا بها وأخلوها من العسكر
والرجال فاستولى الارمن عليها وارتجعوا حموص و [illegible] وكوبرو وسرفندكار
والنقير وغيرها ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر
شغلان واستولى الارمن أيضا على غيرها من الحصون والبلاد التي كانت جنوبي
نهر جيحان * وفي سنة سبعمائة عادت التتر وقصدت الشام وعبروا الفرات في
ربيع الآخر وجفلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وأقامت التتر ببلاد سرمين
والمعرة وتيزين والعمق وغيرها [illegible] وكان ذلك في مدة السلطان
الناصر قلاوون فسار السلطان والعساكر الاسلامية لقتالهم من مصر ووصلوا
الى العوجا واتفق في تلك المرة تتابع الامطار الى الغاية واشتداد الوحول حتى
انقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال
فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية ووصلوا مصر في عاشر
جمادى الاولى من هذه السنة وأما التتر فانهم أقاموا ينهبون في بلاد حلب وأعمالها
نحو ثلاثة أشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على أعقابهم
بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات في أواخر جمادى الآخرة من هذه

السنة ورجع عساكر حلب الى حلب وتراجعت الجمال الى أماكنهم ولما كان أوائل هذه القصة وجاءت الاخبار الى مصر بعود التتر الى الشام أخرج غالب الاغنياء من أهل الشام ومصر ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة وأعانتهم * وفي سنة احدى وسبعمائة خرجت العساكر الاسلامية لقتال الارمن وانتشروا في بلاد سيس وحرقوا الزروع وقتلوا من وجدوه وغنموا اشياء كثيرا * وفي سنة اثنتين وسبعمائة غزا المسلمون جزيرة أرواد وهي جزيرة في بحر الروم قبالة انطرطوس قريبا من الساحل اجتمع فيها كثير من الفرنج وسوافيها احصونا وسوروا وتحصنوا في هذه الجزيرة وكانوا يطلعون منها ويقطعون الطريق على المسلمين المترددين في ذلك الساحل فاتخذ المسلمون اسطولا وساروا اليها من الديار المصرية في بحر الروم ووصلوا اليها في المحرم من هذه السنة وجرى بينهم وبين الفرنج قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكوا الجزيرة المذكورة وقتلوا وأسروا جميع أهلها وخربوا أسوارها وعادوا الى الديار المصرية بالاسرى والغنائم

﴿ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد أخرى ﴾

في سنة اثنتين وسبعمائة عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات وأقاموا عليها مدة في أزوارها وسارت منهم طائفة قدر عشرة آلاف وأغاروا على القريتين وتلك النواحي وكانت العساكر الاسلامية قد اجتمعت بحماه وأرسلوا جماعة من العسكر لقتال الذين أغاروا على القريتين فالتقوا بالتتر سابع شعبان في موضع يقال له الكوم واقتتلوا وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل بينهم جماعة كثيرة عن خيلهم وأحاط بهم المسلمون بعد فراغهم من الواقعة وبذلوا لهم الامان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا اسروج الخيل ستائر وناوشهم العساكر من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم وكان هذا النصر عنوان النصر الثاني على ما نذكره ثم عاد المسلمون الى حماه منصورين ثامن عشر شعبان

﴿ ذكر المصاف الثاني والنصرة العظيمة ﴾

ثم بعد وقعة الكوم سار التتر بجموعهم العظيمة ووصلوا الى حماه في الثالث

والعسكر بن سعبان من السنة المذكور وجا كثير من العساكر الاسلامية من دمشق ومصر وبإزاء السلطان الناصر ساق العساكر الاسلامية والتقى الفريقان في ثاني رمضان واشتد القتال بينهم واستشهد من المسلمين خلق كثير ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهزموا التتر وأكثروا القتل فيهم فولوا مدبرين لا يلوي بعضهم على بعض وحال الليل بين الفريقين فنزل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر وأشعلوا النيران فأحاطت المسلمون بهم فلما أصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يبتدرون الهرب فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم أرض موحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم أسرى وقتل بعضهم وساق كثير من العساكر الاسلامية في أثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدروا على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع أكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع وأخذت منهم العرب جماعة كثيرة وأخلف الله تعالى بهذه الوقعة ما جرى على المسلمين في المصاف الذي كان سنة تسع وتسعين وستمائة وفي سنة ثلاث وسبعمائة خرجت العساكر من مصر ودخلوا بلاد سيس وحاصروا تل حمدون وفتحوها بالامان وارتجعوها من الارمن وهدموها الى الارض

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس ﴾

عندما الدروب المجاورة لحلب وكانت كرسي ملك الارمن والارمن قوم دخلوا في الملة النصرانية وكانت مواطنهم ارمينية ثم لما ملك المسلمون بلادهم وضربوا عليهم الجزية وأخذوا منهم خلاط وكانت كرسي ملكهم فانتقل ملكهم الى سيس وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين ولما ظهر التتر دخلوا في طاعتهم وأخلوا معهم في غزواتهم الى الشام ثم صار ملوك مصر يغيرون بلادهم ويغيرون عليهم وفي أوائل المحرم من سنة خمس وسبعمائة خرجت عساكر من حلب للاغارة على بلاد سيس فدخلوها وكان أمير العسكر ضعيف العقل قليل التدبير فمشى للاشتغال بالحرب

ففرط في حفظ العسكر ولم يكشف خبر العدو واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعا كثيرة من التتر وانضم اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى عسكر حلب فالتقوا بالقرب من اياس فلم يكن للحلبيين قدرة على جاءهم فولوا يبتدرون الطريق وتمكنت منهم التتر والارمن فقتلوا وأسروا غالبهم واختفى من سلم من تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وفي هذه السنة سار عسكر من دمشق الى جبال الظنيين وكانوا جماعة مارقين من الدين فأحاطت بهم العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنيين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأمنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويخطفون المسلمين ويبيعونهم للكفار * وفي سنة ثمان وسبعمائة ملك الفرنج مدينة رودس وأخذوها من الروم قال الحافظ ابن حجر في تاريخ مصر فتحت رودس في خلافة معاوية رضي الله عنه وأمر جماعة من المسلمين بالاقامة بها فلما ولي يزيد أمرهم بالتحول خشية عليهم ففعلوا وتركوها ووضع الجزية والخراج على أهلها ثم ملكها الروم واستولوا عليها وتغلبوا ثم أخذها الفرنج منهم * وفي سنة ثنتي عشرة وسبعمائة أقبلت التتر بجموعها وجفل أهل حلب وبلادها عند سماعهم الاخبار باقبال التتر ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات ثم نازلوا الرحبة وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وأخذوا فيها النقوب فقام أهل الرحبة بحفظ القلعة أحسن قيام وصبروا على الحصار وقاتلوا أشد القتال فتجهزت العساكر الاسلامية من كل ناحية لانجادهم وأصاب التتر شدة جوع وغلاء وفناء وتعذرت عليهم الاقوات وسمعوا باقبال جيوش الاسلام فارتحلوا خائبين بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزل أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ورجعت عساكر الاسلام وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ ذكر فتح ملطية وكانت بيد الارمن ﴾

في سنة خمس عشرة وسبعمائة فتحت ملطية وهي مدينة مشهورة بأرض الروم

ذات أشجار وأنهار وهي قاعدة الثغور ويعمل بها حبال فيقال أنه كان بها أربعة عشر ألف نول يعمل الصوف وسبب تغير الخبوبن لهم بها أنه كان بها جماعة من المسلمين اختلطوا بالنصارى حتى انهم زوجوا الرجل النصراني بالمسلمة وكانت الاجناد من المسلمين لا يقطعون عن الاغارة على العدو ببلاد الروم وغيرها وكانت طريقهم في غالب الاوقات تكون قريب ملطية فاتفق أن أهل ملطية ظفروا ببعض التتار المذكورين فأخبرهم وملؤوا جانبه من المسلمين فلما جرى ذلك أرسل السلطان ناصر الدين قلاوون عسكرا صحبة من الديار المصرية فساروا الى دمشق رسم السلطان لجميع عساكر الشام بالمسير معه وكذا عسكر حماة وحلب وسار الجميع حتى وصلوا ملطية ونازلوها في الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة وأخذوا بها وحاصروها وخرج جماعة منها وطلبوا الأمان لانفسهم فأمنوا واتفق ان الباب الذي فتح لخروجهم قباله عسكر حماة فهجموا على المدينة من الباب المذكور وخرج الامر عن الضبط لكثرة العساكر الطامعة ونهبوا جميع ما فيها من أموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الا ما كان مطمورا ولم يعلموا به وكذلك اسروا جميع أهلها من المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك وقع الانكار الشام على من اسر ومثلها أو مسلمة وحرصوا الجميع فاطلق جميع المسلمين من الرجال والنساء وأما أموالهم فانها ذهبت واستمر النصارى في الرق عن آخرهم ثم لما كان من نهب ملطية ما ذكرنا ألقى العسكر فيها النار فاحترق غالبها وخرب العسكر ما أمكن من أسوارها وأقام جيش المسلمين بها يوما واحدا وليلة ثم ارتحلوا عائدين الى بلادهم وبعد ارسل الى صاحب بلاد سيس في اعادة البلاد التي في حوزته حصان وزيادة العظمة فراد العظمة حتى جعلها عشرين ألف درهم

ذكر الاغارة على سيس وبلادها

في سنة عشرين وسبعمائة برزت المراسيم السلطانية من السلطان الناصر قلاوون بتجهيز العساكر والاغارة على بلاد سيس فخرجت عساكر من مصر والشام

وحماة وحلب ودخلوا بلاد سيس في مستهل ربيع الآخر ونازلوا تلمسيس وزحفت العساكر عليها حتى دخلوا السور وغنموا أغناماً كثيرة وقطعوا البلاد والرزاعات وساقوا المواشي وكان شيأ كثيراً وأقاموا أياماً يهدمون ويخربون ورجعوا سالمين مؤيدين

﴿ ذكر فتوح اياس من بلاد سيس ﴾

في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة توجهت العساكر حتى نازلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التي في البحر فأقام المسلمون عليها مدة أعطيناها وركب المسلمون اليها طريقين في البحر الى أن قاربوا القلعة وهرب الأرمن منها وأخلوها وألقوا في القلعة ناراً فملك المسلمون القلعة وهدموا ما قدروا على هدمه وعاد كل عسكر الى بلاده * وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة في رمضان ورد الى دمشق مائة وأربعون أسيرا من بلاد الفرنج وذلك أن قاضي القضاة جلال الدين أشهد أنه جعل لكل من يحضر أسيرا ما ناعيه وكتب بذلك مكتوبا وعرف الفرنج ذلك فحملوا الأسرى من تجاراتهم واستحضروهم فأعطوا من وقف الأسرى ستين ألف درهم وأطلقوا الأسرى بحمد الله تعالى

﴿ غزوة عساكر حلب بلاد سيس ﴾

في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة غزا عسكر حلب بلاد سيس وخربوا في أدنة وطرسوس وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشي وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقيل بين ثمانمائة الى ألفي رجل من التجار المعاودة وغيرهم في يوم عيد الفطر ولله الأمر من قبل ومن بعد * وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توجهت العساكر المصرية والشامية لغزو بلاد الأرمن فنزلوا في ثاني شوال على مينا اياس وحاصروها ثلاثة أيام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب من نائب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا القلاع والبلاد التي في شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو شيء كثير وبلاد كثير

كالمسمعه وكو را والمارونه ومرقند كان واماس وناماس وعممه والمعمر خرب المسلمون وخربان التي في البحر واستباحوا في البلاد نوابا وسادوا سالمين ولله الحمد ومداينع استمل على فموج وترك الارض خسدا بلا روح * وفي سنة احدى واربعين وسبعمائه توفي السلطان الملك الناصر محمد قلاوون وأقيم بعده ولده الملك المنصور أبو بكر وفي سنة أربع وأربعين أغارت التركمان على بلاد سيس فملكوا ونهبوا وسبوا العلل من الارض * وفي سنة أربعين سكت التركمان بلعه كانت بالحيلة وهي بأيدي قلاع سيس فملكوا رجالها وسبوا النسا والاطفال فبادر صاحب سيس لاستعادتها فصادفه ابن دلغادر فاوقع بالارمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون

﴿ واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائه ﴾

قال ابن خلدون كان أهل قبرس من أمم النصرانية من بقايا الروم وانتسبون هذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر الامم النصرانية وكان على أهل قبرس جزيه معلومة يؤدونها الى صاحب مصر ومازالت من لدن فتحها على يد معاويه وكانوا اذا منعوا الجزيه تسلط صاحب الشام عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون في سواحلها حتى يستقيموا لاداء الجزيه وكان الظاهر بيبرس بعث اليها سنة سبع وستين وستمائه أسطولا من السواني فطرقت مرساها بالليل فتكسرت لكثرة الحجار المحيطة بها في كل ناحية منها ثم غلب لعهد المنصور أهل جنوه من الافرنج على جزيرة رودس جارتها من قبل لسكري صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائه وأخذوا الجزيه واقام أهل قبرس معهم بين فتنه وصلح وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرس هذه على مسافة يوم وليلة في البحر قبالة طرابلس منصبه على سواحل الشام ومصر فاطلعوا في بعض الايام على غره في الاسكندرية فاخبروا اخوانهم فعزم على انتهاز الفرصة بها في أساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافاها بها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة في أسطول عظيم يقال انه بلغ سبعين مركبا مشحونه بالعدد والعدد ومعه

الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعبى صفوفه ورجمه وقد غص الساحل بالنظارة وبرزوا من البلد على سبيل النزهة لا يأبهون بالا بما هم فيه ولا ينظرون مغبة أمرهم لعدم عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة الناصلين دون الحصون خالية وبابها القائم بمصالحها فى الحرب والسلم خليل بن عوام غائب يومئذ فى قضاء غرض له فما هو الا أن رجعت تلك الصفوف على التعبية ونصحوا القوم بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم فى بعض ثم أجفلوا الى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين فى غير وجه حيرة ودهشا وسعر بهم الاعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البز ودكاكين الصيارفة ومقاعد التجار وملؤا سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبى والاسرى وأكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تسايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى أساطيلهم ومكثوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وثار الخبر الى كافل الدولة بمصر الامير يبقا لأن السلطان الاشرف شعبان كان صغيرا وكان يبقا كافل دولته والقائم بتدبير أمر دولته فقام فى ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية بمصر فأمر الحج ومعهم الكثير من الامراء والعساكر ونياتهم فى الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر فى طريقهم باقلاع العدو فلم يثنه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرة الحرب وآثار الفساد وأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على أهل قبرس فأمر بانشاء مائة أسطول معتزما على غزو قبرس بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل فى الاستعداد لذلك واستكثر من آلات الحصار ومن السلاح وكمل غرضه من ذلك كله ثم لم يقدر على انجاز غرضه

وقعة عظيمة بناحية سيراس بين المسلمين والتتر كان النصر فيها للمسلمين * وفي هذه السنين كان ظهور تيمورلنك بالبلاد الشرقية وخراسان والعراق وكان ظهوره من أشد الحوادث والبلايا على هذه الامة أفسد في الارض وأهلك الحرث والنسل ولنذكر تلخيص ترجمته ثم نعود الى اتمام الكلام على فتوحات ملوك مصر والروم والله المستعان وسيأتي ان مسير تيمور الى الشام كان سنة ثلاث وثمانمائة وحل ابدا من الله بذلك المسير الذي كان فيه البلاء نسأل وقعه وذلك أن أول ابتداء هو الحريق الذي وقع في المسجد الحرام سنة ثنتين وثمانمائة قال النجم ابن فهد وتحدث أهل المعرفة بأن هذا ينذر بحادث جليل يقع في الناس وكان كذلك فقد وقعت المحن العظيمة بقدوم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبي دراريهم ونهب أموالهم واحراق مساكنهم ودورهم وكان ذلك الحريق الواقع في المسجد الحرام المنذر بذلك في أواخر شوال سنة ثمانمائة واثنتين في مدة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق وكان الحريق من جهة الجانب الغربي واتصل منه بالسقف فعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي الى محاذاة باب الباسطية مما كان من السقوف والاساطين وكانت السقوف كلها من الخشب الساج وصار التعمير لهذا كله بعد ذلك وأعيد السقف خشبا كما كان وفرغ من التعمير سنة ثمانمائة وأربع وكان أمير مكة الشريف حسن بن عجلان

《 ذكر ظهور التيمور 》

اعلم ان كثيرا من الناس يظن ان التيمور وقتاله وان كان يدعي الاسلام لان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل في الامة المسلمين أكثر مما تفعله الكفار من القتل والاسر والتخريب وكان من أسباب تسلطه الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكثر عليهم الشرار والخارجون وكان ذلك كله سببا لضعف دولة التتر ونهوض القيام تيمور وغيره واختلفوا في اسم تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر * وفي تاريخ ابن خلدون ان

محدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على احسانه باساءته فيتحقق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله على كل نفس خبيثه أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها فأرسل غياث الدين يقول له أما كنت خادما لي وأحسنت اليك وأسلفت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلاب فلم يصغ لذلك بل عبر جيحون بمن معه من الجند وتوجه الى محاصرة مولاه غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا ثم عاد الى خراسان فانتقم أولا من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم ووصفه بعضهم بقوله وكان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس أبيض اللون مشربا بحمرة عظيم الاطراف عريض الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج اليمين وعيناه كشمعتين جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من ابهته وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقادم اليه يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته واذا أرادوا منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال يعدو نحوه ممتثلا أمره ودخل تحت طاعته ملوك السلجوقية أصحاب قونية كما كانوا اذا خلين تحت طاعة التتر وللممالك أصبهان وعراق العجم والري وفارس وكرمان بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم وخربت ديارهم وسبيت نساؤهم خافه السلطان أحمد ابن أويس المتملك ببغداد بعد التتر كما تقدم فجمع عساكره وأخذ في الاستعداد له ثم عدل الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تيمور يخادعه

وعلى نفسكم عادتم فلا تلوموا
الا أنفسكم ... ان لا نعم والعساكر لا ترد ولا تدفع
ودعاؤكم لا ... فهم الجمعوا بسكم الايام فاسروا
بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير
الحق وبما كنتم تفسقون وتقولون انه قد صح عندكم أنا كفرة فقد ثبت عندنا
انكم فجرة وقد سلطنا عليكم من بيده أمور ... وأحكام مقدرة فعزيزكم عندنا
ذليل وكبيركم لدينا قليل وقد أوضحنا لكم الخطاب فاسرعوا برد الجواب قبل أن
ينكشف الغطاء وتحصل علينا منكم الخطا وترى الحرب نارها وتلقى أوزارها
وتدعون منا أعظم داهية ولا تبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي الفنا هل
تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا الآن فقد أنصفنا كم اذ راسلنا كم فردوا
رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام فلما سمع السلطان بروقوق هذا الكتاب
اغتاظ غيظا عظيما وأمر بكتابة الجواب فكتب الجواب بانشاء ابن فضل الله
العمري وصورته بعد البسملة والاصدار قد حصل الوقوف على كتاب ورد
فقولكم انكم مخلوقون من غضبه مسلطون على من حل عليه غضبه وانكم
لا ترقون لشاكي ولا ترحمون عبرة باكي وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك أكبر
عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين فلنا بأيها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل
قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم أنتم الكفرة كما زعمتم الا لعنة الله
على الكافرين نحن المؤمنون حقا لا يدخلنا عيب ولا يضامنا ريب القرآن
علينا نزل والرب بنا رحيم لم يزل انما النار لكم خلقت ولجلودكم أضرمت اذا
السماء انفطرت ومن أعجب العجاب تهديد الرتوت بالموت والسباع بالضباع
والكماة بالكراع وخيولنا برقية وسهامنا ماضية وسيوفنا ... المضاربة
وذكرنا في المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلتمونا فبيننا وبين
الجنة ساعة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم

يرفون وقولكم فنحن منا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار الفرار من الرزايا لا من المنايا ونحن من الطائفة على عادة الامية ان قتلنا فشهداء وان عشنا فسعداء ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين تطلبون منا طاعة لا سمعا لكم ولا طاعة وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا فقبل أن يكشف الغطاء يدخل علينا منكم الخطأ هذا الكلام في نظمه تركيك وفي سلكه تفكيك لو كشف لبان بعد التبيان أكسر اهدا يمان واتحاد رب ثان لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا قل لكاتبك الذي وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصرير الباب أو كطنين الذباب سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب فما وصل الكتاب الى تيمور رغضب غضبا شديدا وقدر الله وفاة السلطان برقوق بعد ذلك بقليل وكان تيمور رألقى الله الرعب في قلبه من السلطان برقوق فلما بلغه خبر وفاته استبشر وأنعم على مخبره بخلعة مستكثرة وكانت وفاته في سنة احدى وثمانمائة وأقيم بعده في السلطنة ولده الملك الناصر فرج فأخذ تيمور في التجهيز بالجيوش لقصد بلاد الشام والروم وكان في نفسه من قتل السلطان برقوق قصادة من اعانته السلطان أحمد بن أويس على تملك بغداد وكان في نفسه أيضا على السلطان بايزيد العثماني لانه تملك بلادا كثيرة كانت للسلطان السلجوقي وقرابته تملكها السلطان بايزيد بعد وفاته وكان السلطان السلجوقي قد كاتب تيمور وأعطاه الطاعة خوفا من السلطان بايزيد وكانت تلك البلاد لبنى قلج أرسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين افتتحوها وأقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية وأضافوا اليها كثيرا من أعمال الارمن ومن ديار بكر فاتسعت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم قونية ومن أعمالها أقصرا انطاكية والعلايا وطرل ودمرلو وقراحصار ومن ممالكهم ادربيجان ومن أعمالهم

كان قد قبل أن يصل إليه خبر مهاجم اختار على حمص فحاصرها ونصب عليها
المجانيق وهدم بعض قلاعها ثم أخذها صلحا ثم نازل حلب تاسع ربيع الأول من
السنة المذكورة وكان بها من العساكر الإسلامية جمع كثير من دمشق
وطرابلس وحماة وصفد وغزة وغيرها فاختلفت آراؤهم بين قائل ادخلوا المدينة
وقاتلوا من الأسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد بالخيام وكان الأمير على حلب
نائب السلطان بها الأمير دمرداش الخاصكي فلما رأى اختلافهم أذن للناس في
اتباع البلد والتوجه حيث شاؤوا وكان من الرأي أن يقاتلوا بعساكرهم وأخذوا برأيه
فخرجوا بأمرهم بظاهر البلد تجاه العدو وحضر قاصد مرسل من تيمور فقتله
الأمير القائم على عسكر دمشق قبل أن يسمع كلامه وتبين بالفعل ذلك في اليوم
العاشر من ربيع وقع قتال يسير وفي الحادي عشر زحف تيمور بجيوشه
وفيلته فهزم المسلمين خلق كأمواج البحر وولوا على أدبارهم منهزمين نحو البلد
وازدحموا على الأبواب ومات منهم خلق كثير والعدو وراءهم بالقتل والأسر وطلعت
أمراء عساكر المسلمين بالقلعة ومعهم خلق كثير فاقتحمت عساكر تيمور
المدينة وامتدت أيديهم في أقطارها وجالت خيولهم بأرجائها سفكا ونهبا وأسرا
واحتمى بالمساجد خلق كثير من النساء المخدرات والبنات وغيرهم فأنزلوا
عليهم وقتلوهم أسرى في الحال وأسروا وبائن قتل كثير من الرجال والأطفال
ونهب الأموال وتخريب المنازل واغتصاب الأبكار وإنزال الشرور واستمر
الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام ثم شرعوا بعد ذلك في نقب القلعة وهدم
الخندق وكان المسلمون قد جعلوا أكثر أمرائهم بالقلعة ثم اعتصم بها الأمراء
وخلق كثير فلما رأى دمرداش أمير حلب اشتداد الأمر نزل مع طائفة من الأمراء
من القلعة يطلبون الأمان فأجابهم تيمور وخلع عليهم ثم طلب أن خاطرهم فنزل بقية
أصحابهم من القلعة كل أمير مع طائفته فطلب تيمور كل رجلين في قيد وفرقهم في
قومه ثم أذن لهم في النهب قال ابن الشحنة أخذ القلعة بالأمان والأيمان التي ليس
معها إيمان وفي ثاني يوم صعد تيمور إلى القلعة وأقام حفلا حضره سرور وأصحابه

لا عبد الجبار مثل ذلك فقال لابن الشحنة يشير من كرمه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أصحابه أي تيمور معه و بعصره ان ابن الشحنة فقال ابن الشحنة جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ومن قاتل منا ومنكم لاعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمور خوب يعني طيب واستحسن ذلك الجواب وقال عبد الجبار ما أحسن ما قلت وانفتح باب الانس فقال تيمور اني رجل نصف آدمي وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله اني لم أقتل أحدا قصدا وانما أنتم قتلتم أنفسكم في الابواب يعني الازدحام ووالله لا أقتل منكم أحدا يعني الآن وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة من العلماء وطمع كل واحد من الفقهاء الحاضرين في التقدم وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المجلس بين طلبته والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول اسكتوا ليجاوب هذا الرجل يعني ابن الشحنة فانه يعرف ما يقول وآخر سؤال سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأسر القاضي شرف الدين الى ابن الشحنة وكان الى جانبه وقال اعرف كيف تجيبه فانه شيعي فلم يفرغ من كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين القفصي الصيفي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهد فغضب تيمور غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وأنتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذ ابن الشحنة في ملاطفته بالاعتذار عن المالكي بانه أجاب بشيء وجده مكتوبا في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ عبد الجبار يباسط ابن الشحنة والقاضي شرف الدين فقال عن ابن الشحنة هذا عالم مليح وقال عن القاضي شرف الدين هذا رجل فصيح فسأل تيمور ابن الشحنة عن عمره فقال مولدي سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقد بلغت

وفى ثانى يوم أرسل يطلب علماء حلب فحملوا اليه والمسلمون فى أمر مريج وفى قطع رؤس فقال العلماء لما طلبوا اما الخبر فقيل لهم ان تيمور طلب من عسكره أن يأتوه برؤوس من المسلمين على عادته التى كان يفعلها فى البلاد التى يأخذها فخاف العلماء أن تقطع رؤسهم وتحمل اليه مع ما وقع لهم من الامان منه فلما وصلوا اليه أرسلوا اليه رسولا يقول له انهم قد حضروا وهو قد حلف أن لا يقتل أحدا منهم صبرا فجاء الرسول وهم ينظرون اليه من بعد وهو يأكل من لحم سليق بالغ بيديه فى طبق فتكلم معه يسيرا ثم أرسل اليهم بشئ من ذلك اللحم ليأكلوه فلم يمرعوا من أكله الا ورمحة قائمة وتيمور صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاء أمير يعتذر الى العلماء وقال لهم ان سلطانا سالما يأمر باحضار رؤس المسلمين انما أمر بقطع رؤس القتلى وأن يحمل لماقبة اقامة لحرمته على جارى عادته ففهموا منه غير ما أراده وانه أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تيمور من ساعته وتوجه نحو دمشق فعاد علماء حلب الى القلعة ورأوا أن المصلحة فى الاقامة بها وأخذ الأمير موسى فى الاحسان اليهم وقبول شفاعتهم وتفقد أحوالهم مدة اقامته بحلب وأما تيمور فانه توجه قاصدا دمشق وكان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق قد جاء من مصر بعساكره لتحصين حمايتها من تيمور وجاء معه الخليفة العباسى الذى كان بمصر وهو المتوكل على الله فلما دخل الملك الناصر فرج دمشق أقام بها يومين ثم خرج فى اليوم الثالث وخيم بقبة يلبغا

﴿ ذكر دخول تيمور دمشق ﴾

فى اليوم العاشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانمائة حلت عساكر تيمور بأطراف دمشق وظهر بعض عسكر تيمور على جبل مما يلى عقبة دمر وهم مقدار ألف فارس فخرج اليهم من عسكر الملك الناصر فرج دون المائة فاقتتلوا معهم فانهزم أصحاب تيمور هزيمة قوية ثم رجعوا على عسكر الملك الناصر وقبضوا على ثلاثة فوارس وجاؤا بهم الى تيمور وأمر عساكره تلك الليلة أن يضرموا نارا عظيمة فى مواضع متعددة تخييلا للسلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ان

حرقوا ما بين الجامع والقلعة بالنار وذلك نحو من ثلث البلد ثم سلم الناس الذين كانوا محاصرين فى القلعة بعد تسعة وعشرين يوما من الاستيلاء على البلد وجمعت الاموال التى قرروها ثانيا وحضرت بين يديه فقال لابن مفلح وأصحابه هذه ثلاثة آلاف دينار بلادنا وقد بقى عليكم سبعة آلاف ألف ألف أراكم عجزتم عن الاستخلاص ثم طلب منهم ما تركه العسكر من كل شيء ثم طلب جميع ما فى البلد من الاموال والدواب فكان عدتها نحو اثنى عشر ألفا ثم طلب جميع ما فيها من السلاح فلما انقضى ذلك كله أمر باستكتاب خطط دمشق وكتب بها أوراقا وفرقها على أمرائه وحينئذ طمت الامواج ونزل كل أمير فى خط وطالب سكان ذلك الخط فكان الرجل يطالب بالمال الثقيل الذى لا يقدر عليه فاذا امتنع عوقب بأنواع العذاب ثم تخرج نساؤه وبناته فيوطأن بين يديه فأقاموا على ذلك تسعة عشر يوما فلما علموا أنهم قد أتوا على ما فى البلد خرجوا منها وهجم عليهم بعد خروج الامراء بقية عساكرهم كالجراد المنتشر فانتهبوا ما بقى وسبوا النساء والشباب والرجال وتركوا الاطفال وأطلقوا النار فى الجامع والبلد فاحترقت حتى صارت ترمى بشرر واستمر ذلك ثلاثة أيام حتى اندرست رسومها * وفى ثالث شعبان ركب تيمور وسار نحو حلب راجعا لبلاده وكانت مدة اقامته بدمشق أربعة وسبعين يوما ثم بعد رحيله كل من بقى يعدو عليهم ويعريهم البادية والفلاحون وجرى عليهم منهم ما لا يجرى من تيمور * وفى السابع عشر من شعبان وصل تيمور الى الحول شرقى حلب ولم يدخل حلب بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة وإحراق المدينة وقتل كثير من الناس فعملوا ثم رحلوا من القلعة قال ابن الشحنة فبقيت النار تضرم فى أرجائها وبعد ثلاثة أيام ارتحل عنها من كان بحلب من أصحاب تيمور ولم يبق من التتر أحد ولم يقدر ما أحد على الاقامة بينه من النتن والوحشة ولا يمكن السلوك فى الازقة من ذلك ثم عمرت حلب وتراجع الناس وجاءهم أمير من السلطان * وفى سنة أربع وثمانمائة كان مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد بن مراد

﴿ ذكر القتال الواقع بين تيمور والسلطان بايزيد ابن السلطان مراد ﴾

سبب مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد أن جماعة من ملوك الطوائف ببلاد
الروم الذين انتزع ملكهم السلطان بايزيد ساروا الى تيمور يشكون اليه من
السلطان بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستنجدون به عليه في رد ملكهم فأجابهم
تيمور الى سؤالهم فساروا في سنة أربع وثمانمائة الى بلاد الروم وأرسل للسلطان
بايزيد في الصلح على قدم من المكر والدهاء وكتب للسلطان بايزيد انك رجل
مجاهد في سبيل الله وأنا لا أحب قتالك ولكن انظر أي البلاد التي كانت مع أهلك
وحدك فادفع بها وسلم الي البلاد فلما وقف السلطان بايزيد على كتابه قال لرسله
أتخوفني بهذه الترهات وتسميني بهذه الخزعبلات أو تحسب أني مثل ملوك
الاعاجم أو التتر الذين الاعجام أو ما تعلم أن أخبار عندي أن أول أمره سراق
سفاك الدماء ناقض العهود الى غير ذلك من أمثال هذا الكلام وكتب له الجواب
على هذا المنوال وكان السلطان بايزيد في تلك السنة محاصرا مدينة القسطنطينية
وقد قارب أن يفتحها فتركها وتوجه لقتال تيمور وأجرى عساكره كالسيل
الماضي وكان قد استخدم عنده كثير من عسكر التتر حتى صاروا أكثر جنده
فأرسل تيمور الى زعمائهم ورؤسائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قد نزل
بقرب أنقرة فجاءه السلطان بايزيد بجيوشه ووقع القتال الشديد بينهما ثم اندفع
التتر من عسكر السلطان بايزيد وانضموا لعسكر تيمور كما وعدوه واستمر القتال
من الصبح الى العصر فانهزمت عساكر السلطان بايزيد وصار السلطان
عليه أسيرا بيد تيمور وأكثروا القتل والفساد وكان ذلك يوم الاربعاء سابع
عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانمائة ورجع به تيمور الى سمرقند فمات
وتوفي هناك رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة وقسم تيمور بلاد الروم على الملوك
الذين استنصروا به وزعموا أن السلطان بايزيد انتزعها منهم ثم ان السلطان محمد
ابن السلطان بايزيد ارجع ذلك الى ملكه لما استقرت السلطنة له كما سيأتي

وفي سنة خمس وثمانمائة انعقد صلح بين تيمور وسلطان مصر وحصل بينهما مودة ومهاداة وأرسل تيمور الى سلطان مصر هدية وفيلا * وفي سنة ست وثمانمائة عدا قرا يوسف حاكم أذربيجان على السلطان أحمد بن أويس وانتزع بغداد منه ورحل السلطان أحمد الى حلب ودخلها في زي فقير ثم مشي عسكر تيمور على بغداد وكسروا بها قرا يوسف وهزموه وأخذوا بغداد وتوجه قرا يوسف هاربا الى الشام فأمسك وحبس حسب مرسوم سلطان مصر ثم ورد مرسوم بطلب السلطان أحمد من حلب وارساله الى دمشق ثم ورد مرسوم آخر بامساكه واعتقاله بها فأمسك * وفي سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمور بمدينة ترار وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتملك بعده حفيده خليل بن أميرشاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك من التركمان الى أن انتزعها منهم اسماعيل شاه سلطان العجم ثم انتزعها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتيمور عقب كان منهم سلاطين في الهند ولنرجع الى اتمام الكلام على فتوحات سلاطين مصر ثم نذكر ابتداء الدولة العثمانية وفتوحاتها اعلم أن سلاطين مصر بعد السلطان برقوق كثرت بينهم الفتن لاجل طلب السلطنة واستمر الحال الى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباي فجهز جيوشا لقتال أهل قبرس

* ذكر تجهيز الجيوش لقتال أهل قبرس *

قال العلامة القطبي قبرس بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام وهي جزيرة في البحر الشامي مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع وأشجار ومواش وبها معدن الزاج القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام مجريان في البحر وقد تكرر استيلاء المسلمين عليها وانتزاع الكفار اياها وقد تقدم أن أول من غزاها معاوية رضي الله عنه وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا ثم غزاهم ثانية فقتل وسبى سبيا

الماعوص سنة ٨٢٧ فانهبوها وأحرقوا ماتها من القرى وما دساحاها من المراكب وقتلوا وأسروا وقدموا سالمين غانمين وكان عدد الأسرى ألفا وستمائة نفس ٭ وفي سنة ثمان وعشرين جهز جندا كثيرا وتوجه صحبتهم عدد كثير من المتطوعة وساروا الى دمياط وكان ملك قبرس بعث تسعة أغربة يقفون على فم دمياط لمنع الاغربة من الدخول في البحر الملح فلما أبصر وامراكب المسلمين وجيوشهم انهزموا بغير قتال ثم توجه المسلمون من جهة طرابلس فوصلوا الى الماغوصه وطلع الخيالة وأكثر المشاة الى البر وصرنوا خيامهم وأرسل صاحب الماغوصة يطلب الامان فاعطوه ثم ركبوا في الحال وداسوا من قدروا عليه وأوسعوهم نحريقا وتخريبا وأوقع الله الرعب في قلوب الكافرين حتى كان الثلاثة من المسلمين ينتصرون على أكثر من مائة كافر وجاء أخو صاحب قبرس في ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فلم يقدر أن يقدم فرجع من غير قتال فلما تمت للمسلمين هذه الحالة في الماغوصة قصدوا الملاحة وأحرقوا ما مروا عليه الى مكان يقال له رأس العجوز فحموا هنالك وجهزوا من الغنائم شيأ كثيرا ثم ساروا في المراكب وحاصروا الحصن الذي هناك الى ان أخذوه عنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والاسرى وأحرقوا الحصن وكان عدة من قتل من الفرنج في شهرين خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزوة الا ثلاثة عشر نفرا ثم رجعوا ثم بلغ الاشراف أن صاحب قبرس أرسل الى ملوك الفرنج يستنصرهم على المصريين يشكو عليهم ماجرى على بلاده فأرسل كل منهم له طائفة من المراكب والفرسان فأمر الملك الاشرف بزيادة تجديد مراكب وبذل الاموال حتى كان عدة تلك المراكب مائة قطعة وأريد ندب الناس لجهاد الكفار فأجابه الى ذلك كثير من الامراء والعساكر والمتطوعة وساروا منترحين في شعبان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلما وصلوا الى الليمسون وجدوا الحصن الذي كانوا خربوه قد عمر وشحن بالمقاتلة فأحاطوا به وصعدوا على سلالم فملكوا البرج الاول وهزموا الفرنج ثم أحاطوا بقرية من قرى قبرس فطلب أهلها الامان

بأمرهم ثم أرسلوا الرسل الى ملك قبرس يدعونه الى الطاعة فأبى ووصل الرسول فهاج المسلمون لمقاتلته والمعوا بجمود فقاتلوهم واشتد الامر فاتفق ان ملك قبرس أراد الهرب فركب ثم وقع من فرسه فأركبوه فوقع ثانيا فاركبوه فكانه الفرس فاندهش قومه من ذلك وانهزموا وولوا الادبار فرآه بعض الارال وأراد قتله فصاح أنا الملك فأسروه واستمر المسلمون خلف الافرنج ويشتمونهم سلاقهم زالوا كذلك الى أن غربت الشمس وكان جملة من قتل من الافرنج في ذلك اليوم ستة آلاف ونهب ملك قبرس وقتل أخوه ولم يسلم من الافرنج الا من بادر الى البحر وركب وهرب وملك المسلمون كثيرا من أموالهم ثم حمل ملك قبرس الى مصر وطيف به ثم فرر واعلنه مائتي ألف دينار يحمل منها وهو بمصر النصف ويرسل النصف اذا رجع والزم بحمل عشرين ألف دينار كل سنة وألف وسقوق وكان الافرنج قد طمعوا في تلك السواحل فلما وقع هذا الفتح عظم فرح المسلمين وانقطعت اطماع الفرنج من علكهم بلاد المسلمين قال بعض المؤرخين ومن مناقب السلطان برسباي انه أحد بلاد قبرس وأسر ملكها وهو في تخت مملكته بمصر لم يتحرك

﴿ ذكر الغزو الى رودس ﴾

في سنة أربع وأربعين وثمانمائة جهز الملك الظاهر جقمق سلطان مصر ستة عشر غرابا مشحونة بالمقاتلة للغزو الى بلاد رودس ثم في سنة خمس وأربعين اهتم لذلك اهتماما كثيرا ثم في سنة سبع وأربعين وثمانمائة سارت المراكب المجهزة لغزو رودس في جمع كثير ونزلوا الى قشتيل ووقع بينهم وبين من فيه من الكفار قتال وقتل جمع من الطائفتين واشتغل بعض المسلمين بالنهب فلولا من الفساد كان فتحوه ولم يحصلوا على طائل وقتل من المسلمين أكثر من مائة وجرح أكثر من خمسمائة قال البدر العيني كانت سفرتهم هذه بلا فائدة لعنه وارتجاعهم عنه بما الملك ولما وصل المسلمون الى رودس وجدوا أهلها مستعدين استعدادا هائلا وهي محصنة ثم لاب الحصار والقتال بكل ما أمكن فقدر ثم حصل القتال

بينهم فعادوا من غير ان ينالوا طائلا وفى تاريخ القرمانى عن هذا انه ذكر ان فى سنة خمس وأربعين انتصر الجيش المصرى الى رودس ورجعوا ومعهم بنت الملك وكثير من الاسرى ومن السبى من النساء والصبيان وصحبتهم من الذهب العين ثمانية عشر صندوقا يبلغ ما فيها نحو ثلاثة قناطير من الذهب ومعهم أيضا اثنتا عشرة جرة من النحاس مختومة الفم بالرصاص فى كل جرة قنطار ونصف من الذهب وغير ذلك من الجواهر واليواقيت والتحف أخذ ذلك كله من قلعة قشتيل من أعمال رودس وهدمت القلعة فى هذه الغزوة * وفى سنة ست وستين وثمانمائة بعث الملك الظاهر خوش قدم سلطان مصر تجريدة من العسكر الى قبرس لتقرير الملك لصاحبها القائم بها ودفع المتغلبين عليه ففعلوا ذلك وعادوا سالمين وفى هذه السنين انتشرت فتن كثيرة بمصر زيادة عما كان قبل ذلك وكلها كانت بين الامراء بمصر لطلب السلطنة فضعف أمر الغزو والجهاد منهم وظهرت قوة للدولة العثمانية بأرض الروم وأكثروا الغزو والجهاد وفتحوا كثيرا من البلاد فلنذكر ما حصل الوقوف عليه من ذلك على سبيل الاختصار

﴿ ذكر الدولة العثمانية وفتوحاتها ثبت الله ملكهم ووفقهم لما يحبه ويرضاه ﴾

اتفق العلماء على أن من وقف على سير الدول الاسلامية يعلم علما قطعيا أن الدولة العثمانية سيرتهم من أحسن سير الدول الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين لانهم متمذهبون بمذهب أهل السنة صحيحو العقيدة ناصرون لاهل السنة قائمون بتعظيم الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ليس عندهم شئ من البدع والابتداع ولهم الفتوحات الشهيرة والجهاد والغزوات الكثيرة قائمون بشعائر الإسلام لاسيما فى الحرمين الشريفين فان لهم فيهما الصدقات والخيرات الكثيرة وقائمون أيضا بشعار الحج وتأمين الطرق للحجاج والزوار فيجب على كل مسلم أن يدعو لهم بالتثبيت والتأييد والاعانة والنصر والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه واشتهر أنهم من التركمان وأن نسبهم ينتهى الى يافث بن نوح عليه السلام وقيل ان أصلهم من العرب وقد ذكر العلامة السنجارى فى تاريخه نقلا عن صاحب درر

السلطان علاء الدين قرباو دارئة ولم يزل الامير أرطغرل يجاهد في سبيل الله حتى
توفي في سبيل الله سنة تسع وثمانين وستمائة فتأسف عليه وعين مكانه ولده الامير
عثمان فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجهاد وعلم بحالته في فتح
البلاد أكرمه وأمده بأنواع الاضافة والامداد وجعله سلطانا مشاركا للسلطان
علاء الدين في السلطنة وأرسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل
والزمر ولما ضرب الطبل بين يدي (السلطان عثمان) نهض قائما على قدميه اعظاما
للسلطان علاء الدين ومازال قائما حتى فرغوا من ذلك اليوم كان دين العساكر
العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة في الاسفار والاعياد
وكانت سلطنة السلطان عثمان سنة تسع وتسعين وستمائة وكانت سلطنته على البلاد
التي افتتحها أبوه والتي افتتحها هو قبل أن يتسلطن منها مدينة قراحصار وحصن
قرا وقصبة وبني كوي وقلعة بلاجك ومدينة يني شهر وغير ذلك ولما تسلطن جعل
كرسي سلطنته قراحصار ثم نقله الى يني شهر وكان كثير من التتر تغلبوا على بعض
ممالك السلجوقية فقاتلهم أبوه ثم قاتلهم هو وأبادهم وانتزعها منهم قبل أن يتسلطن
وكان ذلك من جملة أسباب محبة السلطان علاء الدين له قال بعض المؤرخين ان
الوقوف على ترجمة هؤلاء السلاطين وفتوحاتهم العجيبة يستوجب أن يعتقد
أنهم أعظم ملوك الاسلام فان كل واحد منهم عمل أعمالا باهرة وغزا غزوات قاهرة
يستحق أن تخلد في بطون الاسفار لكي يقتدي بهم الملوك الذين يأتون بعدهم
ويعلموا أن أعمال هؤلاء السلاطين تستحق أن تقدم على أعمال الأكاسرة
والقياصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت أسماؤهم في كتب التواريخ
ومن طالع تواريخ هؤلاء السلاطين تظهر له عظمة أعمالهم وبطشهم وشجاعتهم
التي تأمر ابها جميع الدول المحيطة بهم فكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون
المشيدة ويقهرون الجبابرة الذين لا م و يتسلطون على الممالك برا و بحرا الى أبعد
مكان فكانت ترتعد من سطوتهم قلوب جميع الدول الافرنجية ويعطونهم الطاعة
والخضوع وكان السلطان عثمان جدهم وواسطة عقد هم ومؤسس دولتهم وكان

السلطان علاء الدين قد كبر وشاخ وطعن في السن حتى أن أمر ملك السلطان عثمان لانه تولى السلطنة سنة أربع وخمسين ستمائة واستمر الى أن توفي سنة سبعين وتسع مائة لكنهم عجب تدينه واسا ... مع صغرهم عن حفظها وآخرهم في السلطنة ثم السلطان مسعود بن كيكاوس وتوفي مسعود سنة ثمان سبعمائة واصحاب دولتهم وكان لهم من البرغسا كركمير كانوا مستقلين لهم فاستولى عليهم السلطان عثمان وبنو ... ن بعد وصارت الممالك كلها بأيديهم ومن الممالك التي افتتحها السلطان عثمان بعد سلطنته حصن الصفصاف المعروف بطلعة سلحل وكان الخليفة هرون الرشيد غزا بنفسه الروم فتح هذا الحصن ثم استولى عليه الكفار واستمر بايديهم الى ان افتتحه الغازي السلطان عثمان المذكور وسائر ذكر بعد فتوحاته وكان السلطان عثمان المذكور ملكا عادلا زاهدا في الدنيا عاملا في الآخرة مجاهدا في سبيل الله مجاهدا راعيا الاطفال وعن الايتام والارامل ومن زهده في الدنيا أنه لما توفي لم يترك من المال شيئا واعارك اعقاب الخيل وسائر العمر التي وجدت في نواحي روسا باسم السلاطين العثمانية من نسل تلك الاعمام وترك أصابعه وفاته قطعا وعمامة ونقص ساطور من القطن وملعقة وملحة وسلطان ماركه خرج من صلبه السلاطين العظام الذين شيدوا أركان الاسلام وكان رضي العقيدة على عقيدة أهل السنة محبا لصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن اليهم ويعظمهم ويعزهم ويحبهم وكان شديد التعظيم لشعائر الدين وللقرآن العظيم مما يحكى أنه نزل أن السلطان سافر الى موضع ونزل في طريقه ضيفا عند انسان فلما أراد النوم هيأ له صاحب المنزل موضعا للنوم فيه فلما دخل ذلك الموضع رأى مصحفا معلقا في جدار ذلك الموضع فكبر عليه أن ينام وذلك المصحف معلق بذلك الموضع ورأى أن ذلك يخل بتعظيم القرآن فوقف على قدميه قائما الى الصباح مستقبلا للمصحف ويداه على صدره وذلك دليل على قوة ايمانه وصحة اعتقاده رحمه الله تعالى وكان كثير التردد الى الشيخ العارف بالله تعالى أده بالي القرماني فرأى السلطان عثمان

ليلة في منامه أن قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل في حضنه ثم نبتت من سرته شجرة عظيمة ملأت أغصانها الآفاق ورأى تحتها جبالا راسيات وتجرى تحتها عيون وأنهار والناس يشربون من تلك المياه ويملؤن منها ويتمتعون من تلك المياه فلما استيقظ السلطان عثمان قصد الشيخ المذكور وقص رؤياه عليه فقال له الشيخ وكان من المكاشفين لك البشرى بمنصب السلطنة وسيعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك والى زوجتك ابنتى هذه فقبلها السلطان عثمان وتزوج بها فولدت له أولادا منهم السلطان أورخان وهو جد السلاطين آل عثمان أيد الله دولتهم على ممر الزمان وبسط الكلام على فتوحات السلطان عثمان الغازى وغزواته مذكورة في التواريخ المبسوطة لاسيما التواريخ التى باللسان التركى وكذلك مناقبه وبقية سيرته كل ذلك شيء طويل مذكور في التواريخ المذكورة وانما الذى يمكن ذكره هنا من ذلك شيء يسير من مناقبه وغزواته وفتوحاته فمن غزواته وفتوحاته قراحصار وجعلها كرسى مملكته كما تقدم الى أن فتح ينى شهر فنقل كرسى مملكته اليها ثم فتح حصن يار حصار وقصبة اينه كول وينى شهر وأظهر فيها شعار الاسلام * وفى سنة ستمائة اشتغل بقتال الكفار فى طرف أزنيق حتى أجبرهم أمره مقدار خمس سنين فارسل صاحب أزنيق الى ملك الروم صاحب القسطنطينية يستنجد به فامده بجيوش كثيرة فى سفائن عديدة فلما وصلوا الى الساحل من طرف يلاق أوه كمن لهم المسلمون فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فلم ينج منهم الا الشاذ النادر وفى غضون ذلك توفى السلطان علاء الدين السلجوقى فى سنة ستمائة وكثر الهرج والمرج فى بلاده فالتحق أكثر عساكره بالغازى السلطان عثمان كذلك * وفى سنة سبع وسبعمائة فتح السلطان عثمان مرمره وفى هذه السنة اتفق كثير من ملوك الروم على قتال السلطان عثمان المذكور فاجتمعوا فى جحافل كثيرة نحو ثلاثين ألفا فقاتلوا المسلمين أمام قيون حصارى فكان يوما شديدا على الكفار قتل فيه كثير من الكفار ومن رؤسائهم وهرب الباقون وتحصنوا بحصن من أعمال بروسا وفاز المسلمون

وسبعمائة ومولده سنة ست وخمسين وستمائة وعمره تسع وستون سنة ومدة ملكه ست وعشرون سنة ولما توفي كان بيده الممالك التي افتتحها هو وأبوه أرطغرل والممالك التي افتتحها السلجوقية فكانت بأيديهم وكان ملكهم لها على التدريج في سنين متعددة وهي قونية ووان واقصرا وقيسارية وسيواس وبلاد آيدين ومينيا وصار وخان وحميد وكرسان وبرقسطموني وأسكورية وملطية ومرعش والبستان وتوقات وأماسية وبكسار وأررجان وسامسون وحانيق وعنتاب وتسلطن بعده ولده (أورخان) في اثنتين سنة سبع وعشرين ولما توفي السلطان عثمان جاء الخبر لابنه السلطان اورخان وهو محاصر مدينة بروسة كما تقدم

﴿ ذكر فتح بروسا ﴾

ثم انه بذل جهده في حصار أهلها وقتالهم حتى افتتحها واستولى على القلعة وأسكنها المسلمين وجعلها دار الاسلام بعد أن كانت معقلا لأهل الاوثان والاصنام ونقل كرسي مملكته اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والايتام والغرباء وهذه المدينة من أعظم المدن الاسلامية وأعمرها وهي مدينة كثيرة الثمار والعيون

﴿ ذكر فتوحاته في بلاد اليونان ﴾

ولما نقل السلطان أورخان كرسي الملك الى مدينة بروسة أخذ في الاهتمام والاستعداد لافتتاح مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح أكثر بلادها وعامل أهلها بالشفقة والرحمة حتى ان كثيرا من النساء الروميات اللاتي فقدن أولادهن ورجالهن في تلك الحروب كن يستأذن به ويقفن على قدميه ويطلبن منه المساعدة والرعاية فكان يلاطفهن بالكلام ويمن عليهن بما يسر خواطرهن فمالت اليه قلوب الناس ومازال يتقدم في فتوحاته حتى أشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز كليبولي واختار ابنه سليمان بوغار شسق قلعة وفتح مدينة كليبولي وهي مفتاح القسطنطينية وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان أورخان بعساكره ففتح حصون قيسون

حصاري وفتح أزنيد وفتح مدينة أزنيوب وكانت من معظم بلدان الكفار وغنم
غنائم فيها المسلمون منها غنائم كثيرة وفتحوها كثيرة ٥ وفي سنة ثمان
وخمسين وسبعمائة أمر السلطان أورخان ولده الامير سليمان أن يعبر البحر
الابيض الى طرف روم ايلي للجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فعملوا ألواحا
شبه السفن فركبوا عليها في الليل من غير علم الكفرة وصاروا الى ذلك البر
فنادوا حصنا يسمى جناقلعه ونزلوا عليه عامة ثم هجموا على قلعة أخرى
ونزلوا عليها ايضا

﴿ ذكر القتال مع اهل كليبولي ﴾

وكان الامير سليمان بن أورخان الله كوكه على جانب عظيم من الشهامة والعدالة
فلما رأى الكفار حسن سيرته وسريرته وبسط عدله اطاعوه ودخلوا في
طاعته فصار أمر المسلمين يسمو وصيتهم ينمو فخرج لقتالهم صاحب كليبولي في عسكر
كبير وكان المسلمون في عسكر قليل فتوكلوا على الله وتوسلوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم والتقوا فانهزم الكفار وانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون
منها مدينة كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر وبينها وبين القسطنطينية
ستة وثمانون ميلا وامكن منها قلعة بولاير وقلعة جزيره رل وهي بلاد نشيه
ومنها قلعة تكور داغ وكذا سكفور طاغي وغير ذلك واخرب الكنائس والبيع
وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور
للصيد راكبا على الفرس فكبا به فوقع فخرج عنه روحه فمات شهيدا وفي هذه السنة
عبر الامير مراد الغازي ابن السلطان أورخان الى طرف روم ايلي بن جانب
كليبولي وفتح مدينة جورلي وهي من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل
ولم يزل مراد الغازي يحاصر البلاد ويقاتل الكفار حتى فتح مدينة دعموقة
وهي من كبار البلاد الاسلامية ٥ وفي سنة احدى وستين وسبعمائة توفي
السلطان أورخان وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه ومدة ملكه
خمس وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا شديد الباس مرضيا وكريما بارا وعادلا
مشكورا طاهر الاعتقاد سليم الفؤاد عدوا لاهل الكفر والالحاد وكان كثير

الغزو والجهاد وبنى كثيرا من الجوامع والمدارس وأجرى فيها الخيرات الكثيرة رحمه الله تعالى وتسلطن بعده ولده (السلطان مراد الاول) فلما جلس على سرير الملك سار وحاصر مدينة انكورية وكانت عصت عليه ففتحها عنوة وكانت من أمنع الحصون فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشى على بلاده فجمع جموعا من التتر و ورسق وطورغود والتركمان وغيرهم وسار بجموع لا تحصى لقتال السلطان مراد المذكور فجرى بينهما قتال شديد وحرب أكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد

﴿ ذكر فتح أدرنه ﴾

وفى هذه السنة أيضا جهز السلطان مراد جيشا وأرسله لفتح أدرنه وجعل عليه ساهين لالا الاتابك فاقتتلوا قتالا شديدا وعجزوا عن أخذها وسألوا السلطان مرادا أن يقدم عليهم بنفسه فسار السلطان بجيوش الموحدين والغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت أركانهم وهرب سلطانهم ولما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة وأخذوها وأرسلوا أعلموا السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهى من أعظم مدن الدنيا تجرى من تحتها أنهار ثلاثة بينها وبين القسطنطينية سبعون ميلا ثم أرسل لالا شاهين الاتابك ففتح مدينة فلبة ثم فتح زغرة سواحلى وعادوا الى مدينة بروسه * ومن غزواته أنه سار الى اقليمى الصرب والبلغار ففتح فيها فتوحات وأثخنهم قتلا وأسرا وكان ببر الأناضول جملة من أمراء الاتراك لم يزالوا باقين على الاستقلال فحاربهم وأخضعهم واستولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية وخضع لسلطنته معظم مقاطعة مكدونيا وبلاد الارناؤوط وفتح كثيرا من بلاد اليونان وعبر عسكر مراد ففتح مدنا وقلاعا جهة تاساليا

﴿ ذكر ابتداء اختراع عسكر الانكشارية ﴾

وفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة أشار خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الأسارى من الغانمين على رقاق كليبولى وكان الغزو والجهاد فى بلاد الروم ايلى

يساعدني عليهم وانما أخاف من ابن عثمان * والحاصل ان هذا السلطان افتتح
ايالات كثيرة في الأناصول وروم ايلي واستولى على مدينة سلانيك ثم شن الغارة
على بلاد المجر وانتصر على جيوش الافرنج ثم وجه عزمه وهمته لفتح القسطنطينية
وأخذ في تدبير ذلك وشرع في محاصرتها ثم قدر الله مسير التيمور الى قتاله * وفي
سنة اثنتين وثمانمائة اجتمع كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان
يلدرم بايزيد وساروا الى تيمور مستغيثين به يشكون اليه من السلطان بايزيد
ويرغبونه في المسير الى الروم ويستنجدون به عليه في رد ممالكهم فأجاب تيمور
سؤالهم وسار بجيوش كثيرة ووقع بينه وبين السلطان بايزيد مكاتبات كثيرة
[illegible] قصده والكلام على ذلك [illegible] عند ذكر تيمور [illegible] وكان
[illegible] فتركها
[illegible] لقتال تيمور وكان [illegible] عسكر السلطان من التتار فأرسل
[illegible] والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية
[illegible] وما بعدهم الشيطان الاعور فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور
[illegible] رية فقصده السلطان والتقت الجيوش بقرب أنقورية واشتد
[illegible] التتار الذين مع السلطان بايزيد فتبعهم كثير من العسكر في الانهزام
[illegible] وبقي السلطان بايزيد يقاتل بنفسه الى أن وصل الى تيمور وقد عجزوا
[illegible] بساطا وأمسكوه أسيرا وكان رحمه الله من خيار الملوك وكان
[illegible] افتتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار مالم يتسهل من المسلمين
[illegible] ولا جار وكان قوي النفس شديد البطش على الهمة ولما أخذ السلطان
بايزيد أسيرا صحبه تيمور معه الى بلاد العراق قاصدا خراسان ومكث في أسره
الى أن توفي في تبريز سنة خمس وثمانمائة ثم وقعت فتن كثيرة في أراضي الروم بين
أولاد بايزيد مع بعضهم واستمرت الى سنة عشرة وثمانمائة فتم الملك والسلطنة
(للسلطان محمد الاول بن بايزيد) وكان أصغر اخوته فالله سبحانه وتعالى يؤتي
الملك من يشاء ولا يسئل عما يفعل وكان دأبه الاستعمال بالحروب وكان من جملة من

السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل ذلك وزيره بايزيد باشا وصحبته
عسكر كثير الى أدرنة لقتال الخارجي المذكور فقاتلوه بقرب أدرنة فانتصر
الخارجي وهزم عسكر مراد وأسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجي فسار
السلطان مراد بنفسه لقتاله بعسكر وافرة فقدر الله أن الخارجي المذكور
أصابه الرعاف واستمر به ثلاثة أيام حتى ضعف جدا وجعل يخلط في الكلام واختل
عقله فلما شاهد ذلك أركان دولته ووجوه عسكره تيقنوا جنونه فخذلوه
الجنود فتفرقوا شذر مذر وهرب الخارجي مع ضعفه الى طرف روم أيلي فلما
شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اتبعوا المنهزمين فأسروا منهم خلقا
كثيرا ونهبوا أموالهم وغنموا أموالا ودواب كثيرة ثم أمر السلطان بعض
أمرائه بتتبع الخارجي بقرب [illegible] فأمر به فقتله وانتظم الامر للسلطان
مراد واستخلص جميع ممالكه وكان حركته لفتح القسطنطينية وأقام بمائتي ألف
مقاتل وحاصرها حصارا شديدا فقاومه أهلها أشد مقاومة ثم رفع الحصار عنها ورجع
الى بلاد الكفار من المدن التي أصلها الروم بتلك النواحي فقاتلهم حتى أخذ
تلك المدن واستخلص تلك المدن ولم يزل يتقدم حتى دخل بلاد المورة فلما ذاع
عند الفرنج خبر دخوله بلادهم تعصبوا وداعى ملوك الفرنج على محاربته فأجاب
الى ذلك الفرنسيس وجرمانيا والمجر وبولونيا فكان بينه وبينهم حروب كانت
العاقبة في بعضها لهم وفي بعضها له ثم تم عقد معهم صلح سنة سبع وأربعين وثمانمائة
وفي سنة ٩٤ نزل السلطان مراد عن السلطنة لولده السلطان محمد وخلع نفسه عن
السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فانتقل اليها واعتزل عن الملك وشاع هذا الخبر
في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا
فاعتزل عن الملك وجعل نفسه لولده وهو صبي صغير لا يخشى منه فاتفق قرال
أنكروس وقرال الالمان وقرال جه وقرال له وأمير لاطين وأمير بوسنة وصاحب
أفلاق وبغدان وطوائف الافرنج على قتال المسلمين وأن لا يدعوا من بلاد الاسلام
حجرا على حجر فلما بلغ ذلك أركان الملك خافوا واستصوبوا أن يدعوا السلطان

مرادا من تمنعنا لنكون معهم لانه سلطان شاع بذكر الاخبار وطال ما اشتكى
الكفار فأرسلوا اطلبوه فامتنع وقال سلطانكم دونكم خذوه وحاولوه فلم يزالوا
يحاولونه عليه حتى رضي ﴿ ذكر غزو عظيم ﴾

فسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تلاقى الطائفتان والتقى الجمعان
عسكر كل من الفريقين على الآخر وانهزم المسلمون وحمل الكفار يطردونهم
ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مراد خان في القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يده
الى الله تعالى بالمسألة النصر والعون وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يمض ساعة
حتى استقر [illegible] سكروس وهو كبيرهم [illegible] من بين عسكره فانفرد وحمل يدعو
السلطان [illegible] على [illegible] فسقط [illegible]
فقتلوه وحز [illegible]
فلما رأى الكفار ذلك انهزموا واعطوا ظهورهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم فلا
يدرى ما كان يوم عظيم سرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسرى فلا تحصى ولا
تحصر ثم ان السلطان مرادا لما رجع من الغزو وأعطى سلطنته ولده السلطان محمد
خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال الى أن تحركت
طائفة الينكجرية وعادوا وكسروا بيوت الامراء والوزرا ونهبوها وكان
ذلك في سنة خمسين وثمانمائة ﴿ ذكر سرور أخرى ﴾

فبعد ذلك رأى الوزرا وسائر أركان الملك أن يعيدوا السلطان مرادا الى الملك
ليسترضوهم فطلبوه وأجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد الى كونه
ابنه مغنيسا وبقي بها الى أن توفي أبوه فجلس بعده على تخت السلطنة واستمر
السلطان مراد يغزو حتى استولى على معظم بلاد الكفار وسار الى بلاد المورة
وفي الاقاليم المجاورة لها فاخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على آثار ذلك
حروب كثيرة بينه وبين الارناووط والمجر الى أن توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة
وعمره تسع واربعون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا
صالحا بنى بنيان العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء بهذه الممالك وأمن المسالك

وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وكان مقداما فاتكا شجاعا كريما واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ذهبا وللشرفاء من ذريته فى كل عام مثل ذلك رحمه الله تعالى وأوصى ابنه محمدا أن يهتم بفتح القسطنطينية ويوجه اليها جنوده فتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثانى) فاتح القسطنطينية وهو السلطان الطلل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية فى صفحات الليالى والأيام ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن كان عمره ١٩ سنة فخرج الى قتال صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه

﴿ ذكر فتح القسطنطينية ﴾

ثم لم يكن له هم الا فتح القسطنطينية فشرع فى مهماتها ومقدماتها وهى من أعظم البلدان وأكثرها أهلا وأمنعها حصنا لانها أحاط بها البحر من كل صوب الا الطرف الغربى وهو طرف يسير وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع ما فيها من المكاحل والمدافع فأظهر السلطان مسالمة صاحب القسطنطينية وذلك فى سنة ست وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده أرضا مقدار جلد ثور يبنى له فاستقل ذلك صاحب القسطنطينية وقال سبحان الله ما يفعل به فهو له فأرسل السلطان المذكور جماعة من البنائين والصناع فاختاروا الخليج الداخل من بحر بنطش وهو البحر الاسود الى بحر الروم فقدوا جلد الثور قدارقيقا فبسطوه على وجه الارض على أضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذى أحاطه ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وحصارا رفيعا باذخا فركب فيه المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان فى مقابلة ذلك الحصن فى برأ ناطولى حصنا آخر وهو فى طرف بلاده فشحنه بالآلات النارية والمرامى الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر يسلكه بعده شئ من مراكب البحر الاسود الى

المسلمين أمرهاومار الوامشار بن الحصار والقتال فجمع ملك القسطنطينية أعيان الامراء والقواد لما اشتد عليهم الامر وأخذ يحرضهم على القتال وبعد خطاب طويل أخذوا بالبكاء والعويل وعانق بعضهم بعضا بقصد الوداع ثم تمددوا الاسوار وتحصنوا فيها

﴿ ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد فتحها ﴾

فلما كان اليوم التى فتحت فيه وهجم العساكر العثمانية ودخلوها قاتل ملكهم قتالا شديدا الى أن قتل فى المعركة وقتل معه خلق كثير ودخلها المسلمون وأسروا أهلها وأحرقوا أمكانها يقال ان عدد ما فقد فيها مائة وعشرون ألف مجلد وكان السلطان محمد قد أرسل وزيره أحمد باشا ابن ولى الدين باشا قبل هذا التاريخ الى سيدنا الشيخ آق شمس الدين [illegible] خدمة الشيخ آق بيق يدعوهما للجهاد والحضور معه فى فتح القسطنطينية فحضرا وبشرا الشيخ شمس الدين الوزير المذكور بالنصر وقال ان شاء الله تعالى قسطنطينية على يد المسلمين فى هذا العام وأنهم سيدخلونها من الموضع الفلانى فى اليوم الفلانى من هذا العام وقت الضحوة الكبرى وأنت تكون حينئذ واقفا عند السلطان محمد فسر الوزير السلطان بما بشر به الشيخ من خبر الفتح فلما كان ذلك الوقت الموعود ولم تفتح القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب الى الشيخ فمنعوه من الدخول اليه لانه أوصى جماعته أن لا يدخلوا عليه أحدا فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظر فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكى فما رفع الوزير رأسه من أطناب الخيمة الا وقد قام الشيخ على رجليه وكبر وقال الحمد لله الذى منحنا فتح هذه المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة دعائه فى ذلك الوقت الذى كان أشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطباق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولى الدين واقف عنده فقال هذا ما أخبر به الشيخ وقال ما فرحى بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الشيخ فى زمانى

و يطمئن بذلك قلبي فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا في هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبرانى فلما حفروا ظهر رخام عليه خط عبرانى فقرأه من يعرفه وفسره فاذا هو قبر أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه فغلب على السلطان محمد خان حال حتى كاد يسقط لولا أن أمسكوه ثم أمر ببناء قبة عليه وقد روى الامام أحمد باسناد حسن فى مسنده والحاكم عن بشر الغنوى لتفتحن بناء للمفعول القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها وهذا الحديث معجزة من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته لان فيه الاخبار بالغيب ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهو صادق على السلطان محمد خان هذا وعلى جيشه وان كان الغزو الى القسطنطينية وقع فى زمن الصحابة ومن بعدهم وافتتحوا اطرافها فى خلافة معاوية رضى الله عنه فى الغزوة التى استشهد فيها أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه ثم استرجع الروم الطرف الذى افتتح فى ذلك الزمن فالفتح التام انما هو هذا الذى كان فى زمن السلطان محمد الفاتح ففى الحديث منقبة عظيمة له وروى الامام أحمد والبخارى ومسلم عن أم حرام بنت ملحان رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فهذا يحمل على أول غزوة وجهت للقسطنطينية وهى التى كانت فى زمن معاوية رضى الله عنه سنة اثنتين وخمسين من الهجرة وكان فيها كثير من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصارى وغيرهم رضى الله عنهم وكان فى ذلك الجيش يزيد بن معاوية قيل كان هو أمير الجيش وقيل كان الامير سفيان بن عوف وقوله مغفور لهم مشروط بكون المغفور له منهم من أهل المغفرة بأن يموت مؤمنا فلو ارتد واحد والعياذ بالله من ذلك الجيش ومات كافرا كان خارجا من عموم تلك المغفرة وهكذا يقال فى كل حديث يذكر فيه أن من فعل كذا غفر له أو دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان ومثل ذلك قد يرد فى كلام بعض الاولياء بأن يقول أحدهم مثلا من

والعداس والصقالبة ثم صرف عزمته الى فتح بلاد الارناؤوط وهم صنف من النصارى يتنصرون على الحق ويتكلفون الأعمال الشاقة قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعدما أبى الله بالاسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد وقيل أصلهم من البر وعبروا البحر من المغرب الى هذه الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا فدخل السلطان بلاد الأرناؤوط فهزمهم واستولى على عدة قلاع هنالك وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هنالك كالسد بين الكفار وشحنها بالرجال وسماها آق حصار وأودع فيها من المدافع والمكاحل مايليقها * وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة غصب السلطان محمد على صاحب قونية ولارندة ما بيده من ولاية قرمان وجعل فيها ابنه السلطان مصطفى ثم استولى على قلاع عاصية هنالك مثل قلعة ... وقلعة آق سراي وقلعة كولك وقلعة كولي وجعل الجميع لابنه المذكور * وفي سنة خمس وسبعين فتح جزيرة آرعبور من أعمال البندقية بعد أن أوقع بأهلها وقتل أكثرهم ثم استولى على بقية بلاد الارناؤوط بأسرها

ذكر اغراء العجم والتتر على الاغارة والنهب

وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة بعث صاحب العجم حسن بك الطويل يوسفجه بك مع عسكر التتر الى نهب بلاد العثمانيين فجاؤوا ونهبوا مدينة توقات وأضرموا فيها النار وأغاروا عليها ثم اغتر يوسفجه بك فهجم على بلاد قرمان وأغار عليها فكان بالمرصد السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وكان في غاية من الشجاعة فقاتل العدو فهزمه وأسر رئيسهم يوسفجه بك وكبله في الحديد وأرسله مع عدة من الأسارى الى أبيه السلطان محمد فكان ذلك عنوان الفتح ومقدمة النصر * وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة وقع قتال بين السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وبين زينل شاه ولد حسن الطويل فانتصر عليه السلطان مصطفى وانهزم جيشه وصارت الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم وظفر بزينل شاه فقتله ثم سار مصطفى الى قرمحه ار الشرقي وسوين بلاد حسن الطويل

فاستولى عليها وأرجعها الى جملة ممالكه * وفى هذه السنة بعث السلطان محمد ابن يزيد أيضا جيشا لفتح بلاد كمه فحاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح جملة عدة حصون وقلاع

﴿ ذكر الغزو الى بغدان ﴾

وفى سنة تسع وسبعين سار السلطان محمد الى قتال كفار البغدان فخاف منه كبيرهم اسفان فهرب الى أقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان وتوغل فيها وقتل من قدر عليه ممن كانوا خلقا لا يحصى وأسر وسبى ونهب حتى أذعن رئيسهم اسفان المذكور بالطاعة وأعطى الجزية * وفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها أساطيل بحرية مشحونة بمائة ألف مقاتل فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة أشهر فلم يتيسر فتحها الا انها كانت حصينة ثم ارتحلوا عنها * وفى سنة ست وثمانين جهز جيشين عظيمين أحدهما لمحاربة جزيرة رودس والآخر لقتال العجم ثم أدركته الوفاة قبل تمام الامر فتوفى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه اسلامبول بعد وفاة أبيه احدى وثلاثون سنة وشهران وكان ملكا جليلا لا يحصر الواصفون عن مقدار فضله ومحاسنه وكانت همته لا تكل ولا تفتر ولا يفتر عن الفتوحات رحمه الله تعالى قال العلامة القطبي عن بعض أوصاف السلطان محمد المذكور وللمرحوم المقدس فضائل لا تحصى وفى أعناق المسلمين لا سيما العلماء الاكرمين قلدها فى أجيادهم فهى باقية الى يوم الدين ولو لم يكن له غير ذلك لكفاه أسكنه الله تعالى فسيح الجنان وأنزل على قبره سحائب الرحمة والرضوان وتسلطن بعده ولده (السلطان بايزيد الثانى) ونازعه أخوه السلطان جم ووقع بينهما حروب يطول الكلام بذكرها وكان الانتصار للسلطان بايزيد واستقر الملك له وكان رحمه الله ملازما للغزو فى سبيل الله مظفرا على أعداء الله محبا لفعل الخيرات مكرما للعلماء والصلحاء * وفى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة سار بعساكره الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلى وقلعة آق كرمان وفتح أيضا قلعة ملاطية وقلعة كوزل وقلعة طرسوس وقلعة

وقلعة كولك والحاصل انه استولى على كثير من بلدان العدان وغيرهما في تلك الاطراف * وفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد البوسنة فظهر على كهادر يحيل وقيده في وثاق وأرسله الى السلطان بايزيد * وفي سنة تسعمائة وثلاث بعث جيوشا الى بلاد الارنؤوط براو بحرا وخرج في أثرها بنفسه ومعها أيضا جيوش كثيرة قاصدا السرب وبلاد الارناؤوط وحارب في تلك الغزوة بولونيا وأوقع بها واستولى على جانب عظيم منها وأخذ منها عشرة آلاف أسير ثم عاد اليها مرة ثانية فسكنها بسكنة عظيمة * وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان بايزيد بنفسه غازيا فاستولى على قلعة اينه بختي وعلى قلعة قرون وكان السلطان بايزيد ابن السلطان محمد من المجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فسار غازيا في سبيل الله مظفرا على أعداء الله فكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وكان محبا لسبل الخيرات مثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا للعلماء والمشايخ والاولياء من أهل الكرامات ودخل في طريق السادة الصوفية ودخل الخلوة وجلس الاربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ولما دخل الخلوة كان معه والد مولانا أبي السعود المفسر وهو مولانا الشيخ محيي الدين افندي وبنى السلطان بايزيد المذكور الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانقاة ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في رمضان في كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد في كل عام سبعة آلاف عثماني ولمدرس شرح المفتاح لكل واحد أربعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرس شرح التجريد ألفي عثماني وكذلك رتب لمشايخ الطريق الى الله تعالى من أهل الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه وهدا عبير كسوة الصيف من الاصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفراء والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك

فاوماجارنا مسمرا وكان تحت أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم حسانا كثيرا ورتب لهم صرا في كل عام غير ما كان من سابق آبائه الكرام وكان يجهز الى فقرا الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار دهبا يصرف نصفها الى فقرا مكة ونصفها الآخر الى فقرا المدينة ولم يكن حكم الحرمين في ذلك الوقت له فكانوا يسعون بها و يدعون له فكان ذلك من أسباب تسهيل دخول أهل الحرمين تحت طاعة ولد السلطان سليم كما سيأتي ان شاء الله تعالى وكان اذا ورد عليه أحد من أهل الحرمين يكرمه و يحسن اليه و يرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جزيلة

﴿ ذكر ظهور اسماعيل شاه سلطان العجم ﴾

ومما كان من العجائب في زمن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ظهور اسماعيل شا في بلاد العجم وكان ظهوره واشتهار امره سنة تسعمائة وخمس وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فانتشر أمره وقتل في البلاد وسفك دما العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد كثير من خلق وصار يدعو الناس الى الاضلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأزال من قلوبهم حسن الاعتقاد والله تعالى يفعل في ملكه ما أراد وظهر من أتباع اسماعيل شا شيطان يولي باز وهم أهل الحرب والنسل وعم الفساد والقتل وقويت شوكته وعظمت على المسلمين فتنته فأرسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم على باشا بعسكر كبير لقتال هذا الباغي فاستشهد على باشا في ذلك القتال ولكن قتل الله ذلك الباغي وانهزم من كان معه من الجنود وقتل كثير منهم وكفى الله شر أولئك الاشرار وذلك سنة تسعمائة وخمس عشر واسماعيل شا المذكور هو اسماعيل بن حيدر بن جنيد بن ابراهيم بن سلطان خواجه بن علي بن صدر الدين موسى بن صفي الدين اسحاق الاردبيلي وكان أهل هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي المذكور آنفا وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل الولاية والصلاح من المشايخ أرباب الطريق والسلوك

والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهي الى الامام أحمد الغزالي أخي الامام محمد حجة الاسلام الغزالي وقيل ان لهم نسبا ينتهي الى موسى الكاظم وكان جدهم الشيخ صفي الدين له شهرة كبيرة في مشيخة الطريق وتوفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم صارت المشيخة في ولده صدر الدين ثم في ولده علي ثم في ولده سلطان خواجه ثم في ولده ابراهيم ثم في ولده جنيد ثم في ولده حيدر ولما كانت المشيخة في جنيد كثر أتباعه ومريدوه واشتهر أمره وانتشر صيته وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والاتباع وكان جهان شاه التركماني صاحب شروان وأذربيجان متغلبا على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة أتباعه وخشي أنه يتغلب عليه وينزع الملك منه فأخرج جنيدا ومن معه من أردبيل فتوجهوا الى ديار بكر ثم قوي أمرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضا سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه ومنهم ابنه اسماعيل شاه وكان صغيرا واستمر محبوسا هو واخوانه وهرب بعض اخوانه من الحبس سنة ثمانمائة وست وتسعين ثم هرب اسماعيل شاه سنة تسعمائة وست وعمره ثلاث عشرة سنة واجتمع عليه خلق كثير بعد خروجه من الحبس كانوا يعتقدون الخير في أبيه حيدر فغير اعتقادهم الى مذهب الرافضة فقصد بمجموعه الأخذ بثار أبيه وجده وكان قد رفض مذهب آبائه وأهل بيته وتمذهب بمذهب الرافضة تعلم ذلك وسرى اليه وهو صغير حين كان في الحبس قيل في تاريخ ظهور مذهبنا حق ٩٠٦ وسمع ذلك بعض أهل السنة فقال مذهبنا حق على النبي فان باقي الفارسي اداة نفي فقاتل بمن اجتمع معه شروان شاه وكان كلما سار منزلا كثرت جنوده فساروا لشروان شاه وقاتلوه فهزموه ثم أسروه فأتوا به الى اسماعيل شاه فأمرهم أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمرهم وأكلوه ثم قاتل بمن معه من الجند ملوك العراق وخراسان الذين كانوا متغلبين على الممالك في تلك الازمان من التركمان وغيرهم فما كان يهزم له جيش ولا يتوجه الى بلاد الا ويفتحها ويقتل جميع من

فملك أموالهم الى أن ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق
العرب وخراسان وبعض أمم حتى كاد يدعي الربوبية وكان ظالما غشوما أتى
وأباد من الأمم بالقتل ما لا يحصى من العدد وكان عسكره يسجدون له إذا خرج
اليهم ويأتمرون بأمره قال العلامة القطبي في تاريخه فقتل خلقا لا يحصون يزيدون
على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية من القتل ولا في
الأمم السابقة مثل ما قتله اسماعيل شاه وقتل من أعاظم العلماء خلقا كثيرا ولم يبق
أحدا من علماء أهل السنة الذين كانوا في بلاد العجم وأحرق كتبهم ومصاحفهم
لأنها مصاحف أهل السنة وكان كلما مر بقبر من قبور العلماء والمشايخ يأمر
بنبشه واخراج عظامه ثم يحرقها واذا قتل أميرا من الأمراء أباح زوجته وأمواله
لشخص آخر * ومن جملة خرافاته المضحكة الدالة على سخافة عقله الناسية عن
سكر وتجبر أنه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورسم له ترتيب الأمراء من
الخدم والكواخي والسماط والأوطاق والفراش الحرير وجعل له سلاسل من
ذهب ومخدة ومسند يستند اليها كالأمراء وأقام لخدمة ذلك الكلب جملة من
خواص خدمه ومن سكره وطغيانه أنه أسقط من يده منديلا الى البحر وفعل
ذلك قصدا وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فصار عسكره
وأتباعه وخدمه يلقون أنفسهم في البحر خلف المنديل لأنه به تقربا اليه
وليلتمسوا تركة المنديل الذي سقط من يده حتى أحصي من رمى نفسه منهم فكانوا
نحو ألف صاروا انحطوا في البحر حتى غرقوا لأنهم كانوا يعتقدون فيه
الألوهية وأنه لا يهزم له جيش الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي كانوا
يعتقدونها فيه * ومما يحكى عن اسماعيل شاه سلطان العجم أنه كان لا يبدأ
أمرا ولا يهزم جيوشه ولا يسبقه أحد بالقتال لم يهزم معه فاتفق أنه اختار مرة
بأمرا وهو مسكر فأصابه هو ومن معه وقد مسهم ظمأ فما طار في خيمة فشرع
الشاه اسماعيل يأكل من وسط القصعة وهي حار والمرأة تنظر اليه فقالت له
ما أسهلك أيها الرجل الا اسماعيل شاه الذي ظهر في هذا الزمان فانه يريد أن

يقصدوسط الدولة محل الشوكة والقوة فيأخذه وذلك خطأ فينبغي له أن يأخذ أطراف البلاد ليرد الوسط فأنت كل من الاطراف حتى يرد الوسط ثم كل منه فتمنه من قوتها وعمل بإشارتها فصار يقاتل أطراف الممالك حتى صار له ماصار وملك جميع اقليم العجم وبواسطته انتشر التشيع وظهر في العجم وسلاطين العجم الموجودون الى وقتنا هذا من ذريته وسيأتي ذكر ماوقع بينه وبين السلاطين العثمانيين من القتال وكذا ماوقع بينهم وبين ذريته وإنما أطلت الكلام في بيان أحوال اسماعيل شاه وأصوله ليعلم من ذلك ان كثرة بغيه وطغيانه من جملة الاسباب التي دعت السلطان سليم الى قتاله الذي سنذكره مع ماانضم الى ذلك مما كان بينه وبين السلطان سليم من العداوة التي سنذكر أسبابها

﴿ ذكر الحرب والقتال الذي كان بين السلطان بايزيد وولده سليم ﴾

لابد قبل ذلك من ذكر الاسباب الالهية الخفية التي كانت بتقدير الربوبية ليعلم بذلك أن الاسباب الظاهرية لابد معها من أسباب خفية قدرها الله تعالى من الازل قال العلامة القطبي في تاريخه ان مماحادثا كان في عصر السلطان بايزيد الثاني قد أطلعه الله على أمر يتعلق بالسلطان بايزيد فأخبره به وهو ان هلاكه وذهاب ملكه يكون على يد مولود يولد له وكان السلطان بايزيد قد ولد له أولاد قبل اخبار المنجم وكان اخباره له بذلك قبل أن يولد السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد امرأة كانت معتمدة عنده يبدها أمر جواريه الموطوآت وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات فقال لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا واذا ولدت أنثى اتركيها للتعيش مع ساتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى أن ولدت واحدة منهن صبيا فلما رأته أمه التي ولدته حزنت عليه لكونه تحققه القابلة فلما تناولته القابلة لتخنقه رأته صورة جميلة ووقع حبه في قلبها ورقت له وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى اذا قتلت هذا الطفل والله لاأقدم على قتله فاظهرت أنه بنت وقالت للسلطان بايزيد انه حصل له من فلانة بنت جميلة حسنة الصورة فلما

أخبرته بذلك سيما سليمه واستمر الامر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه الا الله تعالى والقابله وأم الولد وصار كلما كبر واشتد تظهر عليه أوصاف الذكور بين الاسلاف والعلم والقهر واذا اجتمع النساء وجلس يتبع لطم من كان يبين الى جانبه وينهب ما وجده بأيديهن من معلومات الاطفال وغير ذلك وكان يحمد ذات ... ثم دخل السلطان بايزيد يوما الى داخل السرايه وكان يوم عيد واستدعى نسائه وأجلسهن بين يديه وأمر أن يوضع بين يدي كل واحده منهن أنواع الحلاوى والفواكه وحضر معهن ذلك الغلام المسمى سليمه وشرع في فعل ما كان يفعله مع النساء من الخطف والنهب والضرب وكلهن خائفات منه هائبات له فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمله جيدا ويتفكر في أمره وفي أثناء ذلك دار بينهن نصوب كبير وأردن أن يمسكنه فعجزن وهو يلسع من يريد امساكه فهربوا منه وبقى هذا الغلام المسمى سليمه بذاته وهو طائر فأمسكه ومن معه ومنعه وربما من يريد فازداد تعجب السلطان بايزيد ثم قال للنساء الواقفات هذا لا يكون أنثى أبدا كشفوا الى منه فبادرت القابله وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها كيف حالك أخبري وما قصته فقالت خفت من الله رب العالمين وخفت دمك وذي من قتل معصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كان لا مرد له وأمر بتربيته وأن يلبسوه لباس الذكور وسماه سليما الى أن كان من أمره ما كان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون والله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ولما أراد الله ابراز ما أراده وقدره من الازل ... ذهاب ملك السلطان بايزيد على يد ولده سليم ألف أسبابه وهيأ أسباب الحرب والقتال بينهما واتحاد أسباب لا تحكم العقل فيها فمن أسباب الحرب والقتال وذلك أن السلطان بايزيد شاخ وكبر سنه وضعف وعجز عن الحركة بعلة النقرس فأراد النزول عن الملك لولده أحمد وكان أكبر أولاده وأحبهم اليه وقد جعله قبل ذلك أميرا على أماسيه ثم جمع الوزراء وأعيان الدوله وعهد اليهم بأن ولده أحمد ولي عهده فاغتاظ سليم من ذلك وعزم على الخروج على أبيه وعلى خلع

طاعته وقتاله وكان قد ولاه أبوه أدرنة فجمع العساكر وتوجه بهم الى القسطنطينية مظهرا أنه يريد زيارة أبيه وتقبيل يده وأنه راض بما يصنعه أبوه من جعل أخيه أحمد ولي العهد وأنه ليس له غرض في الملك واطلع أبوه بقرائن الأحوال على مراد ولده سليم وانه انما يريد السلطنة والملك فنهض السلطان بايزيد من القسطنطينية بعساكره وخرج مستقبلا لولده المذكور فلاقاه بين القسطنطينية وادرنه والتقى الجيشان ووقع القتال بينهما بقرب أدرنه وجرى بينهما حرب شديد ثم انجلى الأمر عن هزيمة سليم وانتصار أبيه عليه وأراد العسكر أن يطردوا خلف سليم ليقبضوا عليه فمنعهم أبوه السلطان بايزيد وقال اتركوه لعله يصلح وتوجه سليم هاربا وركب البحر وقصد بلاد كفة فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد الى ولده أحمد يدعوه الى أن يقلده الملك وينزل له عن السلطنة حالا فامتنع وقال لا يمكن أن يقبل ذلك في حياة والده تعظيما لوالده وقال أيضا انه يخاف من عسكر الانكشارية لان هواهم ورغبتهم في سليم ولما علم أبوه انه ليس لابنه أحمد نصيب في الملك وان الملك لله يؤتيه من يشاء وخاف على الملك أن يتغلب عليه أجنبي أرسل الى ولده سليم يدعوه لينزل عن الملك ويسلمه له فقدم سليم بالرأي الحازم والسيف الصارم حتى قرب من القسطنطينية فامر السلطان بايزيد العساكر ووجوه الامراء والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالملك ولما دخل على أبيه قبل يده فدعا له بخير وسلمه الملك وأوصاه باشياء تليق بالسلطنة ثم أمر من يومه بتجهيز أسباب السفر لابيه للاقامة بمدينة ديمتوقه وقال السيفان لا يجتمعان في قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد ببعض الطريق رام أن يتوضأ لصلاة الظهر فوضعوا له السم في الماء فلما توضأ تساقط شعر لحيته فاحس بذلك فقال ردوني فردوه فتوفي قبل أن يصل الى القسطنطينية ثم حمل اليها ودفن بها أمام مدرسته التي أنشأها بالمدينة المذكورة وكان مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الا أياما لان وفاته سنة ثمان عشرة وتسعمائة وولايته كانت سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اثنتان وستون سنة لأن مولده

سنة ست وخمسين وثمانمائة وله رحمه الله مناقب كثيرة تقدم بعض منها * ومن
منقبته كان يجمع في كل منزل حل به من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه
فلما دنا أجله أمر بذلك الغبار فضربت منه لبنة صغيرة وأمر أن توضع معه في القبر
تحت خده الأيمن ففعلوا ذلك فكأنما أراد بذلك تحري قوله صلى الله عليه وسلم
من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله عليه النار ولما توفي السلطان بايزيد
المذكور واستقر ابنه (سليم على تخت الملك) نازعه في ذلك أخوه أحمد وقصد
كل منهما الآخر سنة تسع عشرة وتسعمائة بجيش عظيم فتقاتلا أمام مدينة بروسة
فانتصر السلطان سليم وأسر أخاه أحمد فخنقه وكان إسماعيل شاه سلطان العجم
المتقدم ذكره رجح جانب السلطان أحمد وتعصب له فلما خنق أحمد هرب بعض
أولاده ولحقوا إلى السلطان الغوري وبعضهم إلى إسماعيل شاه فأرسل له
السلطان سليم يطلب منه أن يسلمهم إليه فامتنع فكان ذلك من أسباب قيام الحرب
والقتال بين السلطان سليم وإسماعيل شاه مع ما تقدم من أسباب ظلم إسماعيل شاه
وسفكه الدماء وإهلاكه الحرث والنسل وكان للسلطان بايزيد أيضا أولاد غير
أحمد نازعوا سليما وقاتلوه فانتصر عليهم ولا حاجة بنا إلى ذكر ذلك

﴿ ذكر الحرب بين السلطان سليم وإسماعيل شاه سلطان العجم ﴾

ذكر كثير من المؤرخين أن السلطان سليما كان سلطانا قاهرا قوي البطش
عظيم الفتك كثير التفحص عن أخبار الناس شديد التوجه إلى أهل النجدة
والبأس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسالك الطرق والمهالك يغير زيه
ولباسه ويتجسس في الليل والنهار ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار
وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفي الأسواق والحمامات والمحافل ومهما
سمعوا به ذكروه له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما سمعه بعد الوثوق منهم
ولما استقر له الملك بعد قتال أخويه وانتصاره عليهم شرع في قهر الملوك والاستيلاء
على الأقاليم والممالك وبدأ بقتال شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي وكان ذلك سنة
عشرين وتسعمائة وكان السبب في قتاله أن بعض أولاد أخي السلطان سليم التجأ

الى اسماعيل شاه فأرسل يطلبه منه فامتنع مع ما انضم الى ذلك من بغى اسماعيل شاه وطغيانه وافساده فى الارض حتى أهلك الحرث والنسل كما تقدم بيان ذلك فى ترجمة اسماعيل شاه فتوجه السلطان سليم من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال اسماعيل المذكور فالتقيا فى مكان يقال له چالدران وكان جيش السلطان مائة وأربعين ألفا فى أول خروجه من مقر سلطنته ثم أردفها بأربعين ألفا ولما التقى الجيشان اشتد القتال بينهما ثم انهزم عسكر العجم هزيمة قبيحة واستولى عسكر السلطان سليم على خزائنهم وأموالهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا القليل وفر اسماعيل شاه وتحصن بشوامخ الجبال واستولى السلطان سليم على خزائنه وأمواله وخيمه ونسائه ومنع العسكر من المسير خلف المهزومين ودخل السلطان سليم مدينة تبريز وهى كرسى مملكة العجم وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وكان مراده أن يطيل الاقامة ببلاد العجم ليفتح جميع بلادهم ويدخلها فى ملكه ويرتبها لكن اشتد عليه الغلاء لان السلطان الغورى قطع الميرة عن السلطان سليم ومنع السائرين بها اليه لانه كان بينه وبين اسماعيل شاه صداقة ومحبة ومكاتبة حتى ان بعضهم اتهم السلطان الغورى بانه يعتقد مذهب الرافضة وكان من أسباب الغلاء على جيش السلطان سليم ان اسماعيل شاه كان تحت يده كثير من الغلال والذخائر فلما تحقق الهزيمة عليه أمر بحرقها فأحرقت قال القطبى وكان من أمر اشتداد الغلاء ان العليقة بيعت بمائتى درهم وبيع الرغيف بمائة درهم قال العلامة القطبى وقد أدركت جماعة ممن كانوا مصاحبين لمولانا السلطان سليم وكانوا يكثرون مجالسته وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه ودقة فهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتمرسه فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ثم قال العلامة القطبى ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما فى علو المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة والبيتان هما هذان

الملك لله من بظفر بنيل منى ۞ يردد قسرا وتضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ۞ فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وبعينهما أصور به وكتبه سليم قال العلامة القطبي لعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي الفصيح البليغ المستحسن وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه رتبة عالية في حسن التمثل ولطف الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه بها وهذا القدر يستغرب ويستكثر على سلاطين العجم المتكبرين على العلوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ولما فرغ السلطان من قتال اسماعيل شاه واستيلائهم على البلاد رجع الى الروم وشتى في مدينة اماسية ولما دخل الربيع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كماخ وهي من أمنع الحصون ثم افتتح مدينة بيبورد وأرسل وزيره فرهاد باشا بعسكر كبير الى قتال ملك ذي القدر علي بك ابن شهسوار فانتصر فرهاد باشا واستولى على تلك البلاد وفي هذه السنة أحب أهل آمد أن يدخلوا في طاعة السلطان سليم فأخرجوا الوالي الذي كان من قبل سلطان العجم وأسلموا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون أميرا من السلطان سليم فعين لهم بيقلو محمد بك الآمدي فوصل الى تلك البلاد ثم حاصر مدينة ماردين مدة أربعين يوما وافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وعانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجزيرة ابن عمر وحصن سوران وسائر بلاد الأكراد وعامة جزيرة الأكراد فدخلت هذه البلاد كلها في طاعة السلطان سليم ولم يكن قبل من الممالك العثمانية بل كان بعضها عند العجم وبعضها عند ملوك من غير العجم تغلبوا عليها

﴿ ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان الغوري ﴾

وفي سنة اثنين وعشرين وتسعمائة قصد السلطان سليم محاربة السلطان الغوري صاحب مصر والشام وحلب لانه كان متواطئا مع سلطان العجم على محاربة السلطان سليم وقد تقدم أنه قطع الميرة عنه فخرج من القسطنطينية بقصد ايران

مائة وخمسون ألفا وخرج العورى من مصر بجيش كثيف لمحاربته والتقى الجيشان فى مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهزم جيش مصر وقتل العورى فى المعركة ودخل السلطان سليم مدينة حلب واستقبله أهلها بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف على رؤوسهم يستقبلون السلطان سليما ويهنونه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها وكان الخطباء يقولون فى أوصاف سلاطين مصر خادم الحرمين الشريفين فلما خطب الخطيب بحلب قال فى وصف السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين ففرح بذلك واستبشر مولانا السلطان سليم وعلم أن الله تعالى ينصره على العورى حتى تكون خدمة الحرمين الشريفين له وخلع على الخطيب حلته التى كانت عليه وكانت تساوى خمسين ألف غرش ثم سار الى الشام فاستقبله أهلها بالاكرام والاحترام وسألوا منه اللطف والانعام فعاملهم بالجميل وصلى عندهم الجمعة وخطب باسمه ومكث بالشام ثلاثة أشهر ونصفا ثم سار يريد البلاد المصرية وافتتح فى مسيره مدينة بيت المقدس ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد واللحون والرملة ووصل الى مصر فى الثالث عشر من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان قد تسلطن بمصر بعد مقتل العورى السلطان الاشرف طومان باى قيل ان العورى خاله وكان معه أربعون ألفا من الجراكسة فخرج لقتال السلطان سليم ليمنعه من دخول مصر فوقع القتال بين العسكرين فانهزم طومان باى وعسكره وقتل منهم خلق عظيم ثم قبض عليه وبعد عشرة أيام صلبه السلطان سليم فى باب زويلة وأقام السلطان بمصر نائبا عنه خير الدين بك الجركسى وخرج السلطان سليم من مصر فى شعبان من السنة المذكورة وقدم الى دمشق وعين لامارتها مع أعمالها الاميرجان بردى فاستولى على مدينة ملطية وديوركى ودارنده وبهسنى وكركر وكاختة البيره وعنتاب وادنه كية وقلعة الروم وأطاعته قبائل العرب المجاورون للشام ومصر ولما رجع السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ فى تكثير المهمات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة فطلع

له دمل في حسه ولم يزل يعاظم هذا الدمل حتى اتسع وصار جرحا عظيما واتسع الخرق على الجراح وبطل السلطان من الحركة وتحيرت حذاق الاطباء في علاجه وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب واستطال به ذلك المرض الى ان توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة تاسع شوال وعمره أربع وخمسون سنة ومدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر

﴿ فائدتان تستطر ادتان لهما تعلق بالفتوحات المذكورة هنا ﴾

(الاولى) ذكر كثير من المؤرخين أن العلامة ابن كمال باشا استخرج من القرآن العزيز الاشارة الى الدولة العباسية وانتصار السلطان سليم وظهور أمره بعد سنة تسعمائة وعشرين وأن الدولة العباسية من عباد الله الصالحين وأن السلطان سليما منهم فقال ابن كمال باشا ان ذلك كله مستخرج بطريق الرمز والاشارة من قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ه وبيان ذلك ان قوله ولقد اذا حسب على قاعدة حساب الحروف أبجد يخرج عدد مائة وأربعين وهي عدد لفظ سليم فان حساب عدد حروفه سبعمائة وأربعين وقوله من بعد الذكر اشارة الى أن ذلك بعد تسعمائة وعشرين لانه عدد حروف ذكر بعد اسقاط أداة التعريف على قاعدتهم في ذلك فيكون الاشارة في ذلك سليم بعد تسعمائة وعشرين مكتوب في الزبور أنه يرث الارض وانه من عباد الله الصالحين فسأل ان السلطان سليما لما أخبر بهذا الاستخراج فرح واستبشر وكان ذلك من أقوى الاسباب لخروجه لقتال الغوري وقد حقق الله له النصر فظهر بذلك صحة هذا الاستخراج ولله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أسرار كثيرة له في كل شيء حكمة والله سبحانه وتعالى أعلم بأسرار كتابه وتنزيله

﴿ الفائدة الثانية ﴾

ان مولانا السلطان سليما لما استقر بمصر وتم له ملك الديار المصرية كما تم له ملك الديار الشامية اشتاقت نفسه الى ملك الاقطار الحجازية لعموم خدمة الحرمين الشريفين فأراد أن يجهز جيشا يسيره الى الحجاز وبلغ شريفه من عمال

السلطان الغوري وكان أمير مكة في ذلك الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وقد كان في سنة ثمان عشرة وتسعمائة أرسل ولده الشريف أبا نمي الى مصر لمقابلة السلطان الغوري فأكرمه وأشركه مع أبيه في امارة مكة وكان عمر أبي نمي في ذلك الوقت ثمان سنين وكان السلطان الغوري حبس بمصر جماعة من أعيان أهل مكة منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة وكان سبب حبسه مع من معه ان الغوري طلب منهم مالا مصادرة وطلب مبلغه عشرة آلاف دينار فعجزوا عن تحصيله فأمر بحملهم الى مصر واعتقلهم في الحبس فلما قتل الغوري وتسلطن طومان بيك أطلقهم وقيل انما أطلقهم السلطان سليم فلما عزم السلطان سليم على تجهيز جيش الى الحجاز اجتمع القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بوزير مولانا السلطان سليم وقال له لا حاجة الى تجهيز جيش فان الشريف بركات يكفيكم هذا الامر ويحصل لمولانا السلطان المطلوب وعرفه عظمة الشريف بركات ومنزلته من الشرف والعلم وأنه أول من يطيع مولانا السلطان ويأخذ البيعة له من أهل الحرمين والاقطار الحجازية ويكفي بدلا عن الجيش أن تبعثوا له توقيعا شريفا من مولانا السلطان فعرض الوزير ذلك على مولانا السلطان سليم فاستحسنه وأمر بكتابة التوقيع الشريف للشريف بركات وأن يكون ولده أبو نمي مشاركا له كما كان في مدة السلطان الغوري وكتب القاضي صلاح الدين للشريف بركات الاخبار بذلك ووجه مولانا السلطان ذلك التوقيع الشريف ومعه خلعتان عظيمتان واحدة للشريف بركات والأخرى لولده الشريف أبي نمي وحمل ذلك صحبة الامير مصلح بيك وبعث معه محملا وكان ذلك على اقبال شهر الحج ولما قدم الامير مصلح مع المحمل ومعه الخلعتان والتوقيع الشريف وخلعة للكعبة المعظمة خرج لمقابلته الى الزاهر الشريف بركات وولده أبو نمي وكثير من الاشراف وغيرهم في موكب عظيم ولبس الشريف وولده الخلعتين ودخلوا مكة وأخذوا البيعة لمولانا السلطان سليم ودعوا له في الخطبة وحصلت طاعة الناس وانقيادهم بالرضا والقبول ثم

فأرسل الشريف ولد الشريف أبانمي سنة ثلاث وعشرين الى مصر لمقابلة السلطان سليم فقابله وأكرمه وأنعم على مباركه ابيه بركات ثم توفي بركات سنة احدى وثلاثين وتسعمائة واستقل ولده أبو نمي بالامارة وجاءه التقليد من مولانا السلطان سليم واستمر الشريف أبو نمي مستقلا بامارة مكة الى أن توفي سنة اثنين وتسعين وتسعمائة وعمره ثمانون سنة لان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكانت مدة ولايته امارة مكة مشاركة لابيه واستقلالا ثلاثا وسبعين سنة ولم يعهد ذلك لغيره من أمراء مكة الذين قبله والذين جاءوا بعده وهو جد سادتنا أشراف مكة ولما ورد الامير مصلح بك الى مكة صحبة المحمل والشريف والخلعتين وكسوة الكعبة أقام بعد الحج بمكة بأمر من مولانا السلطان سليم وأجرى بها خيرات كثيرة وجمع بواسطة المهمات فقرر لمولانا الشريف صاحب مكة خمسمائة دينار زيادة على ما كان له من سلاطين مصر قبل ذلك وكتب دفترا فرقه أمام جماعة من المجاورين ورتب لكل شخص منهم مائة دينار بوجه من جزية مصر وقرر ثلاثين نفرا يقرءون كل يوم جمعة وعين لكل واحد اثني عشر دينارا وقد الامير مصلح أيضا الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من جزية مصر تخرج سلاطين مصر للعربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة فأنعم السلطان بها ورتب مولانا السلطان سليم سبعة آلاف أردب حب لاهل الحرمين الشريفين مناصفة آلاف لاهل مكة وألفان لاهل المدينة وجاء الامير المذكور مصلح بك أن يوزع ذلك فجلس في الحرم الشريف وطلب حضور القاضي وبقية العلماء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم في توزيع ذلك فقالوا انه لا بد من عرض ذلك على شريف مكة مولانا الشريف بركات فكتبوا صورة الامر السلطاني وأرسلوا الى مولانا الشريف واستدعوا رأيه العالي في ذلك فكتب اليهم الجواب بأمرهم بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف السلطاني وأن يوزع ذلك على المستحقين بحسب الآراء من أعيان المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب من مولانا الشريف واتفق رأيهم على شيء من ذلك القمح لمصرف

في نقله من جدة الى مكة وبأن يكتب أسماء الناس على العموم ويصرف لكل واحد مايخصه فكتبوا بيوت كل محلة وما في كل بيت من عدد الانفار والرجال ونساء وأطفالا وجدما ماعدا التجار والسوقة والعسكر فبلغ عدد الانفار الذين كتبوهم اثنا عشر ألفا فحص كل نفر ست ربابي بكيل الربع الكبير الذي هو أربع كيل عن أربع وعشرين قدحا بالكيل المصري ودفعوا لكل نفر دينارا من قيمة القمح الذي باعوه لاجل نقله من جدة الى مكة وجعلوا لكل واحد من المباني الاربعة ثلاثة أرادب وزيد في أسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت قال العلامة القطبي وهذه الصدقة أول صدقات الحب الشريف السلطاني ثم قال فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم الشريفة عماد الاسلام واحسانهم مازال متواصلا الى كافة الانام سيما جيران بيت الله الحرام وجيران نبيه الأطهر عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في أيام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة في نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصوروه من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم سلطانهم كما أدام علينا احسانهم اه كلام القطبي وقال العلامة ابن علان ان السلطان سليما كان كثير المحبة لاهل الحرمين من قبل أن يأخذ مصر وهو أول من بعث اليهم صدقة الحب انتهى ثم ان السبعة الآلاف الارادب المذكورة لم يزل أبناؤه من السلاطين يزيدون فيها حتى صار لأهل مكة اثنا عشر ألف أردب ولاهل المدينة سبعة آلاف أردب فالله تعالى يديم العز والبقاء لهذه السلطنة العثمانية السنية ويوفق كل قائم منهم بها لكل خصلة حميدة مرضية ومما فعله الأمير مصلح بيك من الخيرات لمولانا السلطان سليم أنه جدد بناء مقام الحنفي بمكة فانه وسعه وجعله قبة بعد أن كان مسقفا على أربعة أعمدة في صدره محراب وكان صنعة التسقيف المذكور سنة ثمانمائة وثنتين في مدة سلطنة السلطان فرج بن برقوق واستمر كذلك الى أن جعله الأمير مصلح قبة سنة تسعمائة وثلاث وعشرين واستمر

على ذلك جماعة عشرين سنة ثم هدمت القبة وبني المقام من بعد وجعلت الطبقة
الكبرى وموضع هذا المقام كان في الجاهلية موضع دار يجتمع فيها قريش
للشورى ويسمونها دار الندوة ثم اشتراها معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته
وصارت ينزلها الخلفاء إذا قدموا للحج ويخرجون منها إلى المسجد للصلاة
والطواف ثم خربت وتهدمت وعمرت في خلافة المعتضد سنة مائتين وثمانين
وأدخلت في المسجد وفتحت أبوابها إلى المسجد وجعلت سقوفها على أساطين ثم
غير هذا البناء وأعيد على وضع أحسن منه سنة ثلاثمائة وست ثم سنة ثمانمائة وستين
إلى أن كانت عمارة الأمير مصلح ثم سرت عمارته بعد خمس وعشرين سنة وسيأتي
ذكر ما يكون بعد ذلك وقد كانت مذاهب الأئمة الأربعة عليها العمل والاعتماد
في الحرمين وغيرهما من أول ظهور الأئمة الأربعة إلى ما بعدهم وقد كان الأئمة
المجتهدون كثيرين ولكن لم يقدر الله بقاء مذاهبهم وإنما بقيت مذاهب الأئمة
الأربعة وتحررت وتوارد عليها أنظار العلماء حتى إن أهل السنة والجماعة أوجبوا
تقليد مذهب منها لمن لم يكن فيه أهلية الاجتهاد وحرموا الخروج عنها لمثل العلماء
السخاوي عن التقي الفاسي أن صلاة هذه الأئمة على هذه الصفة قديمة لكن لا
لا أعلم في أي وقت كانت ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين
مع الشافعي سنة أربعمائة وسبع وتسعين وأن الحنبلي لم يكن موجودا وإنما كان
إمام الزيدية ثم قال ووجدت ما يدل على أن الحنبلي كان موجودا في سنة الأربعين
وخمسمائة وفي العصر المتقدم كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع
وثمانمائة وأما كيفية الصلاة في هذه المقامات فإنهم يصلون من بعد الشافعي ثم
الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي وكلام ابن حجر يقتضي أن المالكي كان يصلي قبل
الحنفي ثم تقدم عليه الحنفي من بعد سنة ثمانين وسبعمائة واضطرب كلام ابن حجر
في الحنفي والحنبلي لأنه ذكر ما يقتضي أن كلا منهما يصلي قبل الآخر وهذا كله في
غير صلاة المغرب أما فيها فإنهم يصلون جميعا في وقت واحد ثم بطل ذلك كله في
موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأمر الملك الناصر بن برقوق وصار الشافعي

يصلي بالناس المغرب وحده واستمر ذلك الى أن ورد أمر من الملك المؤيد صاحب مصر بأن يصلي المغرب الأئمة الثلاثة في وقت واحد كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذي الحجة سنة عشر وثمانمائة انتهى (والحاصل) أن الامر كان مختلفا في تقدم بعضهم وتأخر بعضهم واستقر الامر في عصرنا هذا بعد خروج الوهابي من مكة وجريان أحكام الدولة العلية بالحجاز من سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين أن الشافعي يصلي في الصبح أولا ثم المالكي ثم الحنبلي ثم الحنفي وأما بقية الاوقات فيصلي أولا الحنفي ثم الشافعي ثم المالكي لكن لا يصلي في المغرب إلا الحنفي ثم الشافعي فقط وكان الحنبلي لا يصلي في مقامه إلا الصبح فقط * وفي سنة احدى وثلاثمائة وألف صدر الامر من سيدنا الشريف عون الرفيق ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون ومن والي ولاية الحجاز السيد عثمان نوري باشا أن الحنبلي يصلي أيضا بقية الصلوات غير المغرب وتكون صلاته بعد أن يصلي المالكي واستحسن الناس ذلك لان مكة قد كثر فيها الخلق المجاورون بها فصار كثير من الناس لا يدركون صلاة الائمة الثلاثة فيصلون جماعة متفرقة فلما صار الحنبلي يصلي أيضا صاروا يصلون معه ومما يدل على أن الناس قد كثروا بمكة وزادوا عما كانوا عليه قبل ذلك ما ذكره العلامة القطبي في تاريخه حيث ذكر ان عمارة مكة زادت وكثر الناس فيها بوجود دولة الدولة العثمانية خلد الله ملكهم الى أن قال وكنت أشاهد في سن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى اني أدركت الطواف وحدي من غير أن يكون معي أحد مرارا كثيرة كنت أترصد تحصيلها لكثرة ثوابه بأن يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن أن لا يخلو من أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يشار على هذه العبادة كثير من الصلحاء لانه ليس مساعدات يمكن أن ينفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا

فعله وعبارة البحر العميق تقتضي أن التعمير الواقع سنة سبع وثمانمائة هو أول احداث مقام المالكي والحنبلي حيث قال كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة ومقام المالكي بين الركن اليماني والركن الغربي ومقام الحنبلي على حذاء الركن الذي فيه الحجر الاسود وفي سنة ١٣٠٠ قال كثير من الناس ان المقام المذكور منحرف وبسبب انحرافه يحصل انحراف لمن خلفه فيكون سببا لعدم تحقق استقبال القبلة لبعض الصفوف وسيما الصف الشرقي خلف الشافعي الاول الذي خلف مقام ابراهيم عليه السلام فان الصف الاول المذكور عند محاذاته مقام الحنبلي يحصل فيه انحراف وعدم استقامة فلو جعل مقام الحنبلي متوسطا بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الاسود بوضع ليس فيه انحراف لكان أولى ورفع الأمر الى أمير مكة سيدنا الشريف عون باشا والى ولاية الحجاز دولتلو السيد عثمان نوري باشا ثم وقع الاتفاق على ذلك بحضورهما وحضور جمع من العلماء والمهندسين دقق الجميع على استحسان جعله متوسطا فأنهى الأمر الى باب السلطنة السنية وجاء الامر بذلك من مولانا السلطان عبد الحميد الثاني بهدم المقام المذكور سنة ١٣٠٠ وجعل متوسطا كما هو موجود الآن فجاء في غاية الحسن جدا وقد طال الكلام الاستطرادي لارتباط تناسب الكلام مع بعضه تكثيرا للفوائد فلنرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول ان الامير مصلح بيك لما أتم ما كان مأمورا باجرائه بمكة من الخيرات توجه الى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وتمم الصدقات التي لاهل المدينة المنورة وأجرى كثيرا من الخيرات ثم توجه الى دار السلطنة السنية

﴿ ذكر ولاية مولانا السلطان سليمان ﴾

ولما توفي السلطان سليم كان ولده السلطان سليمان ولي عهده وكان غائبا في سروخان والياً عليها فأخفى الوزراء موت السلطان سليم الى أن حضر ولده السلطان سليمان فأجلسوه على تخت السلطنة ثم أظهروا موت السلطان سليم وكان جلوسه على تخت السلطنة من غير مخالف ولا منازع وكان محبا للجهاد

ولنصر دين الله ومن عجائب أعدائه بلسان سنانه ولسان قلمه وكان مؤيدا
في حروبه ومغازيه مشهودا في وقائعه ومن أمارة إقباله أنه إن سلك البر وإن توجه فتح وقلّ
وإن سافر بعسكر سهل وصلح سيرا ووصل صيته أقصى الشرق والغرب وافتتح
البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والجبر وأخذ الكفار والملاحدة بعون العلمين
والضرب وأيد الدين الحنيف بحدود سيفه البتار وأقام الملة الحنيفية وأحيا مآثرها
من مآثرها ونصر مذهب السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع ودفع أهل الإلحاد
وعمهم بالظلم من ناصر وكان رحمه الله سلطانا رفيع القدر حسن الطبع في الحرب
والسلم موصوفا بالعلم والحلم والحزم قال العلامة القطبي في وصفه وكان مجدد دين
هذه الأمة المحمدية في هذا القرن العاشر فقد ورد أن لكل قرن مجددا أيا
ظاهر هذا جامع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر عن شأو
كل أديب وشاعر وكان يعرف الألسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية
وينظم بها أشعارا حسانا وكان دائم الفكر في أحوال الرعية والمملكة وله ديوان
فائق بالتركي وآخر ينظم الشعر بالفارسية وأهلها ملكا الزمان وكان رؤوفا شفوقا
صادقا صدوقا إذا قال صدق وإذا قيل صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن
سوء الطباع ولا يدري المكر والنفاق ولا يألف مساوي الأخلاق بل هو صافي
الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الإيمان سليم القلب خالص الجنان
لا يرتاب أحد في كمال ديانته ولا يشك في صلاحه ولا يشتبه قال القطبي بعد ما ذكر

وما ساعيت دوني حاسدا * الا وأكثر بمالك ما أدع

ولد رحمه الله سنة تسعمائة وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وتسعمائة
في شوال وأطال الله عمره وطول دولته حتى بلغت مدته أربعين سنة وشهورا
وعاش أربعا وسبعين سنة وكان رحمه الله شجاعا كريما حسن الخلق والخلقة
فإنه كان منصورا مجللا ظاهرا وباطنا وهو الذي أسس قواعد الدولة العثمانية
ومهد الإسلام وسهل الأمور وفتح البلاد ووضع كثيرا من القوانين الموافقة
للشرع النافعة للعباد رحمه الله رحمة واسعة وكان شديد المحبة للغزو والجهاد

للكفار فأكثر الغزوات وفتح الفتوحات

﴿ ذكر أول فتح له وانتصار ﴾

أول فتح لمولانا السلطان سليمان وانتصار انتصاره على والى دمشق لما خلع طاعته عند سماعه بموت أبيه وأراد أن يكون سلطانا وهو الامير جان بردى بيك الغزالى وأصل ذلك ان المرحوم السلطان سليما استخدم من أصحاب الغورى أميرين وهما خير الدين بيك وجان بردى بيك الغزالى وكلاهما من الجراكسة وكان بينهما وبين الغورى عداوة وكان يكرههما وهما يكرهانه فلما كان القتال بين الغورى والسلطان سليم بمرج دابق أمرهما الغورى أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما مع عسكرهما جناحا أمامه ووقف الغورى مع خواص عسكره الذين يعتمد عليهم متأخرين عنهما وأراد بذلك أن يقتلا بالسادق فى أول القتال فيسلم هو ومن معه فتفطن خير الدين بيك والغزالى لذلك فأرسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الأمان فأرسل السلطان سليم لهما الامان ونهدلهما بما يطيب خاطرهما وأن يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران فر خير الدين بيك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى ومن معه فى القلب فهلك من هلك وهرب من هرب وقتل الغورى تحت سنابك الخيل فلما تم الامر للسلطان سليم واستقر له ملك الشام ومصر قرب خير الدين بيك والامير جان بردى وأدناهما ثم ولى الامير جان بردى دمشق والامير خير الدين مصر فعلا شأنهما وانتشر ذكرهما فلما بلغ الامير جان بردى والى دمشق وفاة السلطان سليم خلع الطاعة وأراد أن يتسلطن بدمشق ونواحيها فجمع جموعا وسار الى مدينة حلب ليستولى عليها فحاصرها مدة فلم يقدر عليها وكان نائب حلب اذ ذاك قرجه أحمد باشا فجد فى دفعه واجتهد فرجع جان بردى الى دمشق وزاد فى تحصين القلعة وترميمها فأرسل اليه السلطان سليمان وزيره فرهاد باشا فى عسكر كثير فالتقوا مع عسكر جان بردى فى موضع يقال له المصطبة بأرض القابون وذلك فى صفر سنة سبع وعشرين

وتب بأنه قام برم خان بردى وعسكر وده وأعقب ارحل الجمل ولم يبق له ولا
لجرد آثر وفد البطى ابهم فضربوا عليه وقتلوا وقطعوا رأسه وأرسلوا الى
الباب العالى فحمل ورهادنا الشام وربت أمورها ورجع الى دار السلطنه
فخلع عليه السلطان وزاد فى قدره ورتبته

﴿ ذكر غزوات مولانا السلطان سليمان ﴾

الغزو الاولى قال نزالا سكروس لارين ونقال لهم المحركان من سعودات
السلطان سليمان أنه فى أول ولايته كان بين دول الافرنج احتلاف واضطراب
وقد كانت بين الفرنسيس واسبانيا وايطاليا فاغتنم السلطان سليمان هذه
الفرصه ورحب بعسكر جرار سنه سبع وعشرين وتسعمائه وكان رب الله
محبا الجهاد فى سبيل الله ادلا نفس وحر اسه لاعلاء كلمة الله لم يرتفع رايه الاسلام
على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر منه جهادا ونصر للدين فخرج
بنفسه من القسطنطينيه الاحدى عشر لبله مضت من جمادى الاخرة سنه
سبع وعشرين وتسعمائه بعسكر جرار وخيش كبير وأمر بتجهيز أساطيل
كثير بحرا فحمل منها جسرا للمجاهدين وأربعمائه للدواب والاثقال وسيرهم حتى
دخلوا فى نهر الطونه فارسوا بقرب بلغراد وهى مدينه حصينه لها سور رفيع
وقد أحاط بها نهران عظيمان وهما نهر الطونه ونهر صاو وقيل ان السبب فى هذه
الغزو ان المجر قتلوا المباشر الذى كان عندهم من طرف السلطان لجمع الخراج
فكان ذلك سببا لمسير السلطان وحمل السلطان حر وجهه على طريق واربه
ومعه عساكر كثير وبعث جيشا لحاصر وافلعه بوكر دلو وهى قلعه حصينه
على ساحل نهر صاوه فحاصر وهاحتى ملكوها ثم توجهوا الى بلغراد ثم لحق بهم
السلطان وصار واجميعا حاصرين بلغراد ولم يزل يشتد الامر ويعظم القتال
حتى فتح الله على المسلمين وقتلوا كثيرا من الكفار وفاروا بغنائم لا تحصى
واستولى السلطان على بلادهم بعد أن أحرب كثيرا منها وله لما شاهد الكفار هذا
الفتح العظيم جاؤا له بمفاتيح عان قلاع متمنعه هنالك ثم أمر السلطان بتعمير ما تهدم

من قلعة بلغراد وعين لها أميرا وقاصيا ورجع الى كرسي سلطنته سالما غانما في شهر ذي القعدة الحرام من سنته

﴿ الغزوة الثانية غزوة رودس ﴾

وهي جزيرة في وسط البحر ما بين القسطنطينية ومصر وبنى الكفار بها حصنا كان في غاية الاستحكام مكينا جعلوه لاحد المسلمين وأتقنوه في غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نحو الشرطين والبطين ينظرون من أعلى القلعة الى السفائن التي تمر في البحر مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه لتصرف في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا ووضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمي على من يقصدها من الخارج وتصيب كل من قصدها من جميع الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيؤن أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج أو التجار أخرجوا اليها تلك الاغربة وأخذوها وغنموا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتلهم وكان هذا أهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم أذاهم المسلمين وقد تكرر غزو المسلمين بلاد رودس وتكرر انتقاضهم وقد تقدم نص ذلك فلما تحقق السلطان سليمان كثرة الاذى الحاصل للمسلمين من أهل رودس تجهز بنفسه لغزوهم وقتالهم وكان سفره الميمون الباهر وله وجيشه الشريف في اسكدار متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان عدة الجيش الذي جهزه مؤلفا من مائتي ألف مقاتل وسفائن بحرية تبلغ أربعمائة سفينة فاحاطت الجيوش برا وبحرا بجزيرة رودس وحصروها فأرسل ملكها يستجد ملك

الفرنسيس وملك أسبانيا لم يعينا لما كان بينهما من الفتن فأرسل البابا
صاحب رومية إليهما يحثهما على المدافعة والمحاماة عن تلك الجزيرة لاهتمام
الجمهور الباقية للمسيحيين من مصادمة العثمانيين فلم يلتفتا إلى كلام البابا وفي رابع
رمضان طلع السلطان سليمان على محل رفيع مشرف على حصن رودس فرآها
قلعة حصينة كان بانيها ماهرا في الهندسة بحيث إنه بنى سور القلعة تحت الأرض
وعمل لها خندقا عريضا عميقا وجعل للسور سورين في عرض سبعة أذرع وملأ
ما بينهما وهو مقدار سبعة أذرع بالتراب والحجارة ولها من جانب البحر مينا
عظيمة مدورة كالحوض ولها باب خصوص جعلوا عليه سلسلة من حديد ولها
بعض بروج سامية في الرفعة والإحكام مثل السما وحضر خير الدين بك صاحب
مصر في أربعة وعشرين غرابا أمدادا للمسلمين واستمروا في أمر الحصار
يقاتلونهم بالبنادق والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما وقيل إلى ستة أشهر فلم ينالوا
شيئا قال العلامة القطبي وما أمكن من في البحر أن يقرب من حصار رودس
للخندق العظيم الذي حولها مع صونه بالمدافع العظيمة ولا أمكن أن يأتي القرب منها
للسلسلة الممدودة من الحديد في الثغر والرمي على من يقرب منها بالمدافع الكبار
فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لغاية عرض الخندق
وعدم تأثير المدافع فيه فأمرت عساكر الإسلام بسوق الرمال والتراب
أمثال الجبال وجرّوها وصاروا يلقونها قليلا قليلا إلى أن وصل التراب
الخندق وامتلأ به وقرب من الجدار وارتفع عليه فصار الكفار تحت المسلمين
يقاتلون لا يصيبون فطلبوا الخنادق ونقبوا الأسوار من تحت الأرض ثم إنهم
ملؤوا النقوب بالبارود وأضرموها بالنار فانفتح بسبب ذلك عدة من مواضع
تمكن العسكر بها إلى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك طلبوا الأمان فأمنهم السلطان
ثم رجعوا عن ذلك لأنه أتاهم مدد من الكفار في سفن مراكب في الليل فشرع
المسلمون في الحرب بأشد اهتمام وضربوا على رودس أكثر من مائتين وعشرين
ألف مدفع فصارت خرابا حتى اضطر الكفار وطلبوا الأمان وأرسل أمير القلعة

حسين بعرامن كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤالهم فأمنهم وأذن لهم فى المسير مع جماعة وأمرهم أن يطلقوا أسارى المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا عددا كثيرا مأسورين عندهم من الاشراف والاعيان والعباد من مدة متطاولة فى سلاسل وأغلال فأطلقوهم وخرج صاحب رودس وتبعه أربعة آلاف من أهل رودس فأعطاهم البابا مدينة ويتبره من بلاد إيطاليا فأقاموا فيها إلى أن نقلهم الملك شرلكان أمبراطور اسبانيا الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها فكانوا يقال لهم شفالرية مالطة وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى أن استخلصها منهم بونابارت وهو آت الى مصر سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة ثم دخل المسلمون عسكر السلطان سليمان مدينة رودس وأخربوا الكنائس وجعلوها جوامع ثم رتب السلطان أمور رودس وجعل الجزية على من بقى بها وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة تسعمائة وتسع وعشرين وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ ألطفها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ٩٢٩ وفتحت عدة قلاع فى ذلك العام ورجع السلطان الى القسطنطينية كرسى ملكه سالما غانما

﴿ ذكر عصيان أحمد باشا والى مصر وخلعه السلطان وأخذه البيعة من الناس لنفسه ﴾

كان السلطان سليمان له وزير مقرب تربى معه ونشأ فى خدمته وملازمته اسمه ابراهيم باشا وكان لوالده السلطان سليم وزير آخر يسمى أحمد باشا فظن ان وزارة الصدارة لا تتعداه الى غيره لكونه من خواص مماليك السلطان سليم ووزرائه فأعطى السلطان سليمان الصدارة لابراهيم باشا فزاحمه أحمد باشا وصار يخدم السلطنة فى كثير مما يتعلق بالصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان ودبر فى ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ولاية مصر وأعطاه أقطاعا كثيرة يستجلب بها خاطره فمضى الى مصر واليا وصار يتعقب ابراهيم باشا فى أشياء كثيرة للعداوة السابقة ويرميه عند السلطان بما يوجب قتله فبرز الامر

لجماعة من الامراء المعتقلين سرا أن يحملوا السيف ويقتلوا في قلعته الامير
الشريف الجنبلاطي ويتولى أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف بتثبيته من
جناب السلطان وأرسل هذه الاحكام الى الامراء المذكورين ثم وقعت تلك
الاحكام بيد أحمد باشا فسأل أن يصل الى الامراء المذكورين فجمعهم في ديوانه
وذكر لهم أن الامر الشريف السلطاني ورد اليه بقتلهم فأ
الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يقوى الى حـ سل بعصيه
السلطان وأنه قابل ويقابل بجيش يدفعه من مصر فنادى بالعصيان وادعى
السلطنة لنفسه وأمر الناس أن يبايعوه وأمر أن يخطب باسمه على المنابر في
الجمع ورتب عسكرا مصريا من الغواسة وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير
وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل وجمع عليهم
العسكر فأخذوها بالحيل وقتلوا من فيها من عسكر السلطان وأوقد نار الفتنة
والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوي وغيره وذلك وأراد قتلهما وقد
أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وبرزا وتناصحا
سنجقا ونادينا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق
السلطاني خلق كثير وجم غفير وصار من دارهم ثم وذلك وجانم الحمزاوي نائب
الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأبقى
النصف الثاني فهجم العسكر السلطاني عليه فهرب الى السطح وتخلص من
مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ من مشايخ العرب يقال له
سمي عبد الدايم وقوي العسكر السلطاني ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم
والمصادر وخرجوا اليه بلبلوه ووجدوا عبد الدايم وحذروه من غضب
السلطنة فأتاهم به فقطعوا رأسه وطافوا بها مصر وعلقوها في باب زويلة ثم
جهزوها الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وضبط
مصر ... وجانم الحمزاوي الى أن جاء قاسم باشا من دار السلطنة متوليا
مصر واستمر ابراهيم باشا في وزارته العظمى ثم أرسله السلطان وهو وزير أعظم

الى مصر لاصلاح ما افسده الهوارة العصاة والاقبال وطرق أحوالها وأمر الها
وولى على مصر قاسم باشا ورجع ابراهيم باشا الى دار السلطنة وصار مقبولا معظما
عند السلطان نافذ الأمر والنهي الى أن أفرط في الدلال وزاد في الادلال باستبداد
بالامور واستقل بمصالح الجمهور ورأت العزة السلطانية من ازدياد دلاله وما
[illegible] وادلاله وكثر حاسدوه ووشوا به الى السلطان سليمان وقالوا انه
يريد قتل السلطان والجلوس على تخت السلطنة فلما بلغ السلطان سليمان ذلك
أراد أن يختبر حقيقة الامر فقال يوما لابراهيم باشا وهما في مجلس أنس انى أريد
أن أجعل السلطنة لك فقال العبد يا مولانا السلطان فان العبد لا يبلغ مرتبة
السيد فقال له السلطان لابد من ذلك فقال ابراهيم باشا يكفي أن يتفضل مولانا
السلطان على بأن يأمر في دار الضرب أن يجعلوا على وجه السكة اسم مولانا
السلطان وعلى الوجه الآخر اسمي فاني أكتفي بالمشاركة في السكة ولما اطلع
السلطان على صحة ذلك الامر بالقرائن التي ظهرت له أمر بقتله فطلبه السلطان
في ليلة من ليالي أواخر رمضان الى عنده وأنعم عليه على جاري عادته بمؤانس
وادمامات وافرة ووهب له جميع ما كان في مجلسه من أواني الذهب المرصعة
بالجواهر العالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت
عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غلب سلطان
المنام على مقلته وأماقيه فأمر بذبحه فذبح وأخطأ الذابح نحره فصاح مستمرا وكان
السلطان قريبا من موضعه وقد صمم في أمر قتله فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه
وأطيح براسه وأخذت أنفاسه ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي
زادت على الحد والقياس نفعته عند الله تعالى في الدار الآخرة ولعله صدقت نيته
في نعمه فصادفت قبولا وصارت له عند الله ذخرا وكم من عمل صالح يكون سببا
للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء الابرار وما ربك بظلام
للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة تسعمائة واحدى
وأربعين وفي قصته وقصة أحمد باشا خصمه عبرة للناظرين وأولى الابصار

للغزو وانفصل بقومه من دار السلطنة الى حلقه او كنار الطونة في ثامن رمضان
سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا نحو بلاد كثيرة الى أن وصل الى المخيم
العالي فيما يلاحقوا من ملوك أنكروس يطلب الامان لجماعة من قومها والرئيس
عراج أنكروس كل منهم فعلم بأنه من الحضرة السنية السلطانية بالقبول
وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الامان وبادرت الى بلادها واستمر الوطاق
السلطاني وتوجه كثير من العساكر الى محاصرة قلعة بدون التي حصروها
حاصروها وضيقوا على من فيها الى أن فتح الله للبلاد وخذل أهل
الكفر والعناد كان فتحها بعد حرب شديد ثم
لاربع مضين من محرم سنة ست وثلاثين ثم توجهت ساقي حصاري
العساكر الى محاصرة قلعة أخرى قريب منها النمسا كانت من أعظم قلاع
الكفار فاحاط الجند بها وحاصروها فطلب أهل القلعة الامان وأتوا بمفاتيحها الى
حضرة مولانا السلطان ولما كانت القلعة المذكورة بعيدة من حدود الاسلام
غير مأمونة من هجوم الكفار أمر حضرة مولانا السلطان بهدمها فهدمت
وأخربت وهدمت كانوا بأطرافها وحولها وسبيت أولادهم ونساؤهم
وعاد السلطان الى تخت ملكه بالنصر والتأييد أوائل شهر ربيع الآخر سنة ست
وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة الى بلاد النمسا أيضا﴾
في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة غزا مولانا السلطان سليمان بنفسه من
القسطنطينية ومعه مائة ألف مقاتل وأربعمائة مدفع لحرب النمسا ونازل
مدينة فينا قاعدة مملكة النمسا وأقام عليها الحصار فقاتلوا أشد القتال وحلت
أمطار شديدة تأذى المسلمون بها وفاض النهر وأخذ الخيام وجملة من العسكر
وضيقت بهم على الاسوار هربا من الما ومكثوا على ذلك وهم في شدة
شديدة حتى انكشف الما ولما رأى السلطان ذلك تحول وارتحل عن المدينة
وقتل عسكر الانكشارية الاسرى الذين كانوا تحت أيديهم لما وصل مولانا
السلطان الى بدينة وهكذا بلاد المجر ... الطاعة فقبله وأكرمه

وأجلسه عن يمين كرسيه ولما أراد الانصراف خلع عليه خلعة ثمينة وأعطاه ثلاثة أفراس من جياد الخيل عليها سروج مرصعة ورجع السلطان الى مقر سلطنته سالما

﴿ الغزوة السادسة الى بلاد ألمان ﴾

لما كانت سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وصلت الأخبار الى الأبواب السلطانية ان قرال النمساجمع طائفة من كفار الألمان وأراد الافساد والطغيان فتوجهت همة مولانا السلطان سليمان الى المبادرة الى قتال [illegible] اللعين وجهز الجيوش برا وبحرا وأرسل فى شعبان من طريق [illegible] باشا القبودان لحفظ وجه البحر من [illegible] مشحونة بالعساكر الابطال ففتح عدة قلاع من بلاد الفرنج وأرعبهم غاية الرعب وقتل وسبى كثيرا منهم وتوجه مولانا السلطان من دار السلطنة فى رمضان من السنة المذكورة فوصل بجيوشه الى مملكة الألمان وأحاط بما فيها من الحصون والقلاع بعساكره وضيقوا عليها وهبوا قراها وضياعها المعمورة وسبوا كثيرا من ذرارى الكفار وغنموا مالا يحصى من الأموال وقتلوا من الرجال مالا يسطر بالبال وهرب ملوكهم وتركوا صعلوكهم وبذلوا ما بقى معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة السنية الى سؤالهم وكتب لهم توقيع الامان وعاد مولانا السلطان الى دار ملكه المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود فى أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة

﴿ الغزوة السابعة الى بلاد السرب ﴾

فى سنة تسع وثلاثين خرج مولانا السلطان سليمان بمائتى ألف مقاتل لمحاربة السرب ففتح فى طريقه أربع عشرة قلعة واستولى على أكثر حدود بلاد النمسا ثم رجع الى القسطنطينية سالما غانما وفى سنة أربعين عقد صلحا مع ملوك الفرنج أهل أوروبا ليتفرغ لمحاربة العجم لكثرة الخلاف الحاصل منهم

﴿ الغزوة الثامنة الى بلاد العجم ﴾

فى سنة أربعين وتسعمائة توجهت همة مولانا السلطان سليمان الى محاربة العجم

بعض المورخين انها كانت في سنة خمس وأربعين وحاصلها ان مولانا السلطان
توجه بنفسه الشريفة من طريق البر ومعه عساكر كثيرة وأرسل من طريق
البحر خمسمائة غراب مشحونة بالعساكر والذخائر والسلاح وعليها خير الدين
باشا فافتتح عساكر البر والبحر قلاعا وحصونا كثيرة [illegible] كثيرة وتملكوا
أربعة وثلاثين حصنا وعشرين جزيرة من جزائر البندقية وهم طائفة من
[illegible] البندقية وكانت مائة وسبعين وستين
وأرسل في شعبان من طريق [illegible] قلاع نابولي ورومانيا وغيرهما
[illegible] ريال ورجع سالما منصورا مظفرا وكانت

﴿ الغزوة العاشرة الى البغدان ﴾

وكانت هذه الغزوة في سنة أربع وأربعين وتسعمائة توجه مولانا السلطان
بنفسه الشريفة ومعه كثير من عساكره المنصورة الى بلاد البغدان وقتل فيها
وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وغنم أموالا كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير
محصورة وعاد الى تحت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد
والفتح الجديد فوصل الى دار السلطنة لست بقين من ربيع الاول سنة أربع
وأربعين وتسعمائة ـ

﴿ الغزوة الحادية عشرة الى اسطبور من بلاد أنكروس ﴾

سبب هذه الغزوة ان مولانا السلطان كان قد أنعم على امرأة من أبناء ملوكهم
يقال لها اردل بانو بتلك البلاد ثم توفيت فأراد قرال النمسا أن يتملك تلك البلاد
فتوجه مولانا السلطان بعساكره المنصورة سنة ثمان وأربعين وتسعمائة الى
قتال قرال النمسا فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فر هاربا الى
الجبال وتقهقر عن القتال فتبعته الابطال فهزموهم فجالت العساكر المنصورة
في تلك البلدان وقتلوا أهل البغي والعدوان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان
وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا غنائم كثيرة وفتحوا قلعة اسطبور وفتحت

ورجع سليمان باشا الى اليمن ثم الى دار السلطنة سالما غانما

﴿ الغزوة الرابعة عشر الى بلاد العجم ﴾

كانت هذه الغزوة أيضا سنة أربع وخمسين وتسعمائة الى بلاد العجم وسببها ان
سلطان العجم طهماسب كان له أخ يسمى القاسب ميرزا كان قد ولاه مدينة
شروان ثم وقع بينهما اختلاف آل الأمر منه الى القتال ولم يكن للقاسب طاقة
وأرسل في شعبان من طريق الحلب [illegible] ـة من خواصه الى الروم ملتجئا الى
مولانا [illegible] السلطنة السنية أكرمه مولانا السلطان
[illegible] ووهب له من الذهب الاحمر شيأ [illegible] ـرا ووهب له عدة أحمال من الاقمشة
[illegible] ـين وأعطاه الطبل والعلم ووعده بالنصر ثم شمر مولانا السلطان بنفسه
الى المسير لقتال طهماسب وأمر أخاه القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة
من العسكر وفي ثامن شهر صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان
سليمان بنفسه قاصدا بلاد العجم ولما قرب من حدود أذربيجان نزل بيرهان
واستخلص شروان من يد جماعة طهماسب وفي عشرين من جمادى الآخرة من
هذه السنة وصل الى تبريز وفوض أمرها الى القاسب ميرزا أخي سلطان العجم
وأعطاه من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه فلما تولى القاسب امارة تبريز جعل
يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم فلما تحقق السلطان سليمان منه
ذلك استصحبه معه وكان قصد السلطان أن يسير على مدينة وان ويخلصها من
طهماسب لانه ملكها من نواب السلطان بعد أن ملكوها فوصل اليها في عاشر
رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل
العساكر بها يجدون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخربوا أكثرها فلما
تيقن من بالقلعة أنهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب
ميرزا وتضرع اليه واستشفع به فشفع القاسب عند السلطان سليمان في اعطائهم
الأمان والعفو عنهم فقبل شفاعته فخرجوا من القلعة وسلموها لصاحبها فدخلها
أهل السنة والجماعة ونصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا

مدينة توان وهي من أحسن مدن الدنيا وأنزهها فأخربها العسكر جميعا وكان دأبهم كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشرين شعبان من سنة احدى وستين وتسعمائة الى مدينة نخجوان مقر سلطان العجم وفيها دور وقصور شامخة الأركان رفيعة البنيان ودور أولاده وأحفاده [illegible] وسائر أعيان دولته فلما دخلها العسكر وجدوها خالية فقطعوا [illegible] ها أرض قفراء ما عمرت قط وأغار مولانا [illegible] وأرسل في شعبان من طريق [illegible] [illegible] قاتلوا من قدروا على قتله ثم أغاروا على [illegible] ووهب له من الذهب الاحمر شيأ [illegible] جماعة سلطان العجم فانتصروا عليهم [illegible] واغتنموا مرصعة وأعلامهم وطبولهم وفي [illegible] من جانب سلطان العجم ومعه مكتوب محصله أنه ندم على ما أظهر من العداوة وأظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فأجابه السلطان الى مسؤله وخلع على الوافد ثم توجه السلطان وشتى بمدينة أماسية ثم رجع الى كرسي مملكة القسطنطينية

﴿ الغزوة السادسة عشرة الى سلطان المغرب ﴾

هذه الغزوة خبر عجيب غريب لم يذكره تواريخ أهل المشرق وهو يدل على ضخامة ملك مولانا السلطان سليمان وقوة سلطنته وعلو همته فيستحق أن يلحق بالغزوات وان لم يخرج فيها السلطان بنفسه فينبغي ذكره لغرابته تتميما للفوائد وهو مذكور في تواريخ أهل المغرب منها التاريخ المسمى نزهة الحادي في أخبار أهل القرن الحادي وهو تاريخ مخصوص بذكر ملوك المغرب للعلامة الشيخ محمد بن عبد الله الافراني المراكشي وذلك أنه ذكر هذا الخبر في ترجمة السلطان الملقب بالشيخ أبي عبد الله محمد المهدي بن أبي عبد الله القائم ثالث الخلفاء السعديين الذين ملكوا مراكش وفاس (وحاصل) ذلك الخبر أن السلطان المذكور لما تم له ملك المغرب ودانت له حواضره وبواديه تلقب بالمهدي وتاقت همته الى بلاد المشرق فكان يقول لا بد لي أن أذهب الى مصر وأخرج الاتراك من أجحارهم وأنا زلهم في ديارهم فبلغت مقالته مولانا السلطان سليمان العثماني وكان

امتداد الفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة

﴿ الغزوة الثامنة عشرة ﴾

وفى سنة سبع وستين وتسعمائة أخذ القبطان سنان باشا بعمارة عظيمة الى جزيرة جرباء فى افريقا وتملكها بعد حصار ثلاثة أشهر وأخذ حاكمها أسيرا وأتى به الى القسطنطينية فلما بلغ ذلك ملك اسبانيا ركب على بلاد الجزائر وأخذ بعض مواقع [illegible] الدولة فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة وأرسل فى شعبان من [illegible] القبطان سنان باشا من مينا القسطنطينية [illegible] ووهب له من الذهب الأحمر شيأ [illegible] مركبا ومعه السر عسكر مصطفى باشا [illegible] وأخذوا فى عمل خنادق أمام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى أن أخذوها وأخذوا أسرى كثيرين وسمروا على أخشاب وطرحوا فى البحر أمام المدينة وهى محاصرة وكان قد وقع فى يد حاكم المدينة أسرى من الانكشارية فلما رأى ذلك أمر بقطع رؤسهم ووضعها فى المدافع وضرب بها المحاصرين ووقع عشر هجمات على المدينة وفقد عساكر كثيرة فلم يمكن أخذ المدينة فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا

﴿ الغزوة التاسعة عشرة ﴾

وفى أثناء هذه المدة كان قد وقع الحرب بين الدولة والمجر وأخذت عساكر الدولة جملة بلدان من ممالك المجر فأرسلوا يطلبون الصلح ولم يرسلوا الخراج المنكسر عندهم فغضب السلطان وأمر بحبس رسولهم وعزم على السفر اليهم بنفسه فبلغهم الخبر فخضعوا وأعطوا الطاعة وبذلوا المنكسر وضاعفوه بأضعاف كثيرة فعفا عنهم وأمنهم

﴿ الغزوة المكملة عشرين ﴾

وفى سنة أربع وسبعين وتسعمائة نهض مولانا السلطان سليمان خان لفتح مدينة لنصارى المجر تسمى سكدوار والحال أنه قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه علة النقرس وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين فمنعه الاطباء

التواريخ وفى تاريخ القطبى أن الفتح كان قبل وفاة السلطان وانه لما جاءه خبر
الفتح وهو فى غاية المرض فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة واستسلم لربه
وقال طاب الموت الآن ثم انتقل الى رحمة الله تعالى وكان فتحها يوم السبت سابع
شهر صفر الخير سنة أربع وسبعين وتسعمائة ولم يزل العسكر هناك فى ترميم
القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم يدعوه الى
[illegible] على امارة كو[illegible] جاءه الخبر دخل القسطنطينية على
[illegible] وجلس على [illegible] فى التاسع من شهر ربيع الاول من
[illegible] الناس ثم خرج فى اليوم الثالث وتوجه
[illegible] ووهب له من الذهب الاحمر شيأ [illegible]
[illegible] فحملوا السلطان سليمان رحمه الله
[illegible] فى العجلة ونقلوه الى القسطنطينية ودفن بها وعمره أربع وسبعون [illegible]
ومدة سلطنته ثمان وأربعون سنة وكان قدوم ولده السلطان سليم الى القسطنطينية
من سكدوار فى شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان الحرب لم يزل قائما
بين العساكر العثمانية وملك النمسا * ومن العجائب التدبير الذى حصل من
الوزير الأعظم محمد باشا عند وفاة مولانا السلطان سليمان فانه بعد وفاته كتم وفاته
وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء الترقيات وأمر
ارسال البشائر الى سائر الأطراف والجهات بحصول النصر والظفر وأرسل سرا
يستدعى ولى العهد السلطان سليمان الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول وكتم
ذلك عن جميع العسكر والامراء والوزراء والانام وأحسن التدبير فى هذا الكتم
واستمرت أمور المملكة فى غاية الانتظام وهو فى ديار الكفار وذلك من كمال
العقل التام والرأى الصائب الى أن وصل حضرة السلطان سليم والحرب قائم ثم
وقع الصلح على الهدنة ثمان سنين ودفع ملك النمسا الجزية للسلطان ثلاثمائة ألف
ريال ورجع مولانا السلطان سليم الى مقر تخت سلطنته وأذن للعساكر المنصورة
بالرجوع الى أوطانها ورثت الشعراء مولانا السلطان سليمان بقصائد كثيرة

﴿ ذكر خبر عجيب ﴾

يدل على قوة ديانة مولانا السلطان سليمان وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى وذلك

نفس بعيراً وناقة واستمر الامر على ذلك مدة فقال له بعض الناس ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه بأني نويت أن أنحر ما عندي من الابل فاذا فنيت أمرت بنحر الخيول ثم كل حيوان يجوز أكله فاما قرب وقت الحج برز أمره الشريف لابنه الشريف أحمد أن يقابل بمكة أمراء الحج ويلبس الخلعة الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده ال[illegible]ام فاما وصل أمراء الحج قابلهم وفعل مثل [illegible] الناس وفاما [illegible] الحج توجهوا الى جدة لمقابلة مولانا [illegible] ن أهلها وجلس على [illegible] فلاقاهم ودعوتنا كى السلاح لا [illegible] درعه [illegible] ووهب له من الذهب الاحمر شيئاً [illegible] المدافع فأطلق لمقابلتهم نحو ثلاثمائة [illegible] عظيماً فالبسوه [illegible] وأصحابه وأكرمهم بغاية الاكرام وانصرفوا راجعين ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقصروا خاسئين ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان ذلك زاد في اكرام مولانا الشريف أبي نمي وسمح له بنصف معلوم جدة وأوصل اليه غير ذلك من الانعامات التي لا تحصى وهذه القصة فيها منقبة عظيمة لسيدنا الشريف أبي نمي تدخله في عداد الغزاة المجاهدين في سبيل الله ولم تكن لأحد غيره من أسلافه وأجداده أمراء بمكة فرحم الله الجميع رحمة واسعة

﴿ تنبيه ﴾

ذكر العلامة الفاسي في الاعلام بأخبار بلد الله الحرام أن الحبشة جاءت الى جدة في خلافة الرشيد سنة ثلاث وثمانين ومائة فأوقعوا فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة مجاهدين وأميرهم حينئذ عبد الله بن محمد بن ابراهيم المخزومي فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل إن هذه القصة كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة وقد ورد في فضل ثغر جدة أحاديث كثيرة منها ما ذكره شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه المسمى لسان الميزان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان على رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل الرباط وفي رواية عن ابن عمر أيضاً يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط بجدة

أربع مدارس للمذاهب الاربعة بين باب الدريبة وباب الزيادة وعمر تعميرا كثيرا في الكعبة المعظمة وجدد سقفها وأمر بتصفيح باب الكعبة بالذهب وباصلاح حام المطاف ثم في سنة أربع وستين أمر بتجديد باب الكعبة فجدد * وفي سنة سبعين وتسعمائة أمر بعمارة عين عرفة فعمرت حتى دخلت مكة وعم الانتفاع بها وكان الناس قبل ذلك يقاسون غاية المشقة في تحصيل الماء وكان تمام هذا التعمير في سنة [illegible] الكلام على هذه التعميرات كلها [illegible] في التواريخ [illegible] الدولة العثمانية وفتوحاتها وخيراتها لا تحصى لاسيما ما كان من ذلك أيام السلطان سليمان فهو واسطة عقدهم وفريدة أدام الله سلطنتهم على الانام ووفقهم لما يحبه [illegible] * ومن فتوحات مولانا السلطان سليمان في الحرمين الشريفين تضعيف الصدقات بالصر لاهل الحرمين وهي مادة الحياة لهم وبها معايشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فهي وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام الا أنه هو الذي ضاعفها وزادها وأنماها وأضاف عليها من خزينته الخاصة مبلغا كبيرا وقد تقدم أن صدقة الحب أول من أرسلها والده السلطان سليم فاعتنى بها مولانا السلطان سليمان وزادها وأفرز لها قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل ريعها لاهل الحرمين وجعل من ريعها لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف أردب ولاهل المدينة المنورة ألفي أردب وكتب عند شرائه تلك القرى كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي * ومن فتوحاته وخيراته صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناها ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها وهي من أحل الاموال اذا أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت للعلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء فلما كانت أيام سلطنة مولانا السلطان سليمان نور الله مرقده وعمه بالرحمة والرضوان بحث عنها وتحرى فيها ووجد سلاطين الجراكسة كانوا يخرجون القليل منها فاجتهد في تحريرها وضبطها واستوعب صرف

جمعها الذي كور ن وزاد على ذلك قدرا كبيرا أخرجه من خزائنه الخ
واستوعبت البسط حوالى مصر والشام حلب وسرد ذلك من الممالك الاسلا
واستوسب العلما والصلحا والفقرا الموجودين في الممالك الاسلا
لكل واحد ما يليق به وجعل عمارات وتكيات طبخ فيها الاطعمه للفقر
وبالجمله تكثر هذه المصارف في وجوه الخيرات فالله تعالى يثيب
السر بفه القاهره والسلطنه الزاهره بأن الكمار استجير وأعين به
الآخر ومن خيرات مولانا السلطان خروج كثرة من المال في وجوه لم
معروفه في ممالك الاسلام جمل وظائف شريفه العا استه فساور المسلمو
وسلم معها سلطنه يعترف من ربيع ملك الاوقات والكلام على
... مبسوط في التواريخ وجعل تلك المرتبات متفاوته على حسب مراد
من جعلت لهم وعلى قدر درجاتهم في العلوم ولو استقرينا ماله من الحسنات
لاحصا الى حد يجلدات فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا وعمله مبرورا

﴿ ذكر فتوحات مولانا السلطان سليم الثاني ابن مولانا السلطان سليمان ﴾

كان جلوسه على تخت السلطنه بعد وفاة والده سنه أربع وسبعين وتسعمائة وكان
دخوله القسطنطينيه لتسع خلت من شهر ربيع الاول من السنه المذكوره بعد
الاسى وخروجه من سكدار موضع وفاة والده في شهر جمادى الآخره كما تقدم
وكان مولانا السلطان سليم المذكور سلطانا جليلا ذا كمال مائلا الى التقوى وحب
الخير وباب السكل جميل الصوره كامل القدر صحيح العقيدة حتى المذهب كثير
الاسلاف مكرما للعلما والصالحين حالهم مواظبا على الصلوات الخمس في الجماعات
وكان احسانه يصل الى أهل الحرمين الشريفين قبل أن يتسلطن فلما جلس على
كرسي السلطنه ضاعف لهم الجرايات والعطايات

﴿ ذكر أول غزوه بعد غزواته ﴾

شاع في أول مدة جلوس مولانا السلطان سليم الثاني على تخت السلطنه عصيان بني
عليان من سكان الجزيره وتمردهم وخروجهم عن الطاعه فجهز عليهم عسكرا كثيره

وجرت حروب وخطوب يطول ذكرها حتى استولوا على معظم قلاعهم وأخربوا
أماكنهم وعادوا سالمين في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة * وفي سنة ست
وسبعين سارت جيوش السلطان سليم الى اليمن لاتمام الاصلاح ودفع المتغلبين
صحبة عثمان باشا ثم أردف بسنان باشا وغيره فانتصروا وأزالوا المتغلبين
[illegible] البرتقال وملكوا اصبهان وغيرها
[illegible] كل من الفريقين نحو بلاده لمصادر [illegible] الى قبرس *
هي [illegible] تطلب الصلح على شروط ثم [illegible] يتمردون ويخرجون عن الطاعة مرة
بعد أخرى لحرب [illegible] السلطان المذكور الى التجهيز على جزيرة
قبرس فجهز عساكر كثيرة في البحر ثلاثمائة وسبعين [illegible] عليها الوزير
مصطفى باشا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة فلما وصلت العساكر الى الجزيرة
المذكورة استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة أولا اذ هي مدينتهم الكبرى
وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر ثم افتتحوها وقتلوا كثيرا من عظماء أهل
لفقوسة وبعثوا رؤسهم في طباق من فضة الى أهل قلعة كرينة فلما شاهدوها
خافوا وذلوا فطلبوا الامان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها ثم مهد الوزير المذكور
قواعد مدينة لفقوسة وبنى ما خرب منها وتوجه الى حصار قلعة ماغوسة وهي من
أمنع الحصون وأصعب المعاقل وقد حصنوها بكثير من المدافع والمكاحل
وشحنوها بالرجال وقد أحاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع
وعشرة أذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت في هذه القلعة من المدافع
سبعمائة وأربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق ما لا يعلم عددها الا الله تعالى
فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار
المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا وفتقوا قعورها فتقا وبعث أهل قبرس الى
ملوك الفرنج يستنجدون بهم فلم ينجدوهم فلما أيسوا من الخلاص طلبوا الامان
فأمنهم الوزير المذكور وطلب كثير منهم المسير الى بلادهم فمكنهم من ذلك وتسلم
المسلمون ماغوسة ونصبوا فيها أعلام الاسلام وعمروا ما تخرب منها وغنم المسلمون

من الله تعالى كان لم يمسهم ضر ولا شر * وفى سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من فم الخليج القسطنطينى صحبة كاشف البحر قلج على باشا القبودان فى مائتين وخمسين عمارة غير ما انضم اليهم من المراكب فسار يحمى البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض أطراف البلاد صادف عمارة الافرنج فوقع بين الفريقين بعض مقاتلة ومناوشة فأصاب عدة مدافع بعض سفن العدو فأغرقها ثم رجع كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفى هذه السنة أرسلت مشايخ البندقية تطلب الصلح على شروط تعود الى شرف الدولة فصدر الامر بالقبول وتوقف الحرب *

﴿ الغزوة الرابعة الى اليمن ﴾

فى تلك الايام كان حاكم اليمن قد أظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج فأرسلت اليه الجيوش والعساكر وأخذوه أسيرا ولما حضر ضربوا عنقه

﴿ الغزوة الخامسة الى تونس ﴾

كانت هذه الغزوة فى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة فى سفن وأغربة وعلايين وشوانى مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير الشهير سنان باشا وصحبته كاشف البحر على باشا قاصدين فتح حلق الواد وتخليص مدينة تونس فساروا وحاصروا حلق الواد وهو من أمنع الحصون فافتتحوها بعد قتال قتل فيه من الطرفين ناس كثير فقتلوا من بها من الكفار واستولوا عليها وأسروا أصحابها الافرنج وأسروا أصحابها الاصلى محمدا الحفصى وكان قد تحصن فيها خوفا من العثمانية واستعان بالافرنج الاسبانيين فلم يغنوا عنه شيأ فأسره عساكر السلطنة السنية وجاؤا به الى القسطنطينية وصارت تونس من الممالك العثمانية وهذه الغزوة كانت عظيمة الشأن اختصرها بعض المؤرخين وبسط الكلام عليها العلامة القطبى فقال ان سلاطين تونس كانوا آل حفص وقد تقدم أنهم من فروع دولة ابن تومرت المهدى وان سلطنتهم كانت بـ ...لية بنى عبد المؤمن لهم من سنة ستمائة وثلاثة واستمرت الى ظهور

يومامن أيام محاصرتها فكانت الايام بعدد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل يوم
بسنة ولما تم هذا الفتح رأى الوزير المذكور ان ترميمها وعمارتها وحفظها بالعساكر
والآلات الحربية تحتاج الى مؤنة كثيرة وحراس من الاموال فأمر بهدمها
وتخريبها حتى لا تصير ملجأ للنصارى المخذولين ولما فرغ الوزير من أمر حلق الواد
توجه الى تونس وبها قلعة أخرى حاصرها العساكر أيضا الى أن فتحوها وأسروا
صاحبها الافرنجى وصاحبها الاصل الحفصى وبعثوا بهما الى دار السلطنة
وصارت تونس من الممالك العثمانية وانقضت دولة الحفصيين بعد أن انقضى لهم فيها
ثلاثمائة وثمان وسبعون سنة هذا حاصل هذا الفتح بغاية الاختصار * ومن فتوحات
مولانا السلطان سليم الثانى المعنوية اضعافه المبرات واحترازه لاهل الحرمين
الشريفين وعمارته المسجد الحرام فانه كان مسقفا بالخشب وتوالى عليه الحريق
والتعمير وصار فى غاية من الخراب والوهن فبرز أمره السلطانى بتعميره وان
يتركوا تسقيفه بالخشب بل يعملوه قبابا وطواجن كما هو مشاهد الآن وبرز الأمر
بالتعمير سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان الشروع فيه فى منتصف المحرم سنة
ثمانين وتسعمائة وتوفى مولانا السلطان سليم المذكور قبل اكمال التعمير فاتمه
ولده السلطان مولانا مراد فكان التمام سنة اربع وثمانين وتسعمائة فجاء نزهة
للناظرين والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ وتوفى مولانا
السلطان سليم سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدة
سلطنته ثمان سنين وخمسة أشهر وكان [illegible] أبنيته [illegible] دار السعادة
وأحكمه غاية الاحكام [illegible] السلطان
المذكور فيها [illegible] اسودهما
جنبه الذى سقط عليه [illegible] السلطنة بعده
ابنه (السلطان مراد الثالث) [illegible] أخفوا موت
أبيه أحد عشر يوما الى [illegible] السلطنة
فأظهروا موت أبيه وكان مولانا السلطان مراد المذكور ملكا جليلا [illegible] فى

حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق كثيرا من أسلافه واشتغل بنظم الشعر ولم ينقل عنه أنه صدر منه شيء من الكبائر وكان يكرم العلماء والصالحين والفقراء ويعاملهم بكثير الاحسان اليهم وكان واقفا عند من أدركه لا يتعدا عاملا في أمور تقوى الله من اعمال العدل والاحسان فيما أمر به لم يزل قائما بنصر الدين وحمايته بيضة الاسلام وتقويته حماة المسلمين ولو لم يكن من مناقبه الا تكميل بناء المسجد الحرام لكان ذلك دليلا على كرامته عند الله بين الامام وكان له نظم في اللسان العربي والتركي والفارسي

﴿ ذكر أول سروة من غزواته الى بلاد العجم ﴾

قال انهم بعد جلوسه في السلطنة قال سلطان العجم لكثرة ما يقع منه من الغدر ونقض العهود وهلك سلطان العجم طهماسب سنة أربع وثمانين وتسعمائة وقام بعده ولده محمد خدا بنده فعين السلطان مراد الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق ففتح قلعة قارس وغنم منها المدافع والمكاحل ثم سار الى تخوم بلاد العجم الكرج وحاصر قلعة الكرج الى أن استولى عليها ثم التقى مع عسكر العجم وقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وحصدهم بالسيوف واستولى على أموالهم وخيولهم واستولى على عدة قلاع وغنم منها الرجال ثم سار وحاصر قلعة تفليس الى أن افتتحها وكان المسلمون افتتحوها فلما غلب عليها الكرج ولما افتتح مدينة تفليس أرسل أمير الكرج حتى تملكه تلك البلاد انها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح قلاع فرحب به الوزير وآنسه وعين له امرة تلك البلاد بعد أن أسلم بين يدي الوزير ثم سار الى طرف شروان بعد أن نصب أميرا على تفليس وسير أناه الى الاطراف وتمكن منها وترك فيها عثمان باشا ابن اوزدمير والباشا فلما أقبل الشتاء توجه الوزير مصطفى باشا الى طرف بلاد السلطان وشتى هنالك للاغارة في الربيع على بلاد العجم ثم بلغه أن صاحب شروان التقدم فقد نحو اثني عشر ألفا لقتال عثمان باشا ووقع بينهما قتال شديد وانتصر عثمان باشا وقتل صاحب شروان وأكثر

عسكره ثم وقع بينه وبين عسكر الشاه هنالك ما يسوف عن ... ة وكان النصر فيها دائما للعثمانيين باشا ثم جاءه عسكر من العجم نحو ثلاثين ألفا وقصدوه في شروان فقاتلهم أربعة أيام ثم انتصر عليهم وقتل أكثرهم ثم ترك في شروان جعفر باشا وتوجه الى القسطنطينية يطلب ليكون صدرا أعظم وقاتل في مسيره عدة أمم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ولما وصل الى بلاد كفة بلغه أن خاقان التتار أظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه ●

﴿ الغزوة الثانية الى بلاد العجم أيضا ﴾

وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث مولانا السلطان مراد وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم فأرسل اليه الشاه في الصلح وبعث للسلطان أحد وزرائه يدعى ابراهيم خان بتحف سنية وهدايا جليلة وظن سنان باشا أن هذه الحالة مما تعجب السلطان فلم يكن الامر كذلك بل عزله السلطان وأقام مقامه فرهاد باشا * وفي سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا بالعساكر الى بلاد العجم فسار وتوغل في بلاد اذربيجان واستولى على مدينة وانكاوين بها حصنا حصينا نصب فيه يوسف باشا واليا * وفي سنة اثنتين وتسعين سار فرهاد باشا بعساكر وافرة الى بلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفي هذه السنة أيضا سار الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال العجم فشتى ببلاد قسطموني وسار الى بلاد العجم في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر ما لا يعلم عدده الا الله فعارضه الاعجام في الطريق فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز في أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله أهل تبريز بصالحيهم ووجوه الناس فقابلهم الوزير باللطف ثم شرع في بناء قلعة حصينة ثم في بناء سور المدينة فأتم الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من بعض أهل تبريز بعض الغدر في أمر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا أموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ثم مرض الوزير وخرج متوجها الى بلاد الروم بعد أن أبقى في مدينة تبريز نحو ثلاثين ألفا صحبة جعفر باشا فلما

كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير جغره ميرزا ابن شاه محمد خدابنده سلطان العجم مع عسكر كثير فهيأ الوزير وهو مريض لمقابلتهم وركب تحفة السيماء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير اشتداد الأمر أمر برمي المدافع الكبار وكانت باغاية مدفع فأصابت خلقا كثيرا من عساكر الاعجام وانجلى الامر عن هزيمتهم ثم نزل الوزير في ذلك المحل وفتح أبواب الوطاق لاجل اعطاء الترقي والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل علق أبواب الوطاق واشتغل بالوفاة الى رحمة الله تعالى وأقام مقامه سنان باشا مدة ثمان فلما رحلوا اعترضهم العدو يمينا وشمالا ووقع بينهما ما وقع حتى وصلوا الى حدود المملكة العثمانية أمام قلعة سلماس هجم جغره ميرزا المذكور في نحو بلدين ألفا فوقع بين العسكرين قتال كثير وانجلى الحرب عن هزيمة الاعجام بعد أن حصد غالبهم بالسيف

﴿ الغزوة الثالثة الى بلاد العجم أيضا ﴾

في سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان مراد فرهاد باشا مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم وصلوا الى مدينة تبريز وحصروا قلعتها وزموا سورها وكانت السلطنة حاضر هامن أرادبيل وبر نواس أحدها من بني هالك ابن وان وتبريز فلما رأى تبهمار حالا وساحلوا لم يرل الوزير المذكور حتى بلاد الروم ورجع في الصيف الى بلاد العجم حتى بلغ البلاد الى أحد بني الكرج وبني قلاعا وحصونا كثيرة وقاتل مع شاه محمد خان فكسر وغنم أمواله وعاد الى بلاد الروم والحاصل ان الحرب بين الدولة العثمانية والعجم كانت سجالا ثم انعقد بينهما صلح وجعل لكل منهم حد لا يتعدا أحدهما وكان ذلك في مدة الشاه محمد خدابنده بن طهماسب بن اسماعيل وخلع محمد خدابنده سنة خمس وتسعين وتسعمائة لانه كان أعمى وأقيم بعده ولده عباس شاه

﴿ الغزوة الرابعة الى بلاد المجر ﴾

في سنة احدى بعد الالف عين السلطان الوزير سنان باشا المحاربة كفار المجر

وأرسل معه العساكر ففتح تلك السنة قلعة بستريم وقلعة طاجه وشتى بمدينة نامراد وفي السنة الثانية فتح قلعة قران نصم القاف وقلعة يانق وهي من أحصن القلاع وأصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة ماتت الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومتانتها وكان فتحها عند النصارى بمنزلة المحال لصعوبة مراقيها واستعلاء مراميها وذلك بعد أن نال المسلمين شدة عظيمة قيل ان النصارى رموهم بمدافع جاء مدفع بصنجق النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاه رجل قبل السقوط فلم يسقط ثم بعد أيام لما اشتد بهم الحصار سلط الله عليهم موتان فجعلوا يموتون في فرشهم من غير قتال فسلموا المدينة للمسلمين فدخلوها فوجدوها قد جافت من الموتى وسر المسلمون بذلك سرورا عظيما وتوفي السلطان مراد خان الثالث سنة ثلاث بعد الالف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه عشرون سنة وثمانية أشهر وتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثالث) قال في خلاصة الاثر عند ذكره الملك الاعظم الباهر الشان كان سلطانا عظيم القدر مهابا جوادا عالي الهمة مظفرا في وقائعه صالحا عابدا ساعيا في اقامة الشعائر الدينية مراعيا الاحكام الشريعة مطيعا الأوامر الله منقادا لما يقرب اليه مدوا ما للجماعة والاوقات الخمس قائما بالسنن والرواتب ومن عادته المرضية أنه كان اذا ذكر صلى الله عليه وسلم نهض قائما وبالجملة فأوصافه كلها حسنة فائقة وقال القرماني في تاريخه كان كامل الاوصاف محبا للعدل والانصاف محبا للعلماء والصلحاء مكرما لهم بانواع الاكرام شديد المحبة للجهاد ونصرة الاسلام

﴿ الغزوة الاولى من غزواته ﴾

كانت هذه الغزوة الى المجر في أول مدة سلطنته خرج عن الطاعة ميخاييل ملك الافلاق واجتمع معه ملك البغدان و بلاد الاردل وعاثوا في بلاد الروم ايلي فبعث السلطان محمد جيشا تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الاعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وقتل من جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخا مسنا فلم ينجح بل كسر أيضا فعزله السلطان وأعاده الى الصدارة فأشار على السلطان أن يخرج بنفسه للحرب فخرج بنفسه في شوال

سنة أربع بعد الألف بخمس عشرة قطعة إلى بلاد المحروسة ووصل للعراد وحاصر مدينة باكرادونه ياور كان فيها قلعة في غاية المنعة والتحصين فبار لها جنود وأطلق أمير في صربها المكاحل فأسند السلاطين منها فخرجوا منها طالبين الأمان وسلموها في أواخر صفر سنة خمس بعد الألف ووصل خبر أحدها إلى ملك الانكروس نعام وبعد وأربد لأنها كانت عنده من القلاع المعتبرة فكاتب ملوك النصارى وطلب الامداد منهم بالعساكر والذخائر فاجتمع إليه ملك النمسا وحاكم الاردل وحاكم البغدان وحاكم الافلاق وسوار كي الحزار ومن حكام البحر وكثير من ملوك الفرنج فجاؤا إلى امداده بستة عشر صنوفها الفضاء وكان السلطان محمد سار بعسكر بعد الفتح السابق إلى القلعة التي بها المعسكر فبادر في أثنا المرحلة الثالثة ادهمه النصارى من كل جانب وحاطوا به وكان عسكر الاسلام حينئذ في غاية من المدد والنصارى في غاية الكثرة حيث أنهم جموع المخذول لا تحصى فوقع حرب عظيم في ذلك اليوم كله إلى أن دخل الليل فعبروا وكان ذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الاول وأصبحوا يوم الجمعة مصابين أيضا واستعدت النصارى أربد من اليوم الاول فكانوا عرفاني العولادم هجموا دفعة واحدة على المسلمين وفرقوهم بدد ووصلوا إلى خيم السلطان فطلب السلطان السعادة الحوجه سعد الدين وكان في خيمة حضر من بدنه وجعل منه والسلطان يستنهض عساكره الخاصة ويستنبهم فلم يكن إلا مرع من أن قوى المسلمون وأدركهم بعض المنهزمين فعبروا وأشعل النصارى وأبادوهم ودخلوا بينهم والتحم القتال وراجع جميع العسكر مسعفين فكسروا النصارى وردوهم على أعقابهم ووقع السيف فيهم وهم فارون حتى قتل منهم بعض من الرجال وغير ووهب الله تعالى له النصر والتأييد ولم ينج أحد من الكفار إلا من هرب وغنم السلطان ومن معه غنيمة عظيمة واحتفت على المسلمين وكان الذي استشهد من الفوادم ما يقرب من أربعمائة ومن المياحق أصحاب الالوية بضعة عشر رجلاً ومن الامراء الكبار أربعة أنفار ومن

العساكر كثير ومن الكفار ما لا يحصى والحاصل ان ما وقع له من النصر لم يقع لاحد من ملوك آل عثمان وذلك انما هو محض لطف الهي وامداد رباني عبر مثناه ولقد حكى أن ملوك الفرنج تطلق على هذا السلطان صاحب الهول وهذا الوصف انما هو لمن بلغ في الشجاعة المرتبة التي لا تسامى وانهم على عادتهم يصورون ملوك آل عثمان فيقدمون هذا في التصوير على كل الملوك وذلك كله بسبب هذه النصرة التي رزقها. وفي خلاصة الأثر أن بعض العلماء رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يتذاكرون أمر هذه الغزوة فقال الصديق الاكبر رضي الله عنه ان انهزام المسلمين كان مقدرا لكن لما كان السلطان محمد سعيدا أكرمه الله تعالى فأمده بملائكة حتى حصل له الظفر والتأييد ودخل السلطان الى مقر ملكه ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وألف

﴿ الغزوة الثانية الى بلاد الانكروس ﴾

في هذه السنة عين محمد باشا الساطورجي سردارا على بلاد الانكروس فتقابل مع الكفار بجيش جرار ووقع بينهما قتال ووقع من محافظ بوسنة حسن باشا الترياقي اهمال في مساعدته ولولا ذلك ما خلص أحد من الكفار

﴿ الغزوة الثالثة جهز مولانا السلطان محمد جيشا مع محمد باشا ﴾

في سنة سبع فتح محمد باشا المذكور قلعة وارداد وفي هذه السنة استولى الكفار على قلعة يانق وبعض قلاع وفيها أيضا كبس ميخاييل اللعين على عملة قرب نيكبولي فهزم محافظ الطونة أحمد باشا منهزما فحاصر اللعين قلعة نيكبولي مدة ثم رحل عنها وفيها غضب السلطان على محمد باشا الساطورجي لاهماله في أمر المحاربة واتعابه العسكر واسرافه في المصارف وانتزاع يانق في زمانه واقتلاع بعض قلاع فأرسل اليه السلطان من قتله

﴿ الغزوة الرابعة جهز مولانا السلطان محمد جيشا ﴾

في سنة ثمان بعد الالف فتحوا قلعة قانيسره وكان فتحها على يد الوزير الاعظم ابراهيم باشا وكان فتحا عظيما يعادل فتح اكرواي وسر بها المسلمون وزينت البلاد،

هذا الفتح بثلاثة أيام وكان في أيام محاصرتها وقع اضطراب عظيم فرأى بعض الصلحاء في منامه شيخ الاسلام سعد الدين جعفر وهو يأمره بقراءة هذا الدعاء وهو اللهم قو قلوب المؤمنين بقوة الكرام البررة وألق الرعب في قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعاء وداوم على قراءته الناس فظهر أثر ولله الحمد وفي هذه السنة استولت النصارى على اسيون ثم استرجعت ثم

﴿ الغزوة الخامسة الى بلاد المجر ﴾

في سنة عشر بعد مولانا السلطان سنان باشا ابن جغال لمحاربة المجر ففتح بها السنة قلعة

﴿ الغزوة السادسة الى بلاد العجم ﴾

في سنة احدى عشر جاء الخبر أن شاه العجم نقض الصلح واستأمر مخالفتنا واضطرب أمر المسلمين فصمم مراد باشا وان ووجهها الكافل حلب نصوح باشا وعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا ثم توفي السلطان قبل تمام الامر وكان تمامه في مدة سلطنة ابنه (السلطان أحمد الاول) وكانت وفاة السلطان محمد سنة اثنى عشر بعد الالف وعمره سبع وثلاثون سنة ومدة سلطنته سبع سنين وشهران وتسلطن بعده ابنه السلطان أحمد الاول وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان والقمر لسلة الرابع عشر يسمى بدرا فلذلك قال بعضهم ان السلطان أحمد يستحق أن يسمى بدرا لانه أضاء به الملك فانه لما تسلطن كان البغاة والخارجون قد كثروا في كل ناحية من أواخر سلطنة والده فسعى السلطان أحمد في اخمادهم وجد في قطع دابرهم حتى أبادهم وكان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء وآل البيت والصحابة متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لارباب الفضائل سمح الكف جوادا لا تزال احساناته للفقراء واصلة وعطاياه لارباب الاستحقاق مترادفة وجاء تاريخ جلوسه في السلطنة (هو خير السلاطين) ومن خيراته وما ثره أنه في سنة أربع وعشرين وألف أرسل الى الحجرة الشريفة النبوية قطعتين من الالماس قيمتهما ثمانون ألف دينار فوضعهما فوق الكوكب الدري وهذا الكوكب هو الذي تجاه الوجه الشريف في الجدار

وهو فى مسمار من الفضة مموه بالذهب فى رخامة حمراء ومن استقبله كان مستقبل الوجه الشريف وله صدقات كثيرة فى أهل الحرمين

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

جهز جيشا فى ابتداء دولته وأرسله مع وزيره الاعظم على باشا الى بلاد المجر فمات على باشا وهو متوجه فأقام بدله محمد باشا الذى كان سردارا فى الروم ايلى ثم سعى مراد باشا بالصلح بين مولانا السلطان أحمد والمجر والهدنة عشرين سنة ودخل الى دار السلطنة ومعه رسل المجر ومعهم الهدايا والتحف فقبل مولانا السلطان أحمد ذلك

﴿ ذكر غزوة أخرى ﴾

فى سنة ثلاث عشرة بعد الالف جهز جيشا وبعثه مع محمد باشا البوسنوى أحد الوزراء العظام لفتح قلعة استرغون فسار اليها ولم يتمكن من فتحها تلك السنة ثم فتحها فى سنة أربع عشرة

﴿ ذكر غزوة الى بلاد العجم ﴾

فى سنة ألف وأربع عشرة جهز جيوشا الى بلاد العجم وكان عليها سنان باشا ابن جغال فوصل اليهم وقتلهم وانتصر فى أول الامر ثم خالف أمره بعض الوزراء الذين كانوا معه فكان ذلك سببا لانهزام الجيوش فانهزموا وقتل منهم خلق كثير

﴿ ذكر غزوة أخرى الى بلاد العجم أيضا ﴾

فى سنة ست عشرة وألف جهز جيشا عظيما يقوده مراد باشا وكان قد كبر وشاخ فجعل الامر لنصوح باشا وتأخر فى ديار بكر ومرض ومات فتقدم نصوح باشا لمحاربة العجم فقاتلهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب سلطانهم عباس شاه والتجأ الى بعض الجبال وأرسل يطلب الصلح فأجابهم نصوح باشا الى ذلك بعد أن اشترط عليه أن يذكروا اسم السلطان فى بلاد العجم ويدعوا له فى الخطبة وان الشاه عباس يدفع مصاريف الحرب ويقوم بالخسارة التى أحدثها فى بلاد السلطنة العثمانية فقبل الشاه عباس ذلك وانعقد الصلح ورجعت العساكر العثمانية الى بلادها

﴿ ذكر غزوة أخرى الى بلاد العجم أيضا ﴾

فى سنة خمس وعشرين وألف نقض الشاه عباس تلك العهود ولم يف بالشروط

فحصت الحرب ما بين الدولتين وأرسلت الجيوش العثمانية مع نصوح باشا فغلب واستعمر واستولت الجيوش على بعض القلاع بعد حرب شديدة ثم وقفت الحرب بسبب كثرة الثلج والبرد ومات من العسكر جانب عظيم وأوضح أن النساء اعانهن الصلح مكانته خانه بن نصوح باشا وعد بالامانه فأمر مولانا السلطان احمد بقتل نصوح باشا فقتل سنة خمس وعشرين وألف * وفي سنة ست وعشرين توفي السلطان احمد وعمره خمس وعشرون سنة ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وأوصى بالسلطنة لأخيه مصطفى بن محمد لأن أولاد السلطان أحمد كانوا صغارا وأخو أكبرهم وكان أبو السلطان محمد أوصاه به وكان بوعاه فنوديع أخو (السلطان مصطفى) وخلع بعد ثلاثة أشهر لأنه كان صالحا زاهدا منقطعا يتظاهر كما به للسلطنة لسيد بذله الاموال وكثرة ركوبه إلى المحلات المعينة من غير تقيد بأمر من كوب ولا غيره لانه تارك للدنيا ولبس راسته قيل انه كان في مدة سلطنته لم يخرجه حصرا ما كان من بيته وأما أكله فانه لم يأكل اللحم مطلقا وانما كان يأكل الكعك اليابس واللوز والبندق وأنواع الفواكه وأما أمر في النساء فان والدته أحضرت له جواري عديدة ولم يقبل بين واحدة وكان لا يدري من أحوال الملك الا ما يلقى إليه فلما رأى أركان الدولة أن الامر به لا يستقيم ذهب المفتي المولى أسعد بن سعد الدين الى اسكدار للشيخ محمود المعتقد الصالح العالم العامل يستشير في خلعه فأشار بخلعه وأن يولي مكانه السلطان عثمان ابن السلطان أحمد ثم جاء من عنده وأحضروا قائم مقام الوزير مصطفى آغا صاحب الحريم قريب العشاء من ليلة الاربعاء في شهر ربيع الاول فأرسل القائم مقام الى الصوباشي اذا حان في ندور به خصومه فاعمل بأفهامه واحترس على الابواب فعال سمعا وطاعة وكان الصدر الاعظم محمد باشا ابو حبيبه مجلس لمحاربة العجم في مدة السلطان مصطفى وأما مفتي فأشار أنه أول ما مضى من ليلة الاربعاء ست ساعات ذهب الى أبواب السراي وقفلها جميعا وكذا أبواب الاماكن التي فيها أكابر الخدم وأخذ المفاتيح وهيأ المحل الذي فيه تخت السلطنة وأوقدت الشموع وفرشت

بأحسن الفرش وذهب من خيمه الى السلطان عثمان فى مجلسه الذى هو فيه وهو محل عمه مصطفى الذى كان فيه فى حياة السلطان أحمد وفتح عليه الابواب فحصل له رعب وتخوف من أن يكون عمه أرسله اليه ليقتله فقال له لا تخف أنت صرت سلطاننا فلم يصدق ذلك فصار يحلف له أن القول صحيح ولا زال يتلطف به الى أن أدخله الى محل التخت فألبسه ثياب الملك وأجلسه على التخت وقبل يده وصار يفتح أبواب السرايا بابا بابا ويدخل من كان داخل الابواب للمبايعة حتى لم يبق أحد فى السرايا بغير مبايعة هذا كله والسلطان مصطفى نائم عند والدته ثم أرسل مصطفى أغا للمفتى وقائم مقام الوزير فحضرا وبايعا ثم ذهبوا الى السلطان مصطفى قبل الفجر فطلبوه من الداخل فخرج اليهم وقال لهم ما جاء بكم فى هذا الوقت فكان أول من تكلم شيخ الاسلام أسعد فقال له ان أمر المملكة اختل وان الاعداء تسلطت علينا ونحن نخشى ضياع الملك وأنت لست بلائق للسلطنة فأجابه بقوله أنا ما طلبت منكم الملك ولا أردته وليس لى به مصلحة فقالوا جميعا لا يكتفى بقولك هذا ولا بد أن تذهب معنا وتبايع ولد أخيك (السلطان عثمان) فانا قد أجلسناه على التخت فقال جعله الله مباركا وليس عندى مخالفة وذهب وبايع السلطان عثمان فقالوا الآن نحضر جميع الوزراء وأركان الدولة وأشهد على نفسك بالخلع فقال لهم أفعل ذلك فأرسلوا وأحضروا الوزراء وقاضى العسكر وكتبوا عليه حجة بخلع نفسه وأرسل القائم مقام الورقة الموعود بها الى الصوباشى وفيها الامر بالمناداة بتولية السلطان عثمان فنودى بذلك وتم الامر وما انتطح فى ذلك عنزان وكان ذلك يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وكان السلطان عثمان المذكور من أحسن السلاطين خلقا وخلقا وأجملهم سيما وطبعا له أدب وحياء وعرفان وفيه شجاعة وفروسية وكان ينظم الشعر التركى

﴿ ذكر أول غزوة من غزواته ﴾

كان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم فى مدة السلطان مصطفى فلما بلغه خلعه رجع يطلب الانتقام ممن خلع السلطان مصطفى فلما وصل

الى دار السلطنه وعلم حقيقة الامر فاد الوزير المذكور الحسن باشه لمحاربة العجم في مدة السلطان عثمان سنة ثمان وعشرين وألف وبعد بعض هذه التجريدة كل الجباح وارتجع من العجم الممالك التي احتلوها وأرسل عباس شاه سلطان العجم يطلب الصلح على شروط موافقة للسلطان فاجابوه الى ذلك

﴿ غزوة ثانية الى البغدان ﴾

كان صاحب البغدان قد ألقى فتنة بين أهل بولونيا والدولة وحرضهم على العصيان فأرسل السلطان عثمان اليهم اسكندر باشا فاستظهر عليهم وقتل منهم عشرين ألفا وأسر عشرة آلاف ثم قتلهم وقطع رأس رئيسهم الذي حملهم على العصيان وأرسله الى دار السلطنه وألزم أهل بولونيا أن يدفعوا مائة ألف ريال وألزمهم أيضا مصاريف الحرب

﴿ غزوة ثالثة الى بولونيا ﴾

في سنة ثلاثين خرج السلطان عثمان بنفسه لقتال أهل بولونيا وهم الغراق وكان الذي خرج معه من الجيش ستمائة ألف مقاتل فأرسل أهل بولونيا يستمدون ملوك الافرنج فانجدتهم دولة الروسيا وفرنسا والنابا والمجر والنمسا وبعد محاربة شديدة طويلة فقد فيها من الطرفين نحو مائتي ألف انتصر عليهم وأخذ منهم قلاعا وغنم غنائم كثيرة ثم عقد صلحا معهم ورجع الى مقر ملكه بعد أن أخضعهم الجزية فهابته ملوك الآفاق وقويت شوكته واتسعت دائرة الملك في أيامه وكان فيه صلاح وتعفف وخشوع زائد في أيامه تعطلت حانات الخمور وداوم عليها بنفسه وقتل أربابها وطرد أصحابها

﴿ ذكر ارادته الخروج للحج المؤدي الى قتله ﴾

في شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وألف عزم السلطان عثمان على الحج من طريق البر وأراد التوجه الى الشام وأخرج خيامه ومراده الى اسكدار سابع رجب وصمم على هذا الامر فحصل القطعي العسكري في ذلك اليوم رغائب الفتنة واجتمعت العساكر واتفقوا على منع السفر منه وأخرجوا فتوى أن السلاطين لا يكلفون الحج بل السلطان ذلك مستقيم عساكرهم ولم يلتفت الى كلام المفتي وأخذ المفتي وأصحابه يخوفون العساكر ثم تجمعوا في المكاتب

المعروف آت ميدانى واتفقوا على قتل الوزير الاعظم دلاور باشا وضابط الحرم السلطانى والدفتردار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى أنهم كانوا السبب لتحرك السلطان الى السفر للحج ثم هجموا فى ذلك اليوم بعد الظهر على بيت معلم السلطان ونهبوا أمواله وأرادوا قتله فما وجدوه ثم فى وقت العصر اجتمع كبار العلماء بالسلطان وسألوه أن يسلم الوزير الاعظم وضابط الحرم أو يقتلهما هو حتى تسكن الفتنة وأبرموا عليه بالسؤال فامتنع ثم تفرق العسكر * وفى ثانى يوم وهو يوم الخميس اجتمعوا أيضا والعسكر كلهم بالاسلحة وآلة الحرب وذهبوا الى الموالى وجمعوهم بالجامع الجديد الذى عمره السلطان أحمد وأرسلوا قاضى عسكر وقاضى دار السلطنة وبعض الموالى الى السلطان بطلب الجماعة الذين اتفقوا على قتلهم المذكورين أولا فامتنع من تسليمهم واستمروا فى مراجعته الى وقت الظهر ومل العسكر من الانتظار فهجموا على دار الخلافة فوجدوا السلطان مصطفى فى الموضع المحبوس فيه نائما على فراش بال وعنده خادمان أخرسان جالسين أمامه ومملوك يدعى درويش أغا فاستيقظ السلطان مصطفى فلما رآهم ظن أنهم يريدون قتله فدلهم عنقه بكل خضوع فأكبوا على أقدامه يقبلونها قائلين له ياسلطانا عساكرك ينتظرونك خارجا قم فانهض بنا ورفعوا السلطان مصطفى وأنزلوه الى فسحة الجنينة وأركبوه على حصان المفتى وساروا به الى جامعهم ولما علم السلطان عثمان ذلك تحير فى أمره فأخذ معه الوزير الاعظم السابق حسين باشا وذهب به الى بيت ضابط الجنديين أمره وقال له السلطان تذهب وتأخذ خاطر العسكر وتجعل لكل انسان منهم خمسين شريفيا وخمسة أذرع من الجوخ وألزمه بذلك فذهب الى العسكر وكلمهم فى ذلك فما كان جوابهم الا أن قتلوه وذهبوا من وقتهم الى بيته وقتلوا حسين باشا وقبضوا على السلطان وأحضروه بين يدى السلطان مصطفى فأرسله الى يدى قله وأحضروا دلاور باشا وضابط الحرم وقطعوا رأسيهما وعلقوا رؤس الجميع على جامع السلطان بايزيد ووقعت البيعة العامة (للسلطان مصطفى) فحصل زوج أخته

داود باشا وزيرا أعظم وبعد العصر من هذا اليوم ذهب داود باشا الى منزله
من عزل السلطان مصطفى وتحقق السلطان عثمان وسمله وكسه وصلى عليه
العصر ودفن بتربة السلطان أحمد وذلك في اليوم الثامن من رجب وجرت أمور
هائلة ونهب كثير من دور أركان الدولة وقيل في تاريخ قتله

سلطان البرايا ٭ فهو في الأخرى شهيد
قال لي الهاتف أرخ ٭ ان عثمان شهيد

٣١٩ ٦٦١ ٥١
١ ٣١

وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة وألف ووفاته سنة احدى وثلاثين ومدة خلافته
أربع سنوات وشهر وعمره سبع عشرة سنة بعد تمام السنة للسلطان مصطفى
يوم من جهرت العساكر الصاحبة أمام سراي داود باشا وزير الصدارة تسأله
لماذا قتل السلطان عثمان ونشأ من ذلك فتنة أخرى آل الأمر فيها الى قتل داود
باشا فقتل بعد عشرين يوما وصار التفتيش عن الاشخاص الذين تداخلوا في قتل
السلطان عثمان فقتلوهم واضطربت أمور السلطنة والوزارة وأقدم أهل
الاناضول وأمراؤها وتوابعها على ساق لطلب دم السلطان عثمان وأظهروا
الاستقلال التام في ولاياتهم وامتنعوا من الدخول في تبعة السلطان مصطفى ولم
يزل الأمر يزداد شدة الى أن خلعوا السلطان مصطفى رابع ذي القعدة سنة
اثنين وثلاثين وألف فمدة سلطنته سنة واحدة وأربعة أشهر وما عاش بعد ذلك
كثيرا وكانت ولادته سنة ألف رحمه الله ولما خلعوه وأقاموا في السلطنة (السلطان
مراد الرابع) أخا السلطان عثمان بن أحمد قال في خلاصة الأثر وكان عمره
احدى عشرة سنة وستة أشهر وجاء تاريخ ولايته (مراد خان العادل) ٣٢ ١
ومع صغر سنه كان له عقل ثاقب ورأي سديد وكانت تظهر عليه أمارات النجابة
وقوة القلب فكان من أعظم أبطال ذلك الزمان وكان اسكندر الثاني في هذه
الايام بل كان من أعلى السلاطين مقدارا وأوسطهم همة واقتدارا أخصب لعظمته

رؤسلها الا كاسرة وذات لحرمته وقهره تصلب في قمع المفسدين سديد الرأي في أمره كان من أمره أنه ابتدأ أولا باستئصال الطغاة من العسكر [illegible] قتلوا أخاه فاهتم بأمر تحصيلهم من البلاد وتتبع قتلهم وأجاد وبلغ من قر[illegible] بقوس الى درقة مطبقة أحدى عشرة طبقة فثبت العود بها فلم يقدر أحد على انتزاع القوس منها فأرسلها الى مصر وبرز أمره الى العساكر المصرية باخراج العود منها وأن من أخرجه يزاد في علوفته فحاولوا اخراجه فعجزوا عن ذلك

﴿ ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد ﴾

لما بلغ العجم قتل السلطان عثمان واعادة السلطان مصطفى وعلموا اضطراب الدولة العثمانية وضعوا أيديهم على كثير من البلاد التي افتتحها العثمانيون وملكوها من ذلك مدينة بغداد وكانت بغداد في كفالة الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين واحد من كبار عسكره اختلاف يقال له بكر الصوباش فحاصر بكر الوزير في قلعة بواسطة العسكر فأصاب الوزير رصاصة مات منها فتغلب بكر على بغداد فلما رأى اضطراب أمر الدولة أظهر العصيان والاستبداد فبعثت اليه الدولة جانبا من العسكر لتأديب هذا العاصي وجعلوا أمر هذا العسكر تحت رياسة حافظ باشا فلما بلغه ذلك كتب الى شاه العجم أن يحضر لكي يسلم له بغداد فأرسل من يستلم منه مفاتيح المدينة مع جانب من العسكر نحو ثلاثمائة وأنعم على بكر الصوباش بعمامة قزل باش وقبل وصول العجم الى بغداد وصلت عساكر الدولة وأقامت الحصار على بغداد فأرسل بكر الصوباش لحافظ باشا يطلب منه أن يلقبه بكلربك لكي يطرد الأعجام فلم يقبل منه حافظ باشا ذلك * وفي أثناء ذلك وصل رسول العجم الى بغداد وأرسل يقول لحافظ باشا ان بكر الصوباش صار يخص شاه العجم فاذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فارحل عن بغداد فغضب حافظ باشا من كلامه هذا وأجابه كلاما غليظا واشتبك القتال فلما رأى حافظ باشا أنه لا يمكنه فتح بغداد لأنها كانت حصينة وتكاثرت عليه عساكر العجم قام عنها وذهب على طريق الموصل بعد أن كتب الى بكر الصوباش انه ولي بغداد يريد

بذلك وعينه ليفتح من يسلمها للعجم ففرح بذلك بكر الصوباشي ورأى أنه بلغ
غاية مرامه فعجل بجماعة شاه العجم وعلق رؤوسهم على شرافات السور وأخذ
الغنيمة التي بعثها إليه الشاه عباس ووطئها برجله وأرسل رسولا إلى حافظ باشا
يشكره على ذلك وأما الشاه عباس فإنه لما بلغه ما فعله بكر من الاستخفاف
والخيانة حضر بنفسه ومعه جيش جرار وأرسل لبكر يطلب منه تسليم المدينة
فامتنع وأجابه بأنه لا يسلمها ولا يقدر الشاه عباس على فتحها ولو أحسن حصارها
عشر سنين ثم ابتدأ الشاه عباس فجاءت جيوش الشاه عباس وأحاطت بأسوار
مدينة بغداد فأمر بكر الصوباشي بإطلاق المدافع من الأبراج على الأعجام واستبدل
القتال بين الفريقين وأرسل بكر إلى حافظ باشا يخبره بقدوم جيش الأعجام
ويستنجد بجند يفرقه من العساكر تحت رئاسة كور حسين باشا فلما وصل
إلى قرب بغداد نزل بعساكر في موضع يقال له قروان سراي فلما علم قائد عسكر
العجم بقدوم عساكر الدولة صنع خديعة وأرسل يطلب كور حسين باشا
ليفاوضه في أمر الصلح فذهب مع بعض كبار العسكر فبينما هم في أثناء
الطريق خرج عليهم جماعة من الأعجام كانوا كامنين لهم في الطريق فقتلوهم
وبعد ذلك ورد رسولهم لشاه عباس خوفا مما فعله بكر بقتله الأعجام الذين علق
رؤوسهم على شرافات السور وكان الحصار على بغداد ثلاثة أشهر فكانت
الأهالي يشكون من الجوع واشتد الحصار حتى أكل الآدميون بعضهم وخرج
كثير منهم إلى معسكر الأعجام وكان لبكر ولد يقال له محمد وكان مثل أبيه في
الخيانة وكان هو المسلم لمحافظة قلعة بغداد فأرسل له الشاه سرا يغريه ويعده
ووعده بأن يجعله حاكم بغداد عوضا عن أبيه فاغتر وقبل وبذل الشاه وفي الليلة الثانية
فتح أبواب القلعة للأعجام فهجموا ودخلوا المدينة بغتة وكان ذلك
سنة اثنتين وثلاثين وألف وكان بكر باشا فانتبه مذعورا من ذلك الضجيج
وصراخ الأعجام وكانوا أصعدوا أناسهم إلى المنارة يصرخون بقولهم هذا نصر
الشاه عباس ومالك بغداد فلطمت الأهالي وفتح الأسواق ورجع الناس إلى

أشعاهاودهب منهم جماعة الى بكر فى منزله فقبضوا عليه وأتوا به الى الشاه فلما
وصل أمامه رأى ولده جالسا الى جانب الشاه وأخذ الولد يوبخ أباه على الخيانة
الأولى التى حصلت منه فى حق الشاه ثم أمر الشاه أن تسلب جميع أموال بكر
وتعطى لولده ثم انهم أخذوه ووضعوه فى قفص من حديد وكلوا اولده بحراسته
وفى اليوم السابع طرحوا ذلك القفص الذى ... وهو فيه على نار لكى يقرروه
عن المكان الذى أخفى فيه الأموال ثم أخذوا ... ووضعوه فى قارب
مشحون بالزفت والكبريت وأضرموا فيه النار ... بدجلة أمام الناس
وحصل فى بغداد قتال بين أهل السنة والاعجام بسبب هذه الفتنة ولما كان بينهم
سابقا ... العداوة حتى جرى الدم فى أزقة المدينة وأخذ الأعجام خطيبين
مشهورين من أهل السنة أحدهما يدعى نورى افندى والآخر عمر افندى
وأمروهما أن يسبا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فامتنعا فعلقوهما فى محلة وأطلقوا
عليهما الرصاص فماتا من ذلك وأما الشاه عباس الذى كان قد وعد محمد بن بكر
بالولاية فى مكان أبيه فانه أخذه وأرسله الى خراسان وأمر بقتله هناك فقتل وبعد
ذلك أقام الشاه عباس فى بغداد مدة ثم سار بالعسكر لمقاتلة حافظ باشا ونزل على
الموصل وأقام عليها الحصار مدة فلم ينجح فرجع الى بغداد وذهب حافظ باشا الى
القسطنطينية ثم عاد بعساكر نحو عشرين ألفا وسار لمحاصرة بغداد وتخليصها
من العجم واشتد فيهم القتال وطال الحصار فسئم العساكر وقاموا على حافظ
باشا فعزلوه وحبسوه فى قلعة خارج بغداد وأقاموا عليهم مراد باشا ثم عزلوه
وأرجعوا حافظ باشا ثم قاموا عليه أيضا ليقتلوه فهرب منهم واختفى فى موضع يقال له
قلعة الامام ثم اصطلح مع العساكر ونهض بهم راجعا عن حصار بغداد فسير
الشاه عباس خلفه جانبا من عساكره ليضربوه فى الطريق فقاتلهم حافظ باشا
وهزمهم هزيمة هائلة وقليل منهم رجع الى بغداد ثم قام على مراد باشا فقتله لانه
السبب فى اختلال الأمور ثم سار حافظ باشا بعسكره الى الموصل فاقام مدة ثم
جاءت الأوامر من الدولة أن يتقدم الى حلب الى أن تأتيه نجدة من العساكر

و د ىمده عرل حافظ ىاساو أقم مكانه حلسل ىاسام ماب و ولى ىلده حسر و ىاسا
وكان الحسن الذى مع حسر و ىاساما ىه وحسىں ألف معا لى حا وحاصر بعداد
فقال ىدىد ولم ىحصل ىىحه فرحع الى الموصل وصىع ولىه لىكسر ى
العسكر فلما حصر وافلهم را عماامهم السىب فى احىلال الامور وأرسل ىطلب
أر د ىں ألىهاو حرب أمور ىطول الىكلام ىد كرها ﴿ وىاب السا عاس ىسه
ىسىىں و ىلاىں و ألف و ىمىس بعداد ىىد العحم الى ىسه ماں وأربعں ألف ففيها
ولاىا السلطان مراد ىمىسه ﴿ ذكر فىح بعداد ﴾
فى سىه ماں وأربعں وألف سار مولاىا السلطان رادو ىوحه لفىح بعداد و معه
ما ىه ألف مقاىل ىم ىسا مں الحىود حىى ىلعب الاعاىه ألف ولما حرح ى دار
السلطىه كان لا ىىالىس العرب القدىما وعلى رأسه حود مں السولاد اللامع
محاطه ىىال أحمر مىىدوله أطرافه على أكىافه ولما وصلوا الى بعداد أحاط
العىىا كر ىاطرافها ولما لم الىىاه ذلك حا ى ىىر ر و معه عىىا كر كىر لىحد
ىم عسا كر الدىن فى بعداد والىى ىعىىا كر الدوله على ىاطى الدحله فىقاتلوه
ىا الاسىىداوهر و هر ىه ىحه وكان ىوما ىو لامىوما على الاعحام ىم ىىد ا
الحصار على بعداد وصر ىب ىىداقع السلطان على الابراج وكانت ماىى برج
فحر ىها و هدمىب كىىرا ىها وأمر السلطان ىحفر لعم عظىم و وصىع فيه البارود
وأطلق فيه البارو ىهدم حا ىب اعظىا ى حدار السور فلما رأى أهل بعداد ماد هم
ىه وا الى الىىا ا ىم ىدوں السلام فىعىب السا الى السلطان فى طلب الصلح
فلم ىعىل ىم ىىدد السلطان الحصار و والى القىال الى أن ىسر الله فىحها ىوم الحمعه
ثامں ىىعىاں وكان ىده حصارها أربعں ىوما ودخلها العسكر ومولاىا السلطان
مرادى أرىهم وقىىلوا مں العحم أكىر ى عىىر ں ألفا وأسروا كىىرا ى
روىىا ىم وقىل ان الذىں قىىلوا ى العحم فى هىىدا القىال حسون ألفا و ىقى منهم
ثلاثون ألفا طرح العفىى ىم ىفسه فى ىهر بعداد والعفىى ىىىوا فى القىار
و أمر السلطان ىقىل كل من ىحى عىده رحلا عحمىا فحمعوا منهم ىعىده ثلاث ألف

رحل وأتوا بهم الى السلطان فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكان الذى فقد من
عسكر السلطان عشرة آلاف ثم أمر مولانا السلطان بتجديد عمارة مشهد
الامام الأعظم أبى حنيفة ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنهما
وأزال ما كان أحدثه الاعاجم فى المشهدين وأمر ببناء ما تهدم من السور والقلعة
وشحنها بالعساكر وترك فى بغداد عشرة آلاف من العسكر وعين لكفالة
بغداد وولايتها وزيرا ورجع الى دار سلطنته ومقر ملكه سالما غانما منصورا وكان
لدخوله القسطنطينية احتفال عظيم فدخل وكان معه خمسون من خانات العجم
مقيدين بالسلاسل وكان حاملا بيده حربة من السلاح وأكتافه معطاة بجلد نمر
كما فعل اسكندر لما فتح مدينة بابل وبالجملة فقد كان هذا السلطان من أعظم ملوك
آل عثمان * ومما كان فى مدة سلطنته أنه أمر بتعطيل القهاوى فى جميع ممالكه
ومنع من شرب الدخان بالتأكيدات البليغة ومما يدل على سعادته العظمى توجه
خاطره الى أهل الحرمين الشريفين وأمره المتولى الجهات خصوصا مصر
باجراء خبوبهم وارسال معلات أوقافهم فامن أمر بردمسه الا وفيه الحث على ذلك
ومن ذلك أيضا التفاته الى أخبار الرعية مطلقا والبحث عن أحوال ولاة البلدان
التفاتا وبحثا تامين بحيث ان ولاة الجهات لا يجاوزون حدا ومن سعادته العظمى
عمارته الكعبة المشرفة وتجديدها كلها وذلك أن فى سنة تسع وثلاثين وألف جاء
سيل عظيم بمكة ودخل المسجد الحرام وهدم بعض جوانب الكعبة واتفق العلماء
والمهندسون انه لا بد من تجديد الجميع فعرضوا الامر الى مسامع مولانا السلطان
مراد المذكور فبرز أمره العالى بالتعمير فهدموا الباقى وعمروا الجميع فهذا
البناء الموجود الآن من مفاخر مولانا السلطان مراد وتم التعمير فى شعبان سنة
أربعين وكان أمير مكة فى ابتداء العمارة مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن
حسن بن أبى نمى وتوفى فى أثناء التعمير وولى امارة مكة مولانا الشريف عبد الله
ابن حسن بن أبى نمى وهو جد مولانا الشريف محمد بن عون وكان تمام التعمير
فى مدته وجاء تاريخ ذلك * رفع الله قواعد البيت * ولبعضهم

١٠٤٠

قندية وهي من أعظم مدن هذه الجزيرة وفي أقرب من أسبوع استولوا عليها ثم جاء
كابتن باشا وسمع ورجعوا الى القسطنطينية بعد أن تركوا بها [illegible]
فأرسلت فرنسة البندقية عساكر ولكن ما كان يغني [illegible]
السلطان قوة استأمر وأتباعهم فغضب السلطان من هذا الأمر وعين عسكراً
جديداً آخر ذخرهم واستولوا على المدينة [illegible] صعوبة [illegible] ثم
وكانت قلعة حصينة الى أن ملكوها [illegible] عساكر حتى أعلنت حقاً كثيراً ثم
ملكوا بقية جزيرة كريد الا قلعة قندية وطال أمرها مدة طويلة ثم تركوها
وسيأتي ذكر فتحها في مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم وجزيرة كريد من
أعظم الجزائر وأكبرها تشتمل على بلاد واسعة ورساتيق كثيرة وذكر بعض
من دخلها أن بها من القرى أربعاً وعشرين ألف قرية وأن دورها مسيرة ستة
عشر يوماً وهي ذات رياض نضرة وبها أنواع الفواكه والأثمار وخيراتها وافرة
ثم ان رجال الدولة خلعوا السلطان ابراهيم سنة ثمان وخمسين وألف بسبب انه كان
منهمكاً في اللذات والشهوات مسرفاً في انفاق الاموال وسلاطين آل عثمان انما
عظم شأنهم بزهدهم في الدنيا وعدلهم في بيت المال وقد حكي ان بعض سلاطينهم
تواعد مع شيخ الاسلام الذي كان في وقته أن يجتمعا في جامع من جوامع دار
السلطنة في وقت مخصوص بالخفية للتشاور في بعض القضايا فحضر السلطان في
الوقت الذي تواعدا فيه وأبطأ شيخ الاسلام في الحضور وما جاء الا بعد مضي
مدة فلما حضر سأله السلطان عن سبب تأخره فقال لما أردت الخروج رأيت
عمامتي وسخة فكرهت أن أقابل بها مولانا السلطان فأمرت أهلي أن يغسلوها
وانتظرتها حتى جفت فلبستها وجئت فهذا يدل على انه ليس عند شيخ الاسلام
غيرها فقال له السلطان لو كان عندي غير هذه التي على رأسي لاعطيتك اياها
فانظر الى زهد هذا السلطان وزهد شيخ الاسلام فالاصل كله الزهد في الدنيا
والعدل في بيت المال فالخلفاء الراشدون انما فتحوا البلاد ومصروا الأمصار
بالزهد في الدنيا والعدل في بيت المال لا بكثرة الصلاة والصيام فالسلطان ابراهيم

لما رأوه مسرفا فى الانهماك ورأوه على خلاف ما عليه أسلافه فكانت أفعاله عندهم تقتضى
من صفة خلعوه وأجلسوا فى السلطنة ولده محمدا فكانت مدة سلطنة السلطان
ابراهيم ثمان سنين وتسعة أشهر وقد بالغ قوم فى خلعه فقتلوه وعمره ثلاث وثلاثون
سنة وكان ميمون النقيبة منصور الكتيبة طالعه سعيد ما جهز جيشا الى ناحية
الا انتصر ولا قصد فتح ناحية الا فتحها ولولا ما اتهموه به من الاسراف فى تبذير
المال وجميع السلاطين الذين جاءوا من بعده كلهم من ذريته

﴿ فائدة ﴾ فى خلاصة الاثر انه اتفق للسلطان ابراهيم المذكور ما لم يتفق
لغيره من السلاطين فيما أعلم وذلك أنه رأى سلطنة أبيه وعمه وأخويه ووالده ثم
ذكر انه استقرى من ولى السلطنة وكان اسمه ابراهيم فوجدوا لم يتم لاحدهم
أمرها وقال الراغب فى محاضراته قال أبو على البصير كان المهدى يحب ابنه ابراهيم
فقالت له أم ابراهيم ألا ترشحه الى الخلافة فقال لا ولا يليها من اسمه ابراهيم لأن ابراهيم
الخليل أول نبى عذب بالنار وان ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش وبويع
ابراهيم بن المهدى فلم يتم له الامر وأحكم ابراهيم الامام أمر الدولة ليكون أول خلفاء
بنى العباس فقتله مروان بن محمد بن مروان وطلب الخلافة ابراهيم بن
عبد الله بن الحسن المثنى فقتل وبايع المتوكل لابنه ابراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل
وسحبان بن درالا ور لى طنوعليه وأجراها بحكمه وفى مروج الذهب
للمسعودى قال ابراهيم بن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد
نحو الموصل والملاحون يمدون السطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيد
يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الذى يليه
قلت اسم هارون اسم أمير المؤمنين قال فما أقبحها قلت ابراهيم فزبرنى وقال
ويلك ابراهيم خليل الرحمن عز وجل قلت بشؤم هذا الاسم لقى ما لقى من نمرود
وألقى فى النار قال وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا جرم لما سمى
بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الحمار فى
جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن

عبد الله بن الحسن قتل ولم أجد [illegible] الاسم الا رأيته مقتولا أو مصروا أو مطروا وداما انقضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من أمه أي بظرها قال فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله اهـ

* ﴿ ولاية السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم ﴾ *

كانت ولايته سنة ثمان وخمسين وألف بعد خلع أبيه وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وكانت أمور الدولة في ذلك الوقت مرتبكة عديمة الانتظام متزعزعة الاركان فقد كثر حسادها وأعداؤها وكانت من جهة المالية في ضيق وعسر والعساكر غير منقادة لاولياء أمورها وأصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مبالين في تنفيذ أوامرها ومن هذه الاحوال سعت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى أياما ثم يعزل أو ينفى واستمر الحال هكذا نحو عشر سنين والدولة في تعكير والسلطان مع صغر سنه لا يزال يبحث هو وأمه عن رجل فيه اللياقة لان يتبوأ مسند الصدارة الى أن عثروا على محمد باشا كوبرلي وكان مسناحاذقا ذا دراية وخبرة وسياسة كاملة لان طول الايام علمه ما لم يعلمه غيره فولي الصدارة سنة سبع وستين وألف وشرع في سد الخلل الذي أوقع الدولة في الانحطاط وبرهة قصيرة انتظمت أمور الدولة على أحسن نظام

* ﴿ ذكر غزوة في أيام السلطان محمد لقتال المجر والقرق ﴾ *

كانت هذه الغزوة بتدبير الوزير محمد باشا كوبرلي جهز جيوشا لقتال القرق والمجر وجميع العصاة الخارجين على الدولة حتى أهلكهم وأبادهم * وفي سنة ثمان وستين وألف استولى على [illegible] البندقية وأخذ جزيرة بتمداس وجزيرة ليموس

* ﴿ ذكر غزوة أخرى يتبعها أخرى ﴾ *

وجهز جيشا لقتال الصرب فانتصر عليهم وقتل منهم مائة وخمسين ألفا وخرج

جماعة من الاروام في بلاد الافلاق وأظهروا العصيان فأرسل اليهم عسكرا فقاتلوهم وأبادهم واعدمهم وجعلهم حديثا للعالم السندوية فاحترمه الوقاية سنة اثنتين وتسعين وألف قبل اعلام الامر فأصيب بالجدار ١٧ سنة أحد أشياء العاصمين وكان أكرم من أسنة في الجدير وحسن السياسة وكان أبو أقرا العلوم حتى مهرها وكان صائب الرأي كامل الفراسة (فراسة تحسنه) مما يشبه الشبه من الفطنة أنه جاء يوما فذهب موضع فعرف فيه أنه مصنوع فأعطا لبعض أتباعه وأمر بحفظه حتى مضى على ذلك سنوات وجاء يوما شخص آخر بوجه فلما رآها طلب ذلك الموضع فجئ به فقابله على الرقعة اذا الخط واحد ثم صاحبها عن كاتبها فاخبر به فلما سئل عن بيئه أقرا الموضع وقال ألبس هذه محطك فأقر فأمر بقطع عنقه وعين له من بيت المال ما يكفيه

﴿غزو ازوار﴾

ومن الغزوات التي وقعت في أيامه زيارته غزوة ازوار عنه السلطان محمد لفتحها فسار بجميع العساكر وحاصرها ووقع بينه وبين كفار المجر وقعة عظيمة ومكر والعسكر هراب وخلصهم الله تعالى من بعده ثم افتتحها سنة أربع وسبعين وألف وهدم ما بلها فأقامه تسمى القلعة الجديدة كان الكفار بنوها لمه سواها

﴿ذكر غزوة عظمى الى كريد﴾

وفي سنة سبع وسبعين توجه بنفسه الى جزيرة كريد لفتح بلدة قندية التي كانت بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم يفتح كما تقدم شرح ذلك فلما وصلها نزل بالقرب منها مكانا كان مهدما اليه مهمات الحصار ثم رحل عنه ومعه من العساكر وكان أهل قندية حصنوها أشياء لا يمكن حصرها وأضافوا لسوارها سورا آخر غير من داخل السور القديم وطال الحرب بين الفريقين مدة وأرسل أهل قندية الى الافرانسا يستعدونهم فاستعدوهم بنهاد عشر بوفها جنبه عشر ألف مقاتل وجاءهم أيضا تحسده من مالطة وبن البابا فاجتمعت معه عساكر فرانسا

ورلوا الى الصر وهجموا على العساكر العثمانية واقتتلوا قتالا شديدا كان النصر فيه لعساكر الاسلام فقتلوا أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل ورجعت مراكب الفرنج خائبة ثم ان أهل قندية أرسلوا للوزير يطلبون منه الصلح فأجابهم الى ذلك وأخرجهم منها ووضع فيها العساكر الاسلامية ورجع الوزير الى مقر الملك ومعه جملة من مراكب مالطة وغيرهم غنيمة وكثير من الأسرى وفي غرة جمادي الاولى سنة ثمانين وألف ورد البشائر الى الاطراف بأن قندية وكثرت بفتحها وأكثرت الشعراء من التواريخ لهذا الفتح ومن نوادرها مطلي المعنوي للفاضل الشيخ أحمد السعدي وهو قوله (في عام ألف وثمانين عام) ﴿ غزوة الى بلاد القرم تتبعها أخرى الى بولونيا ﴾

وفي سنة أربع وثمانين توجه الوزير بجيش لمحاربة القرم المعروفين بالميسقو من النصارى فافتتح قلعة فتحة وفي سنة خمس وثمانين وألف توجه بالعساكر الى بولونيا وفتح مدينة كبيرة الشهيرة في متانة قلعها وفتح بعدها جملة بلاد وحصون ثم عقد صلحا مع أهل بولونيا ووضع عليهم خراجا سنويا ولما رجعت العساكر الاسلامية علم أن أهل بولونيا نقضوا العهد والمواثيق ركبوا وأظهروا العصيان واتسع اليهم غيرهم من الافلاق والبغدان والقزق واتسع الامر وتوفي الصدر أحمد باشا الفاضل سنة سبع وثمانين وألف وحزن السلطان وجميع الناس عليه وولي الصدارة مصطفى باشا وكان قد خدم الوزير محمد باشا وابنه أحمد باشا الفاضل وترقى في المناصب والمناصب وتعلم كثيرا من سياستهما وان لم يكن مثلهما

﴿ ذكر غزوة تطلبي الى يحرين ﴾

وكان أول سفرة باشرها في دولة بتمسفر ة جهرين فانه جمع جيوشا عظيمة وافتتحها واحتوى على الملحة التي القريب منها وهذه الملحة من أعظم منافع البيع لبيت المال حتى انهم يقولون انه يحصل منها خمسمائة الف وسبب ذلك ان بلاد النصارى المعروفين بالموسكوف والقزق يحتاجون اليها وليس في بلادهم ملحة غيرها ولما افتتحت هذه القلعة سر الناس سرورا عظيما لان فتحها كان في غاية الصعوبة

وكان كثير من نصارى الروم يزعمون استحالة فتحها ويهزؤون بالوزير المذكور في قصدها وأشاعوا أخبارا في انكسار عسكر المسلمين وهزيمتهم وكانوا يظهرون الشماتة ويبيت ذلك ما نعرفونه من أن ما نعتقده ملك الموسكوف وهو أكبر ملوك النصارى جيوشا وأكثرهم ملكا وأجلهم فان فتح هذه القلعة كان من أعظم الفتوحات وبقيت زينة دار الخلافة ثلاثة أيام وكان السلطان محمد اذ ذاك ببلد سلستره يروم الى فكتب الى قائم مقام القسطنطينية أنه يريد العود الى دار الملك وأنه لم يعد له رؤية بها منذ عمر وأمره بالبناء ثم تزيينه أخرى ثم قدم السلطان فشرعوا في الزينة وبذلوا جهدهم في الثانية منها واتفق أهل ذلك العصر على أنه لم يقع مثل هذه الزينة في دور من الادوار ثم وقع بعدها حريق في القسطنطينية احترقت فيه نحو اثنى عشر ألف بيت واشتعل الحريق في كثير من المحلات حتى حسب ما وقع فيه فكان تسعين حريقا كل ذلك في سنة واحدة فكان ذلك الفرح سببا لهذا الترح فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ذكر غزو الى بلاد النمسا ﴾

ثم طلب الوزير مصطفى باشا من السلطان محمد الاذن بالسفر على بلاد الانكروس واستأذنه فيما قصده بلاد النمسا فاذن له السلطان وشرع في تهيئة أسباب من الذخائر ومكاتبة نواب البلاد والعساكر وجمع من الجيوش والجنود ما لا يدخل تحت حصر حاصر ولم يتفق جمع مثله من الزمان الغابر ثم طلع الوزير المذكور من القسطنطينية بأبهة عظيمة متوجها على اخذ النصارى بالقوة الجسيمة ولم يزل عن مسيره في العساكر سائرين الى ان وصلوا قلعة بالى يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة أربع وتسعين وألف ثم توجه يوم السبت قاصدا قلعة ج أطلق أمره في نهب القلاع والقرى التي على الطرق وما كان للعسكر سبيله الا هدمها واحراقها واتلاف زروعها فاحرقوا من القلاع المعلومة نحو مائة قلعة وما بينها من القرى أشياء كثيرة جدا وكل قرية من هذه القرى بمثابة بلدة تحتوي على الف بيت أو أكثر وجميع هذه القلاع والقرى في نهاية الاحكام وحسن البناء

والبيوت فى غاية من اتقان الصنعة مسورات بالرخام وفيها من السماقى مالا يوصف وأكثر بيوت هذه البلاد ثلاثة طبقات الثالثة منها مصنوعة بالدق والخشب وعاثت العسكر فى بلاد الكفار الى قريب قزل ألما التى هى محل الاسكروبى المعروف بالباباو نهبوا ما قدروا عليه وحرقوه ومن أغرب ماوقع فى هذا الاثناء ان سوقة العسكر كانوا كلما يدخلون قلعة من القلاع المذكورة فيرون فيها أناسا قلائل من النساء والرجال العاجزين عن الحركة فيقتلونهم ويستولون على القلعة ثم يطلقون فيها النار ففعلوا هذا فى أكثر من أربعين قلعة وغنم المسلمون غنائم لا تحصر وأسروا نحو مائة ألف أسير بحيث بيعت الجارية مع ولدها بثلاثة قروش وهرب عسكر النصارى من ح ونواحيها وأخذوا معهم كثيرا من الاموال فلحقهم جماعة من العسكر فاستأصلوهم قتلا ولما وصل الوزير المذكور الى ح وهى مدينة فيناو كانت النمسا قد حصنها تحصينا عظيما وضرب محيطها وهى قلعة عظيمة يحيط بها من جوانبها الثلاث الدور والأبنية والعمارات والحدائق ومن جملة ذلك سبعة عشر مكانا باسم الملك تحتوى هذه الأمكنة على عجائب الزخارف والفواكه والمساقى ومن السماقى والرخام وقد تقدم أن عسكر ح كانوا قد هربوا وكذلك هرب أهل الخارج من الرعية ولم يبق الا نحو عشرين ألف رجل وعشرة آلاف من العسكر وعشرة آلاف من الرعية فى داخل القلعة فأمر الوزير بمحاصرة القلعة ونصب عليها المكاحل وشرع العسكر فى رميها بآلات الحرب من المدافع والقلل حتى هدموا الدور والكنائس وضاق من فيها الخناق فى أقل من قليل والتجؤا الى أن يسلموها طوعا فأبى الوزير خوفا من أن ينهب العسكر ما فيها من المال فراجعه الوزراء والعسكر فى المبادرة الى دخولها صلحا خوفا من أن يأتى أمر فقال ان صممتم لى العسكر فى أن لا يأخذوا شيأ فعلت فأبوا فتمادى الامر يومين أوثلاثة وهو وبقية الوزراء فى اعمال المكر على أن يفتحوها عنوة ومالهم علم بما سيحدث وكان ملوك النصارى قد تكاتبوا فى التجمع جيوشهم ويستعين بعضهم ببعض على قتال المسلمين وكان ملك النمسا لما سمع بقدوم المسلمين بالجيوش فر

النمساوت كفلت مقدونيا وبلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكنى شطوط البحر الابيض فى دلماسيا بكثير من البلاد وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الأطراف وكانت عساكر الدولة تحارب الافرنج من جملة أماكن والبابا يحرض الافرنج على التجلد والقتال وأمدهم بجيوش كثيرة فلم ينجح تدبير ابراهيم باشا الصدر فعزل وأقيم مكانه سليمان باشا سنة سبع وتسعين وألف وسار بالعساكر الى بلاد المجر وكان هذا الصدر يريد أن يتمثل بمحمد باشا كوبرلى لكنه كان قاصرا فى التدبير فأراد العساكر قتله فتركهم وهرب الى القسطنطينية فقتله السلطان سنة ثمان وتسعين وألف وأقيم فى الصدارة سياوس باشا وكان السلطان مشغولا بالصيد واللهو وقد حدثت المصائب بالدولة من كل جانب وكثر الجوع والغلاء والحرائق فتآمر أهل الحل والعقد من رجال الدولة وخلعوا السلطان محمدا سنة تسع وتسعين وتوفى سنة أربع ومائة وألف وكانت مدة سلطنته أربعين سنة وخمسة أشهر ﴿ لطيفة ﴾ فى مدة السلطان محمد المذكور ظهر يهودى يدعى انه المسيح ومسلم يدعى انه المهدى فى عام واحد وهو عام ألف واثنين وسبعين أما اليهودى فظهر فى أزمير زاعما أنه المسيح وكان اليهود ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام وهو آخر الأنبياء عليهم السلام فلما بعث عيسى عليه السلام كذبوه ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه أيضا ولم يزالوا ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام فاذا ظهر المسيح الدجال يتبعونه ويقولون انه هو النبى المبعوث فى آخر الزمان الذى وعدهم به موسى عليه السلام فلما ظهر هذا اليهودى بأزمير ادّعى أنه المسيح عيسى ليعتز به كل من المسلمين واليهود ويتبعوه وأظهر لليهود أنه هو النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام وكان فصيح اللسان جميل المنظر وزعم أنه يوحى اليه وأنه إنما يتكلم بالوحى فصار محط الناس ويجتمعون عليه ثم انتقل الى بيت المقدس وكاتب اليهود الذين هم فى الممالك العثمانية فأجابوه وآمنوا به وصاروا يأتونه أفواجا ليتبركوا به ويبالغون فيما يحكونه عنه من إظهار عجائب وخوارق عادات كان يوهم عليهم بها ويصنعها

بالحبل كالحوا ويزعمون أنها معجزات فاشتهر اسمه وكثر أتباعه وكان ذلك كله في مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم ابن سليمان بن سليم فاتح مصر فأراد الوزير المتولي دمشق أن يقبض على ذلك اليهودي المدعي لهذه الدعوى لما رأى من كثرة أتباعه وكان اليهود الذين بالقسطنطينية قد كاتبوه وطلبوا منه أن يأتي اليهم فتوجه اليهم واستعدوا ملاقاته لأخذوا ... وسمع فأرسل الصدر الأعظم وقبض على ذلك اليهودي وهو في المركب الذي جاء فيه ووضعه في السجن فكان اليهود يطلبون الاذن من الصدر الأعظم لأذن لهم في زيارته في السجن ويقبلون أقدامه فكانوا يأتون لذلك من جميع الجهات فوضع الوزير على كل من جاء لزيارته مالا جزية لاأحد منهم وجمع من ذلك مالا كثيرا فكان السجن يمتلىء من هؤلاء الذين يأتون لزيارته منهم ثم ان السلطان محمدا أحضر ذلك اليهودي بين يديه وأخذ يتكلم باللسان التركي كلاما فصيحا عربيا فقال له السلطان محمد ان من علامات نبي أن يكون يتبع اللسان بكل اللغات ثم قال له السلطان هل تصنع شيئا من العجائب فقال نعم في بعض الاوقات فقال له السلطان محمد اني أريد أن أجرب فيك هذه العجيبة وآمر أن يجردوك من ثيابك ويوقفوك في وجه المدافع ويرمي عليك بالرصاص فان عاد لم يهلك علم صدقه فيما يدعيه فلما سمع هذا الكلام خر راكعا على الارض وقال ان قوتي لاتقدر على هذه العجيبة فامر السلطان بقتله فرمى نفسه على قدم السلطان يقبلها ويعترف بالتوبة ويكذب نفسه والدخول في الاسلام فقبل السلطان محمد منه ذلك فاسلم وحسن اسلامه وصار يعظ اليهود فاسلم منهم خلق كثير وأما الرجل المسلم الذي ادعى أنه المهدي فانه رجل من الاكراد وظهر أيضا في هذا العام في ناحية الموصل وتبعه خلق كثير فقبض عليه وأتي به الى السلطان محمد أيضا فاحضر وعرض عليه مثل ماعرض على اليهودي فأبت نفسه السفلى أن تعترف بالتوبة وتكذب نفسه بل رضي أن العساكر ترمي عليه الرصاص فرموا عليه فمات من ذلك وبعده خلع السلطان محمد وأقيم في السلطنة أخوه السلطان

سليمان الثانى ابن ابراهيم ﴿ ولاية السلطان سليمان الثانى ﴾

تولى السلطنة وأمور الدولة فى غاية الارتباك وزيادة على ذلك هاج العساكر الانكشارية وقتلوا كبيرهم وقصدوا كثيرا من الوزراء ليقتلوهم وقتلوا الصدر الاعظم سياوش باشا وأقيم بعده اسماعيل باشا واستولت النمسا على كثير من ممالك الدولة وكذا البندقية وبعد ثلاثة أشهر عزل اسماعيل باشا عن الصدارة وأقيم مكانه تكفورطاغلى مصطفى باشا سنة ألف ومائة وواحدة * وفى تلك السنة توجهت العساكر العثمانية الى ناحية أدرنه وفى ذلك الوقت كانت عساكر النمسا محاصرة بلغراد ثم ملكوها تلك السنة بعد حصار طويل

﴿ ذكر غزوة السلطان سليمان الثانى ﴾

ولما بلغ الدولة أخذ بلغراد أمر السلطان بتجهيز العساكر لكى يخرج بنفسه وكانت الخزينة خالية من المال ففرضوا على أهل القسطنطينية أن كل عائلة تجهز خيالين وفى أثناء ذلك توجه من طرف الدولة الى ويانا بلاد النمسا ذو الفقار افندى لأجل المخاطبة فى عقد الصلح ففرض عليه امبراطور النمسا انه عند دخوله يسجد أولا عند باب القلعة وثانيا فى وسطها وثالثا أمام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه ويرجع ساجدا كذلك فأبى وأقام عشرة أشهر فى هذه المنازعة ولما رأى السلطان أنه قد طال أمر هذه المخاطبة أمر بالذهاب الى الحرب فتقدمت العساكر الى بلاد المجر وحاربتهم وأخربت قلاعهم واستولت على أكثر البلاد وكان الجنرال درسكوفيس قد خرج على عساكر الدولة فى نواحى بلاد اليونان وكسرهم وكان عددهم خمسين ألفا وأما عساكر النمسا الذين كانوا فى نواحى الطونة فقتلهم العساكر العثمانية وشتت شملهم فتركوا البلاد والقلاع وفر من بقى منهم

﴿ ذكر غزوة الى بلاد النمسا ﴾

ولما وصل ذو الفقار من بلاد النمسا الى بلاد القسطنطينية وأعلم السلطان بما جرى له فى بلاد النمسا لم يستحسن مصطفى باشا الصدر أن يتغاضى عن ذلك فعزم

على حرب المسكوف فأمر بتجهيز العساكر وأخذ في استجلاب قلوب الناس الذين كانوا تحت حمايته النصارى حتى احبوا الدولة وأخذ جميع الآنية الفضة والذهبية التي كانت عند وعند السلطان وأرسلها الى دار الضرب فسبكها معاملة ثم توجه لمحاربة المسكوف ومعه نحو مائة ألف فتح سفاو ودين وغيرها ثم رجع الى القسطنطينية مظفرا منصورا

﴿ ذكر غزوة أخرى ﴾

وفي سنة ألف ومائة واثنين بلغ الدولة تقدم المسكوف فخرج عليهم مصطفى باشا بالعساكر المنصورة وتوفي السلطان سليمان في زمان من هذه السنة بداء الاستسقاء وعمره خمسون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وتسعة أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان أحمد الثاني ابن ابراهيم وأول شرذمة من سيرته ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده أخوه السلطان أحمد بن ابراهيم وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا سار بالعساكر لمحاربة المسكوف وكانت عساكر الدولة تقدمت الى قرب بلغراد واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين وانهزم من جيش المسلمين رئيس العساكر الاكراد فلما شاهد ذلك مصطفى باشا صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم في وسط المعركة يحرض العساكر على القتال والسيف بيده واذا برصاصة أصابته في رأسه فوقع قتيلا رحمه الله تعالى وعزيمة تغلب عساكر المسكوف على العساكر الاسلامية ووقعت الهزيمة وقتل خلق كثير من المسلمين قيل ان عبد الله الذي كان عامة وعشرين ألفا وفي ذلك الوقت كانت عساكر المسلمين مجتمعة منصورة على الافرنج بعد ما استبدل او تسبيب الوزير وأقام مكانه رجلا على باشا ثم عزل سنة أربع وأقام فيها مصطفى باشا وحدث في هذه السنة حريق في القسطنطينية أحرقت ربع المدينة

﴿ ذكر غزوة في خلافة السلطان أحمد الثاني ﴾

في ذي القعدة من هذه السنة توجه الوزير الى بلغراد لمحاربة المسكوف وكانت تحاصر اغراد فلما بلغ المسكوف قدوم الوزير رفع الحصار وهرب من أمامه فأمر

الوزير بترميم الاماكن التي أخربتها عساكر النمسا ورجع بعد ذلك الى أدرنة وبقي جيش الدولة محافظا هناك وكانت دولة انكلترا تداخلت مع دولة هولاندا في اتمام الصلح مع الباب العالي والنمسا ولم يتم * وفي سنة خمس ومائة وألف توجهت العساكر لمحاربة المجر وبسبب الامطار الكثيرة رجعوا الى بلغراد * وفي سنة ست توفي السلطان أحمد وعمره أربع وأربعون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مصطفى الثاني وغزوة يتلوها غزوات ﴾

وأقيم في السلطنة بعده السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم وبعد جلوسه عرض عليه قضية الصلح فلم يقبل بل أصدر فرمانا شريفا يقول فيه لا يجوز لعبيد الله أن يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة فمن الآن وصاعدا احتم ان التلذذ والكسل يهجر من دواتي العلية لان الاعداء قد أحاطوا بمملكة الاسلام واستأسروهم وسوف آخذ ثارهم ان شاء الله تعالى وأسير امام جيوشي لان جدي سليمان العظيم الذي تتصاعد رائحة الطيب من قبره لم يكن يرسل ورراءه فقط للجهاد بل كان يخرج بنفسه للمبارزة في الجهاد المقدس حتى ان فخره ومجده قد انتشر في جميع الاقطار المسكونة وأنا سوف أصنع نظيره فأطيعوا أمير المؤمنين والسلام وكان السلطان مصطفى المذكور محبا للعلوم والمعارف متدينا عادلا وعلى جانب عظيم من الرقة والحذق ثم اجتمع رجال الدولة واتفقوا على أن السلطان لا ينبغي أن يخاطر بنفسه فلم يلتفت الى كلامهم

﴿ ذكر غزوة من غزوات السلطان مصطفى ﴾

ثم عزم على الخروج بالعساكر فأمر بجمع الجيوش وأرسل عمارة بحرية فصربت مراكب مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة مهولة وشتتهم في جهات البحر الابيض وتملكت عساكر الدولة جزيرة ساقس وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر الطونة وقاتلوا عساكر النمسا وملكوا جملة بلاد وقلاع وقطعوا رأس الجنرال فيترانى وكانت عساكره أكثر

من عساكر الدولة بعمس مراب وأخذوا مدافعهم وسهامهم وهدموا القلاع
والحصون وعند دخول الشتاء رجع السلطان جانب من العساكر الى أدرنة
ونزل الباقي بجانب الشام ثم دخل بالعساكر القسطنطينية في موكب حافل
ومعه أسارى كثيرة ومدافع وسناجق من غنائم النمسا وفي أثناء ذلك حاصر
ملك المسكوف قلعة أزوف فتكسر به عساكر الدولة عقب أسوارها وقتلت من
عساكر ملازمين ألفا ورجع عنها بعد حصار ثلاثة أشهر وملك المسكوف بحر
أزوف وبنى على سواحله قلاعا

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

بلغ السلطان ان النمسا جمعت عساكر كثيرة وجعلت قائدها أوجين
الفرنساوي وكان مشهورا في الحروب فسار السلطان سنة ثمان ومائة وألف بمائة
ألف مقاتل الى مدينة أدرنة وأرسل الجيوش لمحاربة النمسا فالتقوا واقتتلوا
قتالا شديدا وكان النصر للمسلمين فقتلوا من النصارى عددا كثيرا وسبوهم في
جميع الجهات ورجع السلطان الى مقر ملكه

﴿ غزوة أخرى ﴾

في سنة تسع بلغ الباب العالي رجوع عساكر النمسا مع الجنرال أوجين
الفرنساوي فخرج السلطان بنفسه بالعساكر وصحبته وزيره الصدر
الاعظم محمد الماس باشا واستولوا في طريقهم على عدة قلاع ثم التقوا بجيوش
النمسا التي مع أوجين الفرنساوي ووقع بينهم وقعات ثم صارت الهزيمة على
عساكر المسلمين وقتل الصدر الاعظم في ميدان الحرب وأقيم مكانه حسين باشا ثم
انهزم ورجع الى بلاد المجر وفي أثناء ذلك سعت دولة فرانسا وانكلترا وهولاندا
في الصلح واختار واسطة كرلوفتز لاتمام هذا العقد والسبب ان الدولة
كانت كلت وقلت النقود من كثرة الحروب فحصل القبول لهذه الجمعية فاجتمعت
عمد الدولة العلية ودولة فرانسا وانكلترا والموسكوف والنمسا والبندقية
وبولونيا وهولاندا وبعد ستة وثلاثين جلسة في برهة اثنين وسبعين يوما تم الصلح

فى رجب سنة ألف ومائة وعشرة وانعقدت شروطه باتفاق الجميع وتلك الشروط تعرف بشروط كارلاوير وكان من جملة الشروط حصول الهدنة ومتاركة الحرب مع النمسا خمسا وعشرين سنة وأما المسكوف فلم يقبل الا هدنة سنتين وبعد انعقاد الصلح ساحت الناس والعساكر بسببه وانتشر من ذلك فتنة عظمى وطالت الى ان قاموا على السلطان وخلعوه وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله افندى قبل ان السلطان مصطفى لما علم انهم يريدون خلعه دخل على أخيه أحمد وأخبره بذلك وترك له كرسى السلطنة فكانت مدة ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر وكان خلعه سنة خمس عشرة ومائة وألف ومات فى السنة التى بعدها وعمره احدى وأربعون سنة (ولاية السلطان أحمد الثالث) وتسلطن بعده أخوه السلطان أحمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم وكان من الصالحين المحبين للجهاد واقامة الحق ولما جلس على تخت السلطنة كان أهم شئ عنده أخذ القصاص من العصاة الذين كانوا اسبابا فى تلك الفتنة وقتل كثيرا منهم

﴿ ذكر غزوة فى زمن السلطان أحمد الثالث ﴾

ثم جهز عمارة بحرية لمحاربة البندقية فى جهات المورة فملكوا أكثر الجزائر واستأسروا كثيرا من البندقية واستولوا على مراكبهم * وفى سنة ست عشر ومائة وألف قامت الحرب على ساق وقدم بين قيصر الروسية بطرس وكارلوس ملك السويد واسترسلت الى سنة فانكسر أخيرا كارلوس المذكور وفاز عليه قيصر الروسية بطرس الاكبر ولما انهزم ملك السويد دخل فى حدود الدولة فأمر السلطان وقتئذ أن يكرم غاية الاكرام وأن تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة ومكث فى بلاد الدولة مداوما الالحاح عليها بمحاربة الروسية اعانة له فامتنعت الدولة من اجابته

﴿ ذكر غزوة الى الروسية ﴾

ثم أجابته فى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وأشهرت الحرب على الروسية وجهزت جيشا تحت قيادة محمد باشا البلطجى فاشتبك القتال بين الطرفين عند

شهرين وبعد كفاح شديد تقهقر جيش الروسية وأمسى القيصر في خطر شديد ولولم يتدارك الأمر زوجته كاترينا لاتحدتها ودرايتها الاصح زوجها أسيرا فعقدت صلحا مع الوزير الاعظم بعد شروط منها أن يرجع بحر ازوف الى الدولة وهدم الحصون التي بنيت على سواحل هذا البحر وترك للدولة المدافع التي فيها وعدم مداخلة الروسية في أعمال القوزاق وأن يتعهد ملك السويد بعدم التعرض له في الرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين أرسل الوزير بعلم السلطان بالنتيجة فغضب وأمر بعزله ونفيه في جزيرة ليمنوس وأقيم مكانه يوسف باشا ثم رأى رجال الدولة على ابطال ذلك الصلح مع الروسية واشهار الحرب عليهم بعد قتل جملة أشخاص كانوا السبب مع ذلك الوزير في تلك العهود وكان يوسف باشا الصدر الجديد يكره الحرب فلذلك صار يؤخر في تجهيز المهمات الحربية واجتهد في تجديد الصلح مع الروسية على هذه النية خمس وعشرين سنة فلما علم السلطان ذلك أمر بعزل يوسف باشا وأقام مكانه سليمان باشا وذلك سنة ألف ومائة وأربع وعشرين ثم ان ملك السويد أراد الرجوع الى بلاده وطلب من الدولة ألف كيس فأمر له بها ثم طلب ألفا أخرى فأمر له بها فغضب الوزير وأراد اخراج ملك السويد بالعنف وجرى بينه وبينه أشياء يطول ذكرها فعزل السلطان الوزير سليمان باشا وأقيم مكانه ابراهيم باشا ثم بعد عشرين يوما عزل وأقيم مكانه داماد علي باشا فعقد الصلح مع الروسية على خمس وعشرين سنة وفي أثناء ذلك حضر الى ملك السويد كتاب من أخته تقول له ان حضوره لازم لأجل راحة المملكة فعزم على الرحيل واستأذن الدولة في الرجوع فأمر له بمائتي جاويش لأجل محافظته في الطريق وأهدته بعشرة أفراس من جياد الخيل وصنوا بالطرزا بالذهب وسقامن صفا بالاحجار الثمينة فرحل من بلاد الدولة سنة ست وعشرين ومائة وألف شاكرا افضال الدولة على ما صنعته معه من العشرة والمساعدة ونحو ذلك من الاعمال الممدوحة التي يستحق أن ترقم في صحائف التواريخ لتكون تذكارا بين الملوك وأهل السويد لا ينسون هذا الجميل الذي فعلته الدولة العلية في حق ملكهم

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

وفي سنة ست وعشرين أيضا فتحت الدولة والحرب على البندقية واستولت العساكر العثمانية على أكثر بلاد المورة وعلى جزائر البنادقة وذلك سنة سبع وعشرين ومائة وألف وكانت مشيخة البنادقة استغاثت بملك النيمسا وهو امبراطور ألمانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العلية يطلب منها أن ترسل معتمدا من طرفها الى حدود بلاد المجر لاجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان أبت عن ذلك فانه مستعد أن يشهر الحرب عليها فلم تجب الدولة هذا الطلب

﴿ ذكر غزوة ﴾

بل أرسلت على الفور الصدر الاعظم بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة ألمانيا فوافاهم ثمانون ألفا من عساكر الالمان تحت قيادة الأمير أوجين الفرنساوي والتقى الجيشان عند كارلوفيتز والتحم القتال بين الفريقين مدة أيام وكان الصدر الاعظم داماد علي باشا من أحسن أبطال زمانه فكان ينزل في ميدان الحرب ويقاتل بنفسه أشد القتال فقدر الله انه قتل في ميدان القتال فانهزمت الجيوش العثمانية انهزاما مهولا واستولت عساكر العدو على المهمات والمدافع ثم تقدموا الى مدينة تمشوار وحاصروها شهرين وملكوها

﴿ ذكر غزوة أخرى ﴾

وولي الصدارة خليل باشا فجهز جيشا لقتال العدو وسار الى أدرنة ومنها الى بلغراد واشتبك القتال بين الجيشين سنة ١١٢٩ ولسوء تدبير هذا الوزير وقعت الهزيمة أيضا على جيش المسلمين وملك العدو مدينة بلغراد فعزل الصدر وأقيم مكانه محمد باشا وعزل بعد ثمانية أشهر وأقيم مكانه داماد ابراهيم باشا وكان جانب من عساكر الدولة مشتغلا بالحرب مع العدو في جهة بوسنة ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطنة فتحت المخابرة في الصلح سنة ثلاثين ومائة وألف وكان السلطان يريد عقد الصلح مع كل من دولة ألمانيا وجمهورية البندقية على حدته فأجاب الامير أوجين بأن الامبراطور لا يفتح المخابرة الا تحت شرط عقد الصلحين سواء تحت

فقط وأردف هذا الطلب بأن يعطى له ما بيده أثناء الحرب ومدينتي بلغراد
وسمندرة وافلاق وبغدان والصرب الواقعان في الجهة التي بين نهر الطونه والافلاق
من حدود بغدان الى نهر دنيستر وأن ترجع المورة الى البندقية فعرضت هذه
المطالب على السلطان أحمد وحصل فيها التباحث على السلم بشروط ثقيلة للغاية
فتداخلت أمراء دولتا انكلترا وهولنده في فض الخلاف وصار القرار على أن
تبقى في يد كل من الدولتين الأملاك التي تكون في يدها عند امضاء المعاهدة وأن
تبقى بلاد المورة للدولة العلية وفي سنة ثلاث وثلاثين حدث حريق هائل في
القسطنطينية أحرق نحو ربعها وبعد نهاية الصلح حددت الدولة مع الروسية
وملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهود

﴿ ذكر غزو الى بلاد العجم ﴾

في سنة ثمان وثلاثين جاء جماعة من أهل السنة يسكنون في حدود العجم الى
السلطان أحمد يشكون من المظالم والتعديات التي تجريها الشيعة عليهم
ويستنجدون به ويطلبون خلاصهم من تلك المظالم فأجابهم السلطان أحمد وسير
جيشا الى بلاد العجم ففتحوا جملة حصون ومدينة أرمغان وبها وتبريز وشتتوا
جموع الأعاجم قتلا وأسرا واستلبت أيديهم من نسائهم وأرسل شاه العجم
يخاطب الدولة في الصلح فطلب بشروط أن ترجع الى الدولة البلاد التي كان
استولى عليها وفي أثناء ذلك مات شاه العجم حسين وملك ولده طهماسب فأرسل
الى الدولة يطلب ترجيع الأملاك التي أخذت من أبيه وحاصر تبريز وملكها
واستولى على ما بها من جملة جليلة من الأمتعة فصدر الأمر من السلطان أحمد بتجهيز
العساكر لحرب الأعجام وعندما كانوا على هيئة الذهاب وذلك سنة ثلاث
وأربعين ومائة وألف هاجت العساكر الانكشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان
قتل الصدر الأعظم ابراهيم باشا وشيخ الاسلام وقبطان باشا وكتخدا بيك لكونهم
يشكون بهم فلم يفعل السلطان بهم ذلك فقالوا اسمح عن شيخ الاسلام فقط ثم
قتلوا الصدر الأعظم ابراهيم باشا وكتخدا بيك ثم ان بعض العسكر أنكروا أن

المقتول ابراهيم باشا وقالوا ان المقتول رجل يشبهه وليس هو وزحموا يطلبون من السلطان إحضار ابراهيم باشا وأحدوا يصرخون يعيش السلطان محمود وسار وايطلبون السلطان محمودا فى المكان الذى هو فيه وأتوا به إلى الديوان وأجلسوه على كرسى السلطنة وبايعوه بعد أن خلعوا عمه السلطان أحمد فكان خلعه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وتوفى سنة تسع وأربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة وواحد عشر شهرا

﴿ ولاية السلطان محمود الأول ﴾

وأما ابن أخيه الذى أقيم فى السلطنة بعده فهو السلطان محمود الاول ابن مصطفى ابن محمد بن ابراهيم هكذا ذكرت هذه القصة فى كثير من التواريخ ورأيت فى تاريخ مكة للرضى حكاية كيفية خلع السلطان أحمد المذكور وكيفية قتل الوزير ابراهيم باشا فقال فى تاسع عشرى شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف كان جلوس السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان محمود ابن السلطان مصطفى بن محمد ورفع عمه السلطان أحمد ابن السلطان محمد المتولى فى سنة ألف ومائة وخمس وعشرة وكان هذا الرفع والجلوس لاسباب وأمور اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم وهو أنه لما تكاثرت المظالم من وزير السلطان أحمد ابراهيم باشا ومن كيخيته حتى زاد الحال على المسلمين اجتمع من أطراف العسكر اثنا عشر نفر الانكشارية واستمر عشرة أيام وهم فى كل يوم يخرجون ويجتهدون فى أن يعضدهم أحد من العسكر فلم يحصل ذلك وفى اليوم الحادى عشر تكاثرت الأمة عليهم وغاب منهم أحد عشر لا يدرى أين ذهبوا ولم يبق منهم الا واحد فصار ذلك الواحد أمير تلك الأمة المجتمعة فأركبوه جوادا وامتثلوا له جميع ما أمر وصارت عدتهم فوق العشرة آلاف وفى أثناء ذلك والسلطان أحمد حافظ للوزير وكيخيته وأمير البحر المسمى بالقبطان وهو فى غاية الذلة والهوان أرسل اليه أمير الأمة المذكور بأن ادفع الينا الوزير والكيخيا نريد أن نقتص منه مظالم الخلق فاضطرب حالهم اضطرابا انجلى عن قتل الوزير

لكمهسد ثم قتل السلطان أيضا بيد ثم قتل الوزير بعض خدم السلطان وأرسل اليهم رؤس السلاتة بنا على أن ذلك مرض لهم فزاد الخال وكبار الدال وقالوا ان قتل السلطان كان ظلما لانه لم يصدر منه ما يوجب ذلك وكموه وصلوا عليه ودفنوا وأما قتل الوزير وكمهسد فلم يكن لسانه عرض لى كان مطلوبا حضورهما حسب بطالهما تعسوق العاد وما كان يصدر منهما فى البلاد ثم صرحوا بعدم الرضا بالسلطان أيضا فعرض عليهم توليته السلطان سليمان فامتنعوا عن ذلك فرأى هو ومن لديه من أهل الحل والعقد أنه لا يطفى هذه النار الا اخراج السلطان محمود من الحبس وتوليته السلطنة فقام السلطان أحمد بنفسه وذهب اليه فى الحبس وأخرجه وأجلسه على التخت ثم أرسل اليهم بان يتفرقوا فأبوا الا بعزل بعض أشخاص عن مناصبهم وتولية غيرهم وقتل آخرين وبقى جماعة فيهم مناطا و ثم رغب منهم السلطان محمود المعرفى فتوقدوا أيضا فارسل اليهم شيخ الاسلام بأنكم ادا لم تتفرقوا والأخرجتم الى النبى صلى الله عليه وسلم وأحدث عليكم فتوى ووجه الجهاد عليكم بعد ذلك تفرقوا فطلب ذلك الرجل الذى كان أمير هذه الامة المخمسة فلم يوجد له خبر ولا أثر ولا يدرى أين ذهب واستمرت السلطنة العباسية للسلطان محمود الاول وصدرت الاوامر العلية الى جميع ممالكه ورتب البلاد وكان من أغرب الاتفاق أن خرج تاريخ ذلك قوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار)

﴿ذكر غزو الى بلاد العجم﴾

وقد وقع فى مدة السلطان محمود المذكور محاربات بينه وبين الروسيا والمساعدة سنوات وكذا وقعت أيضا محاربات بينه وبين العجم

﴿ذكر غزوه الى العجم﴾

منها أن العجم جهز واجيوشهم وأغاروا على مواضع مما كانت فى حكم الدولة وأخذوها وحاصروا بغداد فجهز السلطان محمود عليهم جيوشا سبت وأربعين ومائة وألف وأزالهم عن محاصرة بغداد وشتتهم فى الجهات وقتل منهم مقتلة عظيمة

ورجع بعض جيوش الدولة الى كردستان ليخلصها من أيدى الاعجام واشتبك الحرب وقتل رئيس العساكر العثمانية طوبال عثمان باشا فى ميدان الحرب وقد كان فى السنة التى قبلها انعقد صلح مع العجم على أن تبريز تكون تحت أيدى العجم فغضب السلطان محمود ولم يرض بذلك ولما قتل طوبال عثمان باشا انهزمت عساكر الدولة فلما بلغ الخبر الباب العالى جهز السلطان جيشا آخر لقتال العجم ولما وصل الجيش الى شط نهر كوبان صدهم الموسكوف عن المسير فرجعوا ودخلت عساكر الموسكوف فى بولونيا فشكتهم الدولة الى ملوك أوروبا لأن ذلك مخالف للشروط التى كانت بينهم فاعتذر الموسكوف بأن دخول عساكره فى بولونيا لمنع دولة فرانسا من تسليم أحكام بولونيا فلم تقبل الدولة هذا العذر وأشهرت الحرب على الموسكوف

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ﴾

وسارت العساكر فى سنة تسع وأربعين ومائة وألف بعد أن عقدوا صلحا مع العجم غير الصلح الذى تقدم ذكره على شرط رجوع حدود الدولة على ما كانت أيام السلطان مراد الرابع وفى مدة عقد هذا الصلح تقدمت عساكر الموسكوف وأخذت بعض جهات من أراضى الدولة فلما تجهزت عساكر الدولة توجهت الى القرم واقتتلوا مع الموسكوف فانتصرت عساكر الدولة وهزموهم ثم ان الموسكوف اتحدت مع النمسا وألمانيا وكانت ألمانيا تابعة للنمسا ورجعوا واستلموا قلعة أزوف وانهزمت عساكر الدولة أمام هذه القلعة واستولت عساكر النمسا على ثمان مدن من بلاد السرب والافلاق وعلى قلعة نيش

﴿ غزوة أخرى ﴾

فرجعت اليهم عساكر الدولة وهزمت عساكر النمسا قدام بالوغا وتشتتت فى جهات البلاد وامتد الانتصار الى أن طردت عساكر الدولة النمسا من الافلاق والبغدان وارصوفا واسترجعت قلعة نيش وأحرقت لهم سبع مراكب حربية فى البحر تجاه قلعة البرابت وتوسطت فرانسا فى الصلح فلم يقبل السلطان

فلم يزل فرنسا يراجع السلطان الى أن تم الصلح بشرط أن السمسار يرجع بلغراد للدولة وكل ما استولت عليه من الافلاق والصرب وغير ذلك وأن يكون الحد الفاصل بين المملكتين نهر الطونه وسنة واحدة بعد ذلك وهي تسع وعشرين سنة واشترطت الدولة على الموسكوف أن لا تكون لها مراكب حربية ولا تجارية في البحر الاسود وبحر أزوف وأن الموسكوف يرجع الاماكن التي استولى عليها في مدة الحرب وأن يهدم قلعة أزوف وبعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد معاهدة مع الدولة العثمانية بالاتفاق على حرب من يعاديهم فاجابتهم الدولة الى ذلك وعظم أمر السلطنة في تلك السنة هذا ملخص ما كان في مدة السلطان محمود الاول وكان من أعظم سلاطين آل عثمان عقلا وهمة وتدبيرا ومحبة للجهاد ونصرة الدين واقامة الشريعة وتوفي رحمه الله سنة ألف ومائة وسبع وستين عمره ستون سنة ومدة ملكه أربع وعشرون سنة (ولاية السلطان عثمان الثالث) وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عثمان بن السلطان مصطفى بن محمد بن ابراهيم ومكث فيها نحو أربع سنين وتوفي سنة احدى وسبعين ومائة وألف (ولاية السلطان مصطفى الثالث) وأقيم بعده في السلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم فلما استقر في ملكه أخذ في تنظيم ملكه وتقوية ما وهن منه وكان ذلك باتفاق وزيره الصدر الاعظم محمد راغب باشا المشهور بالعلم والتدبير وحسن السياسة وفي سنة ألف ومائة وست وسبعين توفي راغب باشا وبعد وفاته لمعت نيران الحرب بين الدولة والروسية وفي تلك السنة خلعت كاترينا امرأة ملك الموسكوف بعلها عن كرسي السلطنة وجلست مكانه ومن ثم أمرت بقتله فقتل وأخذت تسعى في اخراج اليونان عن طاعة الدولة العثمانية وحركت اليونان في المورة والارناوود وأخذوا يستعدون لخلع الطاعة وفي تلك العصر وقعت ثلمة أيضا على الشام وأراد الاستقلال وأرسلت الدولة من عساكرها أربعين ألفا لحماية البلاد على شاطئ نهر الطونه وأرسلت الموسكوف الى كرسي المملكة الموسكوفية بسبب ذلك فلم يعبأ بهم

عساكر الدولة غير أن عساكر الموسكوف في تلك الايام انتصرت على عساكر الدولة التي كانت على حدود الطونة واستولوا على سدروا كرمان واسمعيل وقلاع على شاطئ هذا النهر ولما بلغ الباب العالي هذه الوقائع صدر الامر بتكثير الجيوش وفي السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر الموسكوف ورجعت الى بلادها بعد أن فقد منها عساكر كثيرة في الحرب وبالطاعون وحينئذ أحدث النمسا وروسيا في التوسط في الصلح وتوقيف الحرب ولكن لما رأت الدولة أن مطالب الموسكوف غير مقبولة رفضت هذا الطلب وأشهرت الحرب

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ﴾

وفي سنة ألف ومائة وست وثمانين سار الصدر الاعظم محسن باشا بالعساكر لمحاربة الموسكوف فظفر بهم على نهر الطونة وأخذ منهم ستمائة أسير وسار حسن باشا قبطان باشي بجانب من العساكر الشاهانية وضرب عسكر الموسكوف على نهر الطونة أيضا وأخذ مدافعهم وذخائرهم وفي أثناء هذه الغلبات توفي السلطان مصطفى سنة ألف ومائة وسبع وثمانين وعمره ثمان وخمسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة

﴿ ولاية السلطان عبد الحميد الاول ﴾

وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عبد الحميد الاول ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم وكان أخوه السلطان مصطفى قد ترك له نهاية الحرب الجسيم مع الروسية فأمر باحضار الجيوش وتكثيرها

﴿ ذكر غزوة للسلطان عبد الحميد الأول ﴾

بعث مع الصدر الأعظم أربعمائة ألف مقاتل والتحم القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فحصلت لهم هزيمة وانحصروا في شملة ووقعوا في صعوبة كلية فاجتهد السلطان في ارجاع قوة الدولة وكانت العساكر قد كلت من الحروب وحدث بين العساكر الانكشارية شغب فتركوا الصدر الاعظم في ميدان الحرب بجماعة قليل من العساكر فرجع الى شملة وأرسل يعلم الباب العالي بذلك فصدر الامر بعقد الصلح فتم على شروط تعرف بمعاهدة كوجيك قينارجا وهي مطوية على

كاترينا ملكة الروسية حضرت الى بلاد القرم بجيش عظيم وحضر امبراطور النمسا بجيش عظيم وكان قد تعاهد معها على محاربة الدولة وكانت فرانسا متفقة مع الروسية سرا فاقتتلت عساكر الدولة مع النمسا فى محل يقال له فتح الاسلام والجزيرة الكبيرة فانتصرت العساكر الاسلامية واستولت على كثير من القلاع والحصون

﴿ غزوة أخرى ﴾

وتوجهت فرقة أخرى من عساكر الدولة لمحاربة الروسية تحت رياسة شاهين على باشا وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة على عساكر النمسا حتى كاد امبراطور النمسا يقع أسيرا تقدمت عساكر الروسية واستولت على المعدان وعلى كثير من القلاع والحصون ولم يحضر أحد من باقى الدول الذين وعدوا بالمساعدة والنصر فلما شاهد الصدر الاعظم ذلك كتب الى الباب العالى يستأذن فى السعى فى عقد الصلح * وفى أثناء ذلك توفى السلطان عبد الحميد سنة ألف ومائتين وثلاث وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

﴿ ولاية السلطان سليم الثالث وغزوة من غزواته ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم وبعد جلوس السلطان سليم وجه همته الى اصلاح حال العساكر وتقوية العمارة البحرية وأمر بجمع الجيوش من جهات البلاد لتكثير الجيوش المجتمعة قبل ذلك فاجتمع فى وقت قريب نحو مائة وخمسين ألف مقاتل وكان اجتماعهم فى مدينة صوفيا وكانت عساكر الروسية سارت مع عساكر النمسا لمحاربة العساكر الاسلامية التى كانت تحت رياسة الصدر الاعظم يوسف باشا وقبطان باشا حسين باشا فانتشب القتال بينهم وبين عساكر الدولة فى المعدان وبقى نحو شهرين فحصلت هزيمة لعساكر الدولة واستولوا على أكثر مدافعهم ومهماتهم وبسبب ذلك عزل الصدر الاعظم يوسف باشا وأحيلت رتبة الصدارة الى كتخدا حسن باشا ثم عزل وصار بدله جزايرلى حسن باشا سنة ١٢٠٤ فتوفى وصار بدله شريف حسن باشا وأما عساكر الروسية

فتقدموا أعماق البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة سمندرة الى الافلاق
والصرب وكل المدن التي على شاطئ الطونة وكانوا استولوا على قلعة اسماعيل
التي هي أعظم حصن في بلاد الدولة الى تلك الجهات وبينما هم كذلك اذ حضر
الخبر بموت امبراطور النمسا وكان معاهدا مع ملكة الروسية على محاربة الدولة
وجلس في مكانه أخوه فانفصل عن معاهدة الروسية وعقد معاهدة مع الدولة
العلية بواسطة انكلترا وبروسيا وشرطوا عليه أن يرد للدولة جميع الممالك التي
افتتحتها النمسا فرد لها كل الاراضي التي افتتحها مع النمسا وأبقى في يده روكرم
الى حين تمام الصلح بين الدولة والروسية وبعد عقد الصلح بين الروسية والدولة
لم تعمل ملكة الروسية كارها وكانت مواظبة على الحرب فبعثت عساكرها
الى قلعة اسماعيل وأقامت الحصار عليها وكان في القلعة نحو ثلاثين ألفا فقطعوا
عنهم الزاد والمهمات وصرحوا على عساكرهم الموت والا قلعة اسماعيل وهجمت
عساكرهم على تلك القلعة وافتتحوها واشتد القتال بين الجنسين حتى ملأ
القتلى خنادق تلك القلعة ولما هجم الجيش صعدت العساكر على خشب القتلى
ودخلوا القلعة وجاروا فيها جراءة شديدة فكانت النساء والاولاد يخطفون سلاح
القتلى ويهجمون على عساكر المسلمين وما زالوا كذلك حتى قتل رئيس
العساكر مع كل الذين كانوا داخلوا القلعة ولم ينج منهم الا رجل واحد طرح نفسه
في النهر وذهب الى القسطنطينية وأعلمهم بأن القلعة وقعت على عساكر الدولة
لانهم كثوا ثلاثة ايام وبلياليها بالقتال والسيف دائر فيهم حتى أن الدم جرى كالسواقي
وقتل من النساء والاطفال في تلك المعركة خمسة عشر الفا ولما وصل هذا الخبر الى
القسطنطينية هاجت العساكر هيجانا عظيما وطلبوا من الدولة رأس حسن باشا
صدر أعظم قائد العساكر مع أنه كان من أعظم رجال زمانه في الحروب البرية
والبحرية ولكن النصر من عند الله ولا راد لقضاء الله وقدره ولا حيلة يمكن بها
الهيجان فقتل حسن باشا وجيء لهم برأسه وأحيلت الصدارة الى يوسف باشا الذي
عزل سابقا وبعد ذلك تقدمت عساكر الروسية وقاتلت العساكر الاسلامية

فى الجهة الثانية من نهر الطونة وذلك فى سنة خمس ومائتين وألف فتوسطت دولة الانكليز والبروسيا فى الصلح فتم سنة ست ومائتين وألف على شروط وهى أن الروسية ترجع للدولة كل الاماكن التى فتحتها خلا أوكرا كوف والاراضى الواقعة بين بوغ وسليسترة حيث أقامت الملكة كاتريا مدينة أودسا سنة ألف ومائتين وسبع تذكارا لنصرها وهى مدينة شهيرة أكثر سكانها نصارى على البحر الاسود وسكانها نحو أربعين ألفا ثم سعى السلطان سليم فى ترقية أسباب تقدم بلاده وعمرانها وأرسل يطلب من فرانسا مهندسين ومعلمى صنائع وضباطا الى غير ذلك فبعثت له بعساكر عظيم ثم ان العلاقات الودادية تكدرت معها لما استولت على مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وأقاموا فيها الى سنة ست عشرة فالتزمت الدولة العلية أن تشهر حربها الى أن أخرجتها من مصر بمعاضدة انكلترا وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر غزوة فى مدة السلطان سليم الثالث ﴾

وفى سنة ألف ومائتين وأربع عشرة وجهت عمارة مع عمارة الروسية وفتحتا السبع الجزائر التى كانت لجمهورية البندقية وكانت فرانسا يومئذ متولية عليها وهذه هى المرة الأولى التى اتحد فيها هاتان الدولتان * وفى سنة خمس عشرة صار الاتفاق أيضا بين الدولتين المشار اليهما فى صيرورة الجزائر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزائر * وفى سنة سبع عشرة ومائتين وألف عقدت معاهدة صلح بين الدولة العلية وفرانسا

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الروسية ﴾

وفى سنة احدى وعشرين اتفقت الدولة مع فرانسا على حرب الروسية فكان ذلك ان داعيا لتكديرها مع انكلترا لأنها كانت تسعى فى ملاشات شوكة نابليون امبراطور فرانسا ولكن لم تستطع انكلترا أن تمنع السلطان سليمان محاربة الروسية لأن جيوش الروسية كانت تجاوزت الحدود ودخلوا الافلاق والبغدان وذلك الغ... اضطر السلطان سليم أن يحافظ على بلاده ويدافع عن

حمودة فخر الخصوص وأرسلها صحبة قياد الصدر الأعظم مصطفى باشا حلبي
ومصطفى باشا السردار إلى الإقليمين المذكورين فحاربوا الروسية وهزموا
هزيمتهم على الأراضي العثمانية ولما انتشبت كان اتباع المنافرة بين الدولة
العلية وانكلترا أن سارت عمارتها إلى الاسكندرية وملكوها فأخرجهم منها محمد
علي باشا حاكم مصر وكان من الأسباب في حضور الانكليز لأخذ الاسكندرية أن
المماليك الذين كانوا مستقلين على مصر كان بينهم وبين محمد علي باشا
محاربات وشتتهم في الأرياف فأرسل كبيرهم محمد بك الألفي للانكليز يستنجد بهم
فحضرت مراكبهم في ثغر الاسكندرية في أول محرم سنة اثنين وعشرين
ومائتين وألف وعدتها أربعون من كبار السفن الحربية مشحونة عسكرا وحصروا على
الاسكندرية بإطلاق المدافع الهائلة من البحر فهدموا من أبراجها الكثير
وكذلك الأبراج الصغار والسور فعند ذلك طلب أهل الاسكندرية الأمان فرفعوا
عنهم الضرب ودخلوا البلد ثم ساروا جميعا إلى رشيد فدخلوها فهاجم عليهم أهل
رشيد وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجع الباقون إلى الاسكندرية مهزومين واستعد
محمد علي باشا لمحاربتهم وإخراجهم من الاسكندرية وشرع في تعمير القلاع
واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال إلى أواخر جمادى الآخرة من السنة
المذكورة وتوجه محمد علي باشا بعسكر إلى جهة البحر والاسكندرية وحصل
بينه وبين الانكليز الذين في الاسكندرية مكاتبات ومراسلات ثم تم بينهم صلح على
شروط منها خروجهم من الاسكندرية وأخلوها في أوائل رجب من السنة المذكورة
أعني سنة اثنين وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان
محمد بك الألفي الذي استنجدهم قد مات قبل مجيئهم الاسكندرية وفي هذه السنة أ
أيضا كانت فتن كثيرة بدار السلطنة وخلعوا السلطان سليما وقصة ذلك طويلة
سنذكر ملخصها فيما يأتي لكن ينبغي أن نقدم قبل ذلك ذكر أشياء كانت في مدة
السلطان سليم المذكور منها فتنة الوهابية بالحجاز وفتنة الفرنسيس عند
دخوله مصر ولنبدأ بذكر

وان كان متناهيا متأخرا

﴿ ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيس مصر ﴾

اعلم أن السلطان سليما الثالث حدث فى مدة سلطنته فتن كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها فتنة الوهابية التى كانت فى الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامى والمصرى ومنها فتنة الفرنسيس لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة الى سنة ست عشرة ولنذكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لان كلا منهما مذكور تفصيلا فى التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة * أما فتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيما بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو النائب من جهة السلطنة العلية على الاقطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والالف وكان ذلك فى مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد (وأما ابتداء أول ظهور الوهابية) فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم فى بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا [illegible] واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس مذهبهم الخبيث [illegible] وأصله من المشرق من بنى تميم وكان من المعمرين [illegible] لانه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه [illegible] ومائة واحدى عشرة وذلك سنة ألف ومائتين وست

النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالانبياء والاولياء والصالحين وزيارة
قبورهم شرك وأن نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء
غيره من الانبياء والاولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأن من أسند شيئاً
لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو نفعني هذا الدواء وهذا
الولي الفلاني عند التوسل به في شيء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه وأتى
بعبارات مزورة وزخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم في ذلك
رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد واتصل بأمراء المشرق أهل
الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة الى
تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الاعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم
وصاروا جنداً لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن
عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور أمره سنة
ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف وألف
العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه وكان ممن
قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان
من بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز
ابن محمد بن سعود ثم ولده سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان كثير
من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من
أبعده وأشقاه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب ان مراده بهذا
المذهب الذي ابتدعه اخلاص التوحيد والتبري من الشرك وأن الناس
كانوا على شرك من ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية
التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وكقوله
تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكقوله تعالى والذين يدعون
من لا يستجيب لهم الى يوم القيامة وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة فقال محمد

ابن عبد الوهاب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والاولياء والصالحين مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيأ بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم ومما ردوا به عليه في الرسائل المؤلفة للرد عليه ان هذا الاستدلال باطل فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل انهم يعتقدون انهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون انهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الالوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وان كانوا يعتقدون انها لا تخلق شيأ وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الانبياء والاولياء استحقاق العبادة والالوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية بل يعتقدون انهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين ان الخالق الضار النافع المستحق العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وان الانبياء والأولياء لا يخلقون شيأ ولا يملكون ضرا ولا نفعا وانما يرحم الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لانهم لما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن

فجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعبدون الأوثان والأصنام
فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيه
أحد من المؤمنين روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار
فحملوها على المؤمنين وفي رواية عن ابن عمر أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال
أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه فهو وما قبله
صادق على هذه الطائفة ولو كان شيء مما يفعله المؤمنون من التوسل وغيره شركا
ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ففي
الأحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه اللهم إني أسألك بحق
السائلين عليك وهذا توسل لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم
بالإتيان به وبسط ذلك طويل مذكور في كتب السنة وفي الرسائل التي في الرد
على ابن عبد الوهاب وصح عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت أسد أم
علي رضي الله عنهما ألحدها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة وقال اللهم
اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي
إنك أرحم الراحمين وصح أنه صلى الله عليه وسلم سأله أعمى أن يرد الله عليه بصره
بدعائه فأمره بالتطهر وصلاة ركعتين ثم يقول اللهم إني أسألك وأتوجه إليك
بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في
ففعل فرد الله عليه بصره وصح أن آدم عليه السلام توسل بنبينا صلى الله عليه
وسلم حين أكل من الشجرة لأنه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا على
العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله هذا ولد من
أولادك لولاه ما خلقتك فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي
يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماء والأرض لشفعناك وتوسل عمر بن
الخطاب بالعباس رضي الله عنه لما استسقى بالناس وغير ذلك مما هو مشهور فلا
حاجة إلى الإطالة بذكره والتوسل الذي في حديث الأعمى قد استعمله الصحابة

والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ يا محمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيأ كثيرا من ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي رضى الله عنه عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله استسق لامتك كالنداء الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور وممن ألف فى الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى مؤلف حواشى شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من جملة كلامه يا ابن عبد الوهاب انى أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء فى فضلها أحاديث أفردت بالتأليف ومما جاء فى النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا ان لله عبادا يجيبونه وفى حديث آخر اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى فان لله عبادا لا ترونهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا زار القبور قال السلام عليكم يا أهل القبور وفى التشهد الذى يأتى به كل مسلم فى كل صلاة صورة النداء فى قوله السلام عليك أيها النبى والحاصل أن النداء والتوسل ليس فى شئ منهما ضرر الا اذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به ومتى كان معتقدا أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر فى ذلك وكذلك اسناد فعل من الافعال لغير الله

لا نصر الا اذا اعتقد التأثير و ن لم يعتقد التأثير فانه يحمل على المجاز العقلي كقوله يشفي هذا الدوا أو فلان الولي فهو مثل قوله أشبعني هذا الطعام وأرواني هذا الماء وسقاني هذا الدوا حتى صدر ذلك من مسلم فانه يحمل لي الاسناد المجازي والاسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل الى تكفير أحد
بسبب ذلك ويكفي هذا الذي ذكرناه اجمالا في الرد على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع الى الرسائل المؤلفة في ذلك وقد لخصت ما في رسالة مختصرة فليطالعها من أرادها ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أتابه بدعوتهم الخبيثة التي كفروا بها الناس ن لم يكونوا تابعين لهم وسهلوا قتلهم ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز و بلغ ملكهم قريبا ن الشام فانه ملكهم وصل الى المزيريب وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة ن علمائهم الى الحرمين ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد أهل الحرمين و يدخلون عليهم اللبس بالكذب والمين فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به ردعليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم و وجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير ن المكفرات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة يتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ليشتهر بن الناس أمرهم فيعلم بذلك الاول والآخر وكان ذلك في مدة امارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف وأمر بحبس أولئك الملاحدة فحبسوا وفر بعضهم الى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتوا واستكبارا وصاروا أمراء مكة بعد ذلك يمنعون دخولهم للحج فصاروا تارة يقدمون الى بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم اتسع القتال بينهم و ين أمير مكة مولانا الشريف غالب ابن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم و بينه من سنة خمس بعد المائتين والالف ووقع بينهم و بينه وقائع كثيرة فقتل فيها

خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى ودعوتهم تنتشر الى أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة * وفى سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالا ونساء وأطفالا ولا نجا منهم إلا القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير الى مكة فعلموا أن بمكة فى ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم اليها الحاج الشامى والمصرى فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا فى الطائف الى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج الى بلادهم ساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل الى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا اليهم وطلبوا منهم الامان لاهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويجددون لهم الاسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك كالتوسل وزيارة القبور ثم ساروا بجيوشهم الى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقنابل فقتل كثيرا منهم ولم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا الى بلادهم وجعلوا لهم عسكرا بمكة وأقاموا لهم أميرا فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب وانما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الاشرار عنهم * وفى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والى جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر ووصلوا الى مكة وأخرجوا من كان بها من عسكر الوهابية ورجعت امارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميرا عثمان المضايفى وصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التى فى أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم فى طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التى كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه

ثم قدموا بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا إليها في سنة عشرين وحاصروا مكة
وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة
عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعظم
وجود الموت فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكة وتوسط
أناس بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط وهادنوا أهل مكة على تلك الشروط
أن أمير مكة يكون له شيء من الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين
وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة
وأخذوا ما فيها من الأموال وفعلوا أفعالاً شنيعة وجعلوا على المدينة أميراً اسمه
مبارك بن مضيان واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج
الشامي والمصري مع المحامل مكة وصاروا يدعون الكعبة المعظمة بوثن العماء
العلاني الأسود وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوهم من شرب
التنباك ومن فعل ذلك واطلعوا عليه عزروه وأبيح الله ... وهدموا القبب التي
على قبور الأولياء وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كبير وشغل
قتال مع النصارى وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم كما ستقف عليه إن شاء
الله تعالى ثم صدر الأمر السلطاني لصاحب مصر محمد علي باشا بالتوجه لقتال
الوهابية وكان ذلك في سنة ست وعشرين ومائتين وألف فجهز محمد علي باشا
حملة عظيمة عسكرية جعل عليهم بفرمان سلطاني ولده طوسون باشا
فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين براً وبحراً
حتى وصلوا إلى ينبع فملكوها من الوهابية ثم لما وصل العسكر إلى الصفراء
والجديدة وقع بينهم وبين العرب الذين في أطرافها قتال شديد بين الصفراء والجديدة
وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي وانهزم الباشا لكثرتهم فهزموا ذلك
الجيش وقتلوا كثيراً منهم وغنموا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي
الحجة سنة ست وعشرين ولم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلا القليل فجهز
جيشاً آخر سنة سبع وعشرين وعزم محمد علي باشا على التوجه إلى الحجاز بنفسه

وتوجهت العساكر قبله فى شعبان فى غاية القوة والاستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابر فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفرا والجديدة وغيرهما فى رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومصانعة العرب باعطاء الدراهم الكثيرة حتى انهم أعطوا أشياخ مشايخ حرب مائة ألف ريال وأعطوا أشياخا من صغار مشايخ حرب أيضا ثمانية عشر ألف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو فى الظاهر تحت طاعة الوهابى وأما المرة الأولى التى هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب فى ذلك حتى يكون الامر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة فى أواخر ذى القعدة ولما جاءت الأخبار الى مصر صنعوا زينة ثلاثة أيام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا البشائر لجميع ملوك الروم واستولت العساكر السائرة من طريق البحر على جدة فى أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين ثم طلعوا الى مكة واستولوا عليها أيضا وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف غالب سرا ولما وصلت العساكر الى جدة فر من كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم وكان سعود أمير الوهابية حج فى سنة سبع وعشرين ثم ارتحل الى الطائف ثم الى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة الا بعد ذلك ثم لما وصل الى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر الى جدة ومكة فر من الطائف أميرها عثمان المضايفى وفر من كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم * وفى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وعشرين أرسل محمد على باشا مبشرين الى دار السلطنة ومعهم مفاتيح وكتبوا اليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا فى رتبة محمد على باشا وبعثوا له أطواقا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده * وفى شهر شوال سنة ثمان وعشرين

توجه محمد على باشا بنفسه الى الحجاز وقبل توجهه من مصر قبض الشريف
غالب على عثمان المضايفي الذى كان أميرا على الطائف للوهابية وكان من أكابر
أعوانهم وأمرائهم ورحله بالحديد وبعثه الى مصر فوصل فى ذى القعدة بعد
توجه الباشا الى الحجاز ثم أرسل الى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد على الباشا فى
ذى القعدة الى مكة وقبض على الشريف غالب بن مساعد وبعثه الى دار السلطنة
وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد * وفى شهر
محرم من سنة تسع وعشرين بعثوا الى دار السلطنة مبارك بن مضيان الذى كان
أميرا على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به فى القسطنطينية فى موكب لأجل
الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السراية وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي وأما
الشريف غالب فأرسلوه الى سلانيك وبقى بها مكرما الى أن توفى سنة احدى
وثلاثين ودفن بها [illegible] ومدة أمارته على مكة ست وعشرون سنة ثم
ان محمد على باشا وجه كثيرا من العساكر الى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران
وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه فى أوائل
شعبان سنة تسع وعشرين ووصل الى تلك الديار وقتل كثيرا منهم وأسر كثيرا
وخرب ديارهم * وفى شهر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين مات سعود أمير
الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبد الله ورجع محمد على باشا من تلك الديار التى
وصلها من ديار الوهابية عند اقبال الحج وحج ومكث بمكة الى رجب سنة ثلاثين
ثم توجه الى مصر وترك [illegible] حسن باشا ووصل الباشا الى مصر منتصف رجب
سنة ثلاثين ومائتين وألف فتكون اقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر وما رجع الى
مصر الا بعد أن طهر الحجاز وأباد طوائف الوهابية التى كانت منتشرة فى
جميع قبائل الحجاز والشرق وبقى منهم بقية بالدرعية أميرهم عبد الله بن سعود
فجهز محمد على باشا العساكر ثانيا وأرسلها تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا وكان عبد الله
ابن سعود قبل ذلك كاتب مع طوسون باشا ابن محمد على باشا حين كان بالمدينة
وبعث معه صلحا على بقاء امارته ودخوله تحت طاعة محمد على باشا فلم يرض محمد

على باشا بهذا الصلح فجهز ولده ابراهيم باشا وجعل أمر العساكر اليه وكان ابتداء ذلك فى أواخر سنة احدى وثلاثين فوصل الى الدرعية سنة اثنتين وثلاثين ونازل بجيوشه عبد الله بن سعود ووقع بينهما وقائع وحروب يطول ذكرها الى أن استولى عبد الله بن سعود فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ولما جاءت الاخبار الى مصر ضرب بذلك ألف مدفع وعملوا شنكا ورينوا مصر وقراها سبعة أيام وكان محمد على باشا له اهتمام كبير فى قتال الوهابية وأنفق فى ذلك خزائن من الاموال حتى أخبر بعض من كان يباشر خدمته أنهم دفعوا فى دفعة من الدفعات لاجرة تحميل بعض الذخائر خمسة وأربعين ألف ريال هذا فى مرة من المرات كان ذلك الحمل من الينبع الى المدينة عن أجرة كل بعير ست ريال دفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول الحمل من المدينة الى الدرعية كان أجرة تلك الجملة فقط مائة وأربعين ألف ريال وقبض ابراهيم باشا على عبد الله بن سعود وبعث به وكثير من أمرائهم الى مصر فوصل فى سابع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وصعدوا له موكبا حافلا يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد على باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له الباشا ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابنى ابراهيم باشا قال ماقصر و بذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره الله تعالى فقال له الباشا أنا أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسماعيل باشا ببولاق وكان بصحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ماهذا فقال هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى الى السلطان وأمر الباشا بفتحه فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم ير الراؤن احسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد كبيرة وشريط من الذهب فقال له الباشا الذى أخذتموه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند أبى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذه كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغاوات الحرم وشريف مكة فقال

صلى الله عليه وسلم وعلى ذكر كثير من أوصافه الكاملة ويقولون ان ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الأذان حتى ان رجلا صالحا كان أعمى وكان مؤذنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم فأتوا به الى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لملأت الدفاتر والاوراق وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر قتل الصناجق المماليك المتغلبين على مصر ﴾

اعلم أن المماليك المذكورين كانوا متغلبين على مصر فلما تمكن محمد علي باشا من المملكة المصرية احتال عليهم وقتلهم سنة ست وعشرين ومائتين وألف وكانوا هم وعساكرهم وأتباعهم كثيرون وصاروا يعارضون محمد علي باشا في كثير من شؤونه وهو يداهنهم ويحذر منهم فلما جاء الامر السلطاني بتوجهه الى الحجاز لمحاربة الوهابي طلب من الدولة أن يأتيه فرمان بولاية ولده طوسون باشا صاري عسكر على العساكر التي يريد أن يرسلها الى الحجاز فجاءه فرمان سلطاني بذلك فجعل ذلك وسيلة الى جمع الصناجق وعساكرهم في القلعة لقراءة الفرمان المذكور وخروجهم بالألاي الحافل مع ابنه المذكور الى العرضي الخارج للحجاز المنتصب خارج مصر عند قبة العزب فنبه على العساكر الصناجق في الحضور الى القلعة في الثالث من شهر صفر في الساعة الرابعة من النهار ورتب في القلعة عساكر خاصة به وجعلهم في الابراج والمكامن التي في القلعة وأمر البواب القلعة أنهم اذا استكمل دخولهم يغلق الباب وأمر العساكر الخاصة به الذين رتبهم في القلعة أن يقتلوا كل من دخل منهم بعد غلق باب القلعة ففعلوا ذلك وصار القتل فيهم من وقت الضحى الى غروب الشمس فقتل منهم خلقا كثيرا ثم تتبع الباقين منهم في مصر وبقية الارياف بالقتل حتى أبادهم عن آخرهم وذلك شيء كثير وعدد وفير والقصة طويلة لكن هذا حاصلها وتم له انتظام ملكه من غير معارض بعد أن قتلهم وكانت ولايته مصر سنة عشرين واستمر فيها الى سنة أربع وستين ومائتين

وألف وكان في الاصل من العساكر الذين جاءوا مع يوسف باشا لما أخرج
الفرنساوية من مصر سنة ست عشر وأصله من بلاد قوله وجنسه من الارنؤود
فلما كان خروج يوسف باشا للفرنساوية قاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في
تلك الحروب ثم رقي في مدة قصيرة الى رتبة عالية الى أن تقلد زمام أحكام إيالة
مصر بعد سنة تسع عشر وثمانمائة وألف ولما خرج الفرنساوية من مصر ودخلها
يوسف باشا الصدر الاعظم سافر يوسف باشا وأقامت الدولة وزير مصر والياً عليها الوزير
محمد خسرو باشا واستمر الى المحرم سنة ثمان عشر ووقع بينه وبين العساكر فتنة
بسبب طلب مرتباتهم وجوامكهم واشتدت الفتنة حتى أخرجوا الوزير
المذكور من مصر وانه والي بولاية طاهر باشا قائم مقام بشرط أن يأتي الامر
من الدولة [illegible] فاشتدت العامة فرفعوا أمورا وكان الرئيس الثاني في تلك
الفتنة محمد علي باشا ثم بعد ست وعشرين يوما ثاروا على طاهر باشا فقتلوه وكان قد
حضر من دار السلطنة الى مصر أحمد باشا والياً على المدينة المنورة فولاه أهل
مصر عليهم بعد قتل طاهر باشا فلم يرض لذلك محمد علي وقال ان أحمد باشا لم يكن
والياً على مصر وانما هو وال على المدينة المنورة واعتبروا ما فعله طاهر باشا لكونه
كان محافظاً للديار المصرية من الدولة العلية فله شبهة في الولاية وأما أحمد باشا فليس
له تعلق بمصر فهو يخرج خارج مصر ويعهد بالعساكر ويرحل الى محل ولايته
ثم اشتدت الفتنة واشتهرت بين العساكر الى ان أخرجوا أحمد باشا فكانت مدة
ولايته [illegible] يوما وليلة ثم نادى مناد بتسكين الناس وتأمينهم وان الامر [illegible]
لابراهيم بك كبير الصناجق وحاكم الولاية وأمير كواخيه محمد علي ونصبوا علي
الدفتردار وقطعوا رأسه ثم قامت العساكر على ابراهيم بك لطلب جوامكهم
واشتدت الفتنة وأرادوا قتل ابراهيم بك ونهبوا داره فهرب فقوي أمر محمد
علي وصار أهل الحل والعقد بيده ثم جاءت الاخبار من دار السلطنة بولاية مصر لأحمد
باشا خورشيد حاكم الاسكندرية ووصل الى مصر في ذي الحجة سنة ثمان عشرة
وبعد وصوله طلب من الناس أموالا والاجير له بسكون بمحله مما لزم الناس من

خراج مصر فاشتد الامر على الناس وارتفعت الأسعار وأغلقت الدكاكين والأسواق واجتمع الاطفال بالجامع الأزهر وصعدوا الى المنار يصرخون ويتضرعون ويقولون يالطيف فسمعهم الباشا وهو فى القلعة فأرسل الى نقيب الأشراف انا قدر فعا عن الناس ما كنا طلبناه وأما ابراهيم بيك ومن معه من الامراء الذين أخرجوهم من مصر فانهم جمعوا جموعا من الأرياف وجاؤا لقتال الباشا ومن معه بمصر فخرج اليهم بالعساكر ووقع القتال واشتد الأمر وتقطعت الطرق وشرح ذلك كله يطول ثم جاء أمر من الدولة لمحمد على بولاية جدة فألبسه الباشا فروا ولما خرج يريد الركوب ثارت على محمد على العساكر وطلبوا منه العلوفة فقال لهم هاهو الباشا عندكم وركب هو الى داره وصار ينثر الذهب على الناس فى الطريق وأمسك العساكر أحمد باشا ومنعوه من الركوب الى بعد المغرب ثم لاطفهم وركب وأشيع بين الناس انهم حبسوه وهو قد ذهب الى القلعة ثم أشيع أنه يريد وضع فردة على الناس فهاج الناس واجتمع كثير من الناس عند بيت القاضى وصاروا يصرخون بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومنهم من يقول يامتجلى أهلك العثملى ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ومنهم من يقول لا نريد هذا الباشا حاكما علينا لابد من عزله وذهبوا الى بيت محمد على يقولون ذلك فقال لهم ومن تريدون أن يكون واليا عليكم فقالوا لا نرضى الا بك لما نتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع أولا ثم رضى فأحضروا له كركا وقام السيد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ الشرقاوى فألبساه ونادوا بذلك فى البلد وذلك يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرين ومائتين وألف ونادوا فى مصر بولايته وأرسلوا الخبر الى أحمد باشا فقال انى متول من السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل من القلعة الا بأمر السلطان فكتب الناس سؤالا وكتب عليه المفتى وحكموا بعزله وصحة تولية محمد على باشا وحضروا فى بيت القاضى فحكم بمقتضى ذلك واستمر أحمد باشا فى القلعة وأراد الحرب والقتال مع أهل مصر فحاصروه فى القلعة أياما الى ان أخرجوه منها وحصل بينه وبين العلماء كلام كثير وقال لهم

كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقالوا له أولوا الأمر هم العلماء وجرت العادة في القديم ان أهل البلد يعزلون الولاة حتى السلطان اذا جار عليهم فيخلعونه والقصة طويلة حذفناها لطول الكلام كرهنا وطال الامر بينهم الى أن جاء الأمر السلطاني بولاية محمد علي باشا واقرار ما فعله العلماء وأهل مصر في شهر ربيع الثاني ثم الامر لمحمد علي باشا حتى كان من أمره ما كان وأكثر ما تقدم ذكره في الشام على لسان شوام الذين نقلوا هذه القصة ثم ان سيدنا محمد علي باشا ورتبته ولم يزل في رقي وعز وارتفاع حتى حارب السلطان محمود وملك عكا والشام فلما توفي السلطان محمود انعقد الصلح بينه وبين السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ترك الشام والحجاز وأعطي ولاية الاقطار المصرية مؤبدة له ولأولاده يحملوا للسلطنة خراجا معلوما يدفعه كل سنة واستمر الى سنة أربع وستين فأصابه مرض اختل به عقله فولي ابنه ابراهيم باشا في حياة أبيه فكانت مدة ولاية محمد علي باشا نحو خمس وأربعين سنة واستمر ابنه ابراهيم باشا نحو سنة ثم توفي فولي عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا واستمر الى سنة سبعين فتوفي فتولى ثم ولي سعيد باشا بن محمد علي باشا وتوفي سنة تسع وسبعين ثم ولي اسمعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وخلع سنة ست وتسعين وولي ابنه محمد توفيق باشا وهو الموجود الآن وانما ذكرنا هذا كله استطرادا لما فيه من الفائدة لنصل الكلام بقضية ص

﴿ ذكر استيلاء الفرنسيس على مصر ﴾

كانت مصر قبل أن يملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة وكان لهم كثير من المماليك الذين هم أصناف الجراكسة ومن غيرهم من الترك فلما ملكت الدولة العثمانية مصر لم يزل المماليك فيها وفي كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة وكان منهم أمراء ورؤساء فصارت لهم عصبية قوية فاستولوا على الأملاك والأراضي والاقطاعات والمحصولات والخراجات والجمارك وكانوا اذا جاء الباشا المتولي على مصر من الدولة العلية ينقادون له في الظاهر وفي الباطن هم مستولون

فكانوا يبقونه اذا أرادوا ويعزلونه اذا أرادوا ولا يصل الى الدولة العلية من محصولات مصر الا القليل والباقي بأيديهم وكان لهم رؤساء وعلى الجميع أمير كبير تحت أمر الوزير المتولي من السلطنة صورة وظاهرا فقط فلما تعلموا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف النصارى واليهود فيتعدون كثيرا عليهم لاسيما على تجارهم فكانت الدولة العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصارى فطمع الفرنسيس في تملك مصر وإبعاد هؤلاء المماليك المتغلبين وأوهموا على المسلمين انهم انما يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة العلية فجهز الفرنسيس عليها جيوشه بالسر والكتمان من غير اطلاع أحد على ذلك وجاءهم بغتة فتملكها على الوجه الآتي ذكره وكان ذلك في شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان الوزير المتولي على مصر من السلطنة العلية في تلك السنة هو أبو بكر باشا الطرابلسي كانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين وألف وكان للمماليك المتغلبين على مصر أميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بيك ومراد بيك كان تحت طوعهما جميع الصناجق والعساكر فلما شاعت الاخبار بقدوم الفرنسيس للاستيلاء على مصر خرج من مصر الوزير المتولي من السلطنة العلية وهو أبو بكر باشا المتقدم ذكره وتوجه الى غزة ثم منها الى دار السلطنة توجه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة وبقيت مصر بيد ابراهيم بيك ومراد بيك وصناجقهما والأمراء والعساكر التي تحت أيديهما وكان أهل مصر عند خروج أبي بكر باشا من مصر وقبل خروجه بأيام يسمعون اشاعات عن مسير الفرنسيس الى تملك مصر ولم يقفوا على حقيقتها فلما كان العشرون من المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وصلت مراكب للفرنسيس مشحونة بالعساكر وآلات الحرب وتقاتل من كان فيها من العساكر مع أهل الاسكندرية ولم يكن أهل الاسكندرية مستعدين لقتالهم فلم يقدروا على دفعهم لاسيما وقد جاؤهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الامان منهم فامنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها فلما جاء الخبر الى مصر

أخذ أراضيهم بلد ومن أدخل في الاستعداد لهم وأبرز واحدا بن العسكر إلى موضع يقال له الجسر الأسود وأخرجوا المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس منه وكثر الهرج والمرج وقطعت الطرق وارتفع السعر كثر المناشير حاصلها مكتوب من الفرنساوية فيه بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه وبعد ذلك كلام كثير من جملة أن أعداء الله وأحذوه من بين القرآن العظيم وأنهم مسلمون (يعنون أنفسهم) مخلصون وأسباب ذلك أنهم نزلوا في رومة الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة أهل الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة أهل الإسلام وكل ذلك من الكلام الذي يوهمون به على أهل الإسلام أنهم موحدون لله تعالى وأنهم يحبون أهل الإسلام ويحبون سلطانهم وأنهم إنما جاءوا لنصرة سلطان الإسلام وإبعاد المماليك المتغلبين على مملكته ودفع ظلمهم عن الرعية ومن جملة ما في ذلك الكتاب خطابا للمسلمين وما حسبكم إلا أنه قد سكر وأفاق من السكر لأخلص حقكم من يد الظالمين الصالحين المماليك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ويتعاملون الملة الفرنساوية بالذل والصغار ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بأنواع الأذى والتعدي ويأخذون أموالهم ويفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها مثله فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم بانقضاء دولتهم وإلى أعداء الله عادة أكثر من المماليك وأحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا لهم إن جميع الناس متساوون عند الله تعالى وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليروا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن

الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العلية فالعلماء والفضلاء والعقلاء منهم سيدبرون الامور وبذلك يصلح حال الأمة كلها وسابقا كان فى الاراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ومع ذلك فالفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين لامره فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لاحد الفريقين المتحاربين فاذا عرفونا بالاكثر تسارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر وان جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وأكحل وأحمر وان كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار وان كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا تنصب صناجق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والائمة انهم يلازمون وظائفهم وعلى كل أحد من أهالى البلد أن يبقى فى مسكنه مطمئنا وتكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريون باجمعهم ينبغى أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية وعلى المشايخ فى كل بلد أن يختموا حالا على جميع الارزاق والبيوت والاملاك التى للمماليك وعليهم الاجتهاد التام أن لا يضيع أدنى شئ منها وفى التاسع والعشرين من محرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر

عبد الرحمانه وهربوا الى البحر والتقوا عند بنبل وحملت عساكره بطيئ
وقدر الله ان المسلمين هزموا الفرنساوية من ادنبلو ومعه الى الصعيد وفر ابراهيم بك
ومن معه في [illegible] المشرقي الى الشام وقتل لم ع فقال كثيرا واعتاقهم ماوسيهم من
طلائع العساكر بعد لم يقتل الا القليل من الفرنسيين وكان مراكب في
البحر لمراد بك فاحرقت ما فيها من الحجانة والآلات والذخيرة واحرق نهار شنبر
الطنبه واحرق ما فيها من البحارين فلما رأى ذلك مراد بك دخل الى الجيزة وول
منهزما وترك الاثقال والمدافع التي في البر بعد العساكر وركب ابراهيم بك
الى ساحل بولاق طرف البر الشرقي ورجع الناس منهزمين طالبين مصر واجتمع
المشايخ والعلماء ورؤوس الناس يتشاورون في هذا الحادث العظيم فاتفق رأيهم على
عمل متاريس من بولاق الى شبرا ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بك وكشافه
ومماليكه وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث يجتمعون بالازهر كل يوم
ويقرؤن البخاري وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ الطرائق واشايرهم كذا
أطفال المكاتب ويذكرون اسم اللطيف وغيره من الاسماء ويوم الاثنين حضر
مراد بك الى انبابه وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة الى بشتيل وتولى ذلك
هو وصناجقه وأمراؤه وكان معه في ذلك علي باشا الطرابلسي ونصوح باشا
وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة ارقفوها على ساحل
انبابه وشحنوها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربي والشرقي مملوأين بالعساكر
والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك
فانهم من وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت
الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد واستمروا طول
الليالي ينقلون الامتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم وأرسلوا البعض منها
لبلاد الارياف وأخذوا أيضا في تشهيل الاحمال واستحضار دواب للشيل أسباب
الارتحال فلما رأى أهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع واستعد
الاغنياء أولو المقدرة للهرب ولولا أن الامراء منعوهم من ذلك لما بقي بمصر منهم

أحد وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس فاغلق الناس الدكاكين والاسواق وخرج الجميع لبولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خراب أو مسجد ويرتبون أمرهم فيمن يصرف لهم ما يحتاجون اليه من الدراهم التي جمعوها ويحصلون ... من الناس يتطوع على بعض في الانفاق ... الناس من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والا كل ونحو ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم فلم يشح أحد في ذلك الوقت بشيء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الاشائر بالطبول والزمور والاعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون باذكار مختلفة وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الى القلعة فأخرج بيرقا كبيرا اسمته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك وأما مصر فانها صارت خالية الطرق لاتجد بها سوى النساء في البيوت وضعفاء الرجال الذين لا يقدرون على الحركة وعلا سعر البارود والرصاص جدا بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين نصفا وعلا ثمن أنواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق وجلس مشايخ العلماء بزاوية على بيك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله تعالى بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضي هناك الى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكانا ولا مأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب الجيزة والجيرة

والصعيد والجيزة والعربان وأولاد علي والهنادي وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع
ويعظم الهول وتنمو الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل
الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد وانقطاع الطرق وتعدي الناس
بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم وكذلك العرب أغارت
على الأطراف والنواحي وتعدت الأشقياء على البلاد وقتل بعضهم بعضا ونهب
بعضهم بعضا وصار قطر مصر من أوله إلى آخره في قتل ونهب وإخافة طريق
وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي
لا يحصى وطلب أمراء مصر تجار الإفرنج الذين بمصر وحبسوهم في القلعة وفي
بعض أماكن غير القلعة من بيوت الأمراء وصاروا يفتشون في محلات الإفرنج
على الأسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام
والكنائس على الأسلحة والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم
الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت هذه الفتنة وفي كل يوم تكثر
الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يقصدون مجيئها
فمنهم من يقول إنهم واصلون من البر الغربي ومنهم من يقول إنهم واصلون من
الشرقي ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين وليس لأحد من الأمراء همة أن
يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل قربهم ووصولهم إلى فناء مصر بل
كل من إبراهيم بك ومراد بك جمع عساكره ومكث في مكانه لا ينتقل عنه ينتظر
ما يفعل بهم وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير وإهمال
أمر العدو ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيس إلى الجسر
الأسود وأصبح يوم السبت فوصل أم دينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند
والرعايا والفلاحين المجاورين بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة
عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعيمهم ورفاهيتهم مختالون في
ريشهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون في رؤيتهم مغمورون
في غفلاتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن

بالفرنسيس أن يأتوا من البر بل أشيع ذلك فلم يأتوا الا من البر الغربي ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتقيل بلدة مجاورة لانبابه فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس وكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس بنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى المرتيقان وقتل أيوب بيك الدفتردار وكثير من [illegible] منهم وتبعهم طابور من الافرنج نحو الستة آلاف وكان رئيسهم الجنرال بونابارته لكنه لم يشهد الوقعة بل حضر بعد الهزيمة كان بعيدا عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى المرتيقان بالمدافع وكذلك العسكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الارنؤد من دمياط وطلعوا الى انبابه وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال صاح العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفعوا الاصوات بقولهم يارب يالطيف ويارجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم ان الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الصوت والصراخ والنباح فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الأمراء والاجناد من العرضي الشرقي ومعهم ابراهيم بيك الوالي وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب فتزاحموا على المعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جدا فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين هذا ولريح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه مع شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه ثم ان الطابور الذي تقدم لقتال مراد بيك انقسم على تراتيب معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتابعة

والمدافع ترمى واشتد هبوب الريح واشتد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الاسماع من توالى الضرب حتى خيل للناس ان الارض زلزلت زلزالها عليها سقطت واستمر الحرب والقتال نحو ثلث ساعة ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربى فغرق الكثير من الخيالة فى البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع ذلك مع ستر تحت الجيش المارديس وفر مراد بك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله فى مقدار ربع ساعة ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية وبقيت القلل والبنادق والاسمنة واقفة والفرس ملقا على الارض متراسا تحت الارض وألقى كثير نفسه فى البحر ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت قيامتهم وعظمت وركب فى الحال ابراهيم بك والامرا والعسكر والرعايا وتركوا جميع الاثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا فأما ابراهيم بك والامرا فساروا الى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا وذهبوا الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جماعة مائة الخوف والفزع ورجف الفؤاد وهم يضجون بالعويل والصياح ويبتهلون الى الله تعالى من شر هذا اليوم الصعب والنسا يصرخن باعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك وقت الغروب فلما استقر ابراهيم بك بالعادلية أرسل باحد حريمه وكذلك من كان معه من الامراء فأركبوا النسا على الخيول والبغال والحمير والجمال والبعض ماشيا كالجوارى والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض هو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الاكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة متسلا للقضا متوقعا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما يصعبه على حمل عياله وأطفاله ويشرف به عليهم فى الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الامور والذى لم يزعج قلوب الناس بالاكثر أن فى عشا تلك

الليلة شاع في الناس ان الافرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة وان أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان السبب في هذه الاشاعة ان بعض عسكر مراديك الذين كانوا في العليون بالمرسى اسانا لما تحقق الكسرة أضرم النار في العليون الذي هو [illegible] وكذلك مراديك لما رحل من الجيزة امر [illegible] العليون [illegible] حيالة قصره ليصحبه معه الى الجهة القبلية [illegible] مشوا به قليلا فوقف في الطين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجباخانة فأمر بحرقه أيضا فلما صعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا ان أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا وازدادت غمامهم فيهم من الفزع والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الاشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عاين العامة والرعية ذلك واشتد ضجرهم خوفوهم وتحركت عزائمهم للهرب واللحاق بهم والحال ان الجميع لا يدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الاعرج أو البغل الضعيف باضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الاحد وصبحها وأخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيأ كثيرا يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التي خرجت من مصر في تلك الليلة أضعاف ما بقي فيها بلا شك لان معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأهل المقدرة أخرجوا أيضا ما عندهم والذي أقعده العجز وكان عنده ما يعجز عليه حمله من

لنترتب لهم ديوانا ينتصب من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الامور والمرجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم وقال لهم أنتم المشايخ الكبار فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال لأى شئ يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحة كم ومصلحة الرعية واجراء الشريعة فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والامان ثم انفصلوا من عسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر واطمأن برجوعهم الناس وكانوا فى وجل وخوف على عيالهم وأصبحوا فأرسلوا الامان الى المشايخ فحضر شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية وأما عمر افندى نقيب الاشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر وكذلك الروزنامجى والأفندية وفى ذلك اليوم اجتمعت الحمدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك وأحرقوهما ونهبوا أيضا عدة من بيوت الامراء وأخذوا مافيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الاثمان

﴿ ذكر دخول الفرنسيس مصر ﴾

وفى يوم الثلاث عدت الفرنساوية الى مصر وسكن بونابارته بيت محمد بيك الالفى بالازبكية الذى أنشأه الامير المذكور فى السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكناه حصلت هذه الحادثة فخرج منه وتركوه بما فيه فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف بالناصرية وسكن الباقون بالازبكية كما ذكر واستمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ومشوا فى الاسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريالا فرانسى ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك من السكر والصابون والدخان والبن وصاروا

يبيعون لهم بما أحبوا من الاسعار ووقع غالب السوقة الحرافيش والعيارين وأطراف
الناس ﴿ ذكر ترتيب ديوان لفصل الحكومات ﴾
وفي يوم الخميس ثامن عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عندهم
بمقام سر عسكر فلما حضروا انتخبوا منهم في بعض عشر أنفار من المشايخ للديوان
وفصل الحكومات فوقع اختيارهم على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ خليل
البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ محمد المهدي
والشيخ موسى السرسي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ أحمد العريشي
والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي وحضر ذلك المجلس أيضاً
مصطفى كتخدا القاضي وقلدوا محمد آغا المسلماني أغات مستحفظان وعلي آغا
الشعراوي والي الشرطة وحسن آغا محرم محتسب وذلك باشارة أرباب الديوان
فإنهم كانوا امتنعوا من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفوهم أن سوقة مصر لا
يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت
القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذا الفقار كتخدا بك
كتخدا بونابارته وسأل أرباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت
فقالوا هذا فعل الحرافيش وأوباش الناس فقالوا الآن نحن نسألكم ذلك المسروق
أو ضمانه ثم حفظ السوق والحكم عليها فقالوا وهذا أمر لا قدرة لنا على فعله وإنما ذلك
وظيفة الحكام ثم أمروا بالنداء بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق ولم يفتح من
البعض فلم يسمعوا ولم يفتحوا واستمر غالب الأسواق والدكاكين مقفلة والناس غير
مطمئنين ووقع الفرنسيس تفتيش البيوت المملوكة التي للأمراء وختموا
وأخذوا منها أشياء وخربوا أماكنها وتركوها موحشة ثم صاروا يخرجون بالمحيا
طائفة الحمدية يتأملون مقامهم أن عسكرهم صاروا يدخلون المدينة شيئاً فشيئاً
حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا في البيوت ولم يشوشوا على الناس
ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها وعمدوا أيام ظلوا واستلموا جميع الغلال
من النار فأخذوا في حملها بعد ما هدموا في بعضها ولم يعملوا ونادوا بالأمان

لنساء الامراء وأمروا كل من عندها شيء من مصاغ ومجوهرات أن يأتي به ووصلت المرادية عن نفسها وأتباعها من نساء الامراء عشرين الف ريال واستمر حوامن الحمايا شيأ كثيرا ثم طلبوا من أهل الحرف والاسواق مبلغا من المال يعجزون عنه فاستغاثوا بالمشايخ وتشفعوا عندهم فاطمعوهم واتباع وقت مولد النبي صلى الله عليه وسلم أمروا بعمله على المعتاد وعملوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال [illegible] وجاء مصرا كتب الدين [illegible] وحاربت [illegible] الفرنسيس وأسرفوا منهم كثيرا واستمر أياما ثم ذهبوا وأما ابراهيم بك ومراد بك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم وفي شهر ربيع الثاني طلبوا من الناس حجج أملاكهم وقيدوها عندهم ووضعوا عليها قدرا معلوما من الدراهم وأمروا المشايخ أن يكتبوا للسلطان كتابا مضمونه الثناء عليهم وحسن سيرتهم وانهم من المحبين للسلطان وانهم محترمون للقرآن والاسلام ومسلمون وفي عاشر جمادى الأولى جمعوا الناس وقرروا على الاملاك أموالا زيادة عما كان قبل ذلك وهاج عامة الناس ونادوا الجهاد ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ثم صار النداء بالأمان ثم تتبعوا كثيرا ممن كان قائما في تلك الفتنة فقتلوهم وأما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب في نظامات دولتهم فهو طويل لا حاجة لذكره وكذا ما كان يجري من الحوادث والمحاربات أخبار دخول الفرنسيس مصر الى الحجاز قام شيخ عالم مغربي بمكة يقال له محمد الجيلاني واستنفر الناس للجهاد فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقاتلوا من وجدوه من الفرنسيس ولم يقدروا على استخلاص الأقطار المصرية منهم فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم ثم جهز الفرنسيس جيشا لمحاربة أحمد باشا الجزار في عكا فملكوا كثيرا من قرى الشام وحاصروا أحمد باشا في عكا ثم عجزوا عن أخذها فارتحلوا عنها وأجروا عمل ما يعتاده أهل مصر من مولد السيد احمد البدوي وغيره على حسب المعتاد وكذا اخراج المحمل والحج وحصل بينهم وبين أهل الارياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم وصاروا يتبعون الامراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به وحضرت مراكب الى السويس فيها أموال وبضائع للشريف غالب

عسكر الفرنسيس فقتل بينهم شخص فرنساوي فثار من ذلك فتنة ثم قتلوا ستة أنفار كانوا سبب الفتنة وسكنت لكن لم تطب نفوس الفرنسيس ثم ان الفرنساوية طلبوا ثمانية أيام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها فأعطوهم مهلة ثمانية أيام وحصنوا خلف عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا الى شبرا وترددوا الى القلاع ... بحيث لا يعرف بها أحد وشرعوا باجتهاد في رد الجبخانة بالذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع واجتهدوا في ذلك ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك وأشيع أن الوزير اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا اضطر وانتظاهر الغدر وكان الفرنساوية عندما رأسلوا وترددوا الى جهة العرضي تفرسوا في عرضي العثمانيين وعسكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة بنقص الصلح والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأتقنوا من أبقوه بها من عساكرهم خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة بجهة قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي ولم يبق منهم بالمدينة إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الالفي وبعض بيوت الازبكية وغلب على ظن الناس أنهم ربروا للرحيل فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال ركب صاري عسكرهم قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير فمنهم من توجه الى عرضي الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم بالمدافع فلم يسعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلعوا الى جهة مصر فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين الى جهة العرضي بعد أن نهبوا ما في عرضي ناصف باشا من المتاع والأغنام وسمر وا أفواه المدافع التي لنصوح باشا وهو ناصف باشا وتركوها وساروا الى جهة العرضي فلما قاربوه أرسلوا للوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية في أثره وعساكره متفرقون ومنتشرون في ... بلاد القرى والنواحي لجمع المال وظلم الفقراء وأما أهل مصر

الفرنساوية المدافع والسب على البلد من القلاع و والوا الضرب فأجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الاقوات لان غالب قوت أهلها يجلب من قراها كل يوم بيوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج وغصت الطرق بالازدحام عند الخروج وازدحم الناس بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال وركب الناس بعضهم بعضا ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف مالا يوصف وأناس من أهل خان الخليلى اووا الى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وأغلقوا باب النصر وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وأزقة الحارات فلما أصبح يوم السبت تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ماعدا الضعيف الذى لاقوة له على الحرب وذهب المعظم الى جهة الازبكية وسكن الكثير فى البيوت الخالية والبعض جاء المتاريس وأحدوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع من حديد وأحجار استعملوها عوضا عن القلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالازبكية ثم فرقوا الناس فى أطراف البلد والمتاريس للاحتراس وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى ذهب به الى كتخدا او أحد المشايش فيحبس البعض ويقتل البعض وأحضروا الحدادين لانشاء مدافع وجعلوا معملا لعمل البارود والقلل وغير ذلك من المهمات واهتموا لذلك اهتماما زائدا وأنفقوا أموالا جمة [illegible] تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وماوالاه وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضى ووصل الى الصالحية تكلموا معه فى الرجوع فاعتذر بعدم الاستعداد ثم ساروا الى الشام ورجع طائفة من عسكر الفرنساوية الذين ساروا خلف الوزير الى أصحابهم الذين بمصر نجدة لهم فقويت بهم نفوسهم ووقف جملة منهم بباب النصر ومنعوا الداخل والخارج وذلك كله بعد مضى ثمانية أيام من ابتداء الحركة

ووطنوا الحال الى الله وأحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم وعظم الكرب
وأكثروا من الرمي بالمدافع على السور من القلاع ونصب الاوراق وارتفعت
الاسعار وهلكت البهائم ويبست السوق وكثر صريخ النساء والصغار وفي كل
مساء يهجم الفرنساوية الذين هم خارج البلد على جهة من جهاتها ويقتتل
ويملكون بعض المتاريس واستمر الحال الى عشرين أيام فترددوا الرسل للصلح
فقال الفرنساوية لابد من خروج العثمانية من مصر ويعطونهم ما يحتاجون من
المؤونة حتى يصلوا الى جهاتهم وخرج اليهم الشيخ الشرقاوي والمهدي والفيومي
والسرسي وغيرهم وعقدوا الصلح على ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام ونقلوه
عساكر الانكشارية العثمانية وسائر الناس قاموا على المشايخ وسبوهم وضربوا
الشيخ الشرقاوي والسرسي ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا
يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وانهم
أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغاء بمثل ذلك من الفضول
فأرسلوا للفرنسيس ان الباشا والعساكر والناس لم يرضوا بالصلح ثم جاء مطر
شديد وتوحلت جميع السكك فاستعمل الناس هبيب الماء والأوحال فاغتنم
الفرصة الفرنسيس وهجموا على مصر وبولاق من كل ناحية وحملوا فتائل
بالزفت والقطران وكعكات علفة ملوية مغموسة بالنفط ملوية على أعناقها
مسرجة بخطرات تشعل وتقوى لهبا وبادروا بالمدافع والمنارات من القلاع
وصاروا يهجمون وأمامهم المدافع وخلفهم بواردية يرمون البندق المتتابع
وطائفة بأيديهم الفتائل المشتعلة بالنيران يلقون بها السقائف
والحوانيت وشبابيك الدور ويرجعون على هذه الصورة شيئا فشيئا والمسلمون
قد لواحقهم وقاتلوا بشدة وزلزلوا الارض الاشداء وصرخت النساء والصبيان
وبطلوا من الحيطان والنيران أخذتهم من كل جهة والامطار متوالية بالليل والنهار
وفعل ذلك كانت بولاق لم يبق منها شيء من ذلك لانهم في آخر الامر سلموهم وتركوا
بلادهم وأخذوا أموالهم وسلبوا حريمهم ودارهم والحاصل ان هذه الفتنة قد

شاهد الناس فيها من الهول ما يشيب منه النواصى وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة واحترقت الابنية والدور والقصور وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالخذلان فصعدوا بأنفسهم الى الجهة القبلية ثم أحاطوا بالبلد واستولوا على الخانات والوكالات والحواصل والصنائع والودائع وملكوا الدور وما بها من الامتعة والاموال والنساء والخاوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور وكان جماعة من المسلمين فى هذه الفتنة يداهنون الفرنسيس وأخذوا منهم أمانا وهم مع المسلمين بالطبع المسلمون عليهم فأخذوهم وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا بعضهم واتهموا الشيخ السكرى بموالاة الفرنسيس وأنه يرسل اليهم الاطعمة فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة فنهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فاحشا فلما مثلوه بين يدى الكتخدا أهاله ذلك واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره وأخذه أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الفتنة وكان جماعة من الامراء والرؤساء يداهنون ويميلون من الفرنسيس الى المسلمين ومن المسلمين اليهم يسعون فى الصلح بين الفريقين واستمر الحال الى السادس والعشرين من الشهر حتى هلكت الناس وتمواد حول الفرنسيس وخروج العثمانيين ثم تم الصلح على وقف الحرب وشرط العثمانيين بعد مهلة ثلاثة أيام ثم خرجوا وارتحلوا وزودهم الفرنسيس وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك وخرج أيضا ابراهيم بيك وأمراؤه ومماليكه وخرج معهم بعض الرؤساء منهم نقيب الاشراف والمحروقى رئيس التجار سنة ١٢١٥ وأما مراد بيك فكان بالصعيد وكان قد انعقد بينه وبين الفرنسيس صلح ومهادنة وكانت مدة الحرب والحصر بالثلاثة الأيام المهلة سبعة وثلاثين يوما وقع فيها من الحروب والكروب وعظائم الامور ما لا يحيط به الا الله تعالى ودخل الفرنسيس مصر وضبطوها فى أوائل

ذي الحجة سنة خمس عشر وأمنوا الناس واستولوا على ما كان اصطنعه العثمانيون وأعدوه من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب وركب الباشا في عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس فلما جلسوا أبرز لهم ورقة مكتوب فيها النصر لله الذي بيده أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس وبنا على ذلك بونابرت عسكر أن يعم بالعفو العام على أهل مصر ولو كانوا يخالطون العثمانيين في الحروب ويأمرهم أن يشتغلوا بأعمالهم وصنائعهم ثم يدخلون بالحضور الى قبة النصر بكرة تاريخه ثم قاموا من عنده وسعوا المدن وطافوا بالاسواق ونادوا بهم المنادي للرعية بالاطمئنان والامان فلما كان الغد ذهبوا الى قبة النصر وصنع لهم سماطا عظيما اصنافه وترتيب البلاد ثلاثة أيام ثم بعد أيام أمرهم بالحضور بدار الازبكية فلما وصلوا اجلسوا ساعة طويلة في الديوان الخارج ثم أدخلوا وجلسوا ساعة فخرج اليهم سر عسكر وصحبته ترجمانه وجماعة من أعيانهم ووضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان وتكلم سر عسكر بكلام طويل بلسانهم فالتفت الترجمان وأخبرهم بما قاله سر عسكر وملخص ذلك القول أن سر عسكر يقول انا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا الى أهل العلم أسعد الناس والناس يقتدون بهم ولامرهم يمتثلون ثم اننا كم أظهرتم لنا المحبة والمودة ووجدنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الامور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وعمرناه بالاحسان وخصصنا لكم الخلع والجوايز وجعلنا كم مسموعين القول مقبولين الشفاعة وأوهمتمونا ان الرعية لكم منقادون ولامركم ونهيكم يرجعون فلما جاء العثملي فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وسعيتم عند ذلك بنافقكم لنا فقالوا له نعم ماقام مع العثملي الا من أمركم لانكم عرفتمونا انكم دخلتم في حكم العثملي ان البلاد والاموال صارت له وحضر صار هو سلطاننا العظيم وسلطان المسلمين وشعرنا بالاتحاد من هذا الحادث يسكن ويدبهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا وسطهم فلم تكن التخلف عنهم فقال لهم لاي شيء لم تمنعوا الرعية عما فعلوا من قيام

ومحاربتهم فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا وسمعتم مافعلوه
معنا من ضربنا واهانتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح فقال لهم واذا كنتم لا يمكنكم
تسكين الفتنة فما فائدة رياستكم وأي شيء يكون نفعكم وحينئذ لا يأتينا منكم الا
الضرر لانكم اذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم واياهم علينا واذا ذهبوا رجعتم
الينا معتذرين فكان جزاؤكم القتل وحرق البلاد وسبي الحريم والاولاد كما فعلنا
بأهل بولاق ولكن حيث أعطيناكم الامان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما
نأخذ منكم الاموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك عن كل فرنك
ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسه عنها خمس عشرة خزنة رومي
ثلاث عشرة خزنة مصري منها خمسمائة ألف فرانسه على مائتين على شيخ
السادات خاصة من ذلك خمسمائه وخمسة وثلاثون ألفا وعلى الشيخ الجوهري
خمسون ألفا وعلى أخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا وعلى الشيخ مصطفى الصاوي
خمسون ألفا وعلى الشيخ العنان مائتان وخمسون ألفا حملوا ذلك عليه وعلى
الفارين مع العثملي مثل السيد عمر مكرم نقيب الاشراف والمحروقي وما بقي من
المبلغ المطلوب تقررونه وتوزعونه على أهل البلد وتتركوا عندنا منكم خمسة عشر
شخصا انظروا من يكون منكم عندنا رهينة حتى توفوا ذلك المبلغ وقام من كرسيه
من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب ووقفت الحرسية
على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت
وجوههم ونظروا الى بعضهم وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الامر الا
البكري والمهدي لكون البكري حصل له ما حصل في حادثتهم والمهدي كان
يداهنهم وحرق بيته برأي منهم ولم يكن فيه الا الحصر لانه كان قد نقل ما فيه بداره
التي في الخرنفش ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل واحد منهم أنه لم
يكن شيئا مذكورا ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم
على ثيابه وبعضهم شرشر بوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصارى
القبط ويقعون في عرضهم فالذي كان معهم ولم يكن معدودا من الرؤساء خرجوه

من يشتري الاثاث والفرش والملبوس بأبخس الاثمان ودفعوا لهم أيضا جميع ما يملكون من البغال والخيل والحمير ومنعوا المسلمين من ركوبها سوى خمسة أنفار وهم الشرقاوي والمهدي والامير والفيومي وابن محرم وتطاولت النصارى من الشوام والقبط على المسلمين بالضرب والشتم وفي كل وقت يشتد الطلب وتلبث المعينون والعسكر في طلب الناس وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلهم وحبسهم وضربهم والذي لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو جاره أو يهبون داره فان لم يجدوا شيأ ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته وبالوا من الناس أغراضهم وأظهروا حقدهم وصاروا يصرحون بانقضاء ملة الاسلام وأيام الموحدين عدا والكتبة والمهندسون والمساحون يطوفون ويحررون أجرة الاملاك والعقارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها وخرج كثير من الناس من المدينة وأخلوا عنها وهربوا الى القرى والارياف واستمرت الحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والمصائب عميمة والمطالب عظيمة والامر عظيم والخطب جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد﴾ واستمر شيخ السادات محبوسا الى غاية شهر صفر من سنة خمس عشرة فأفرجوا عنه ونزل الى بيته بعد ان غلق الذي عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات جرايته والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وان لا يركب بدون اذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ويقلل اتباعه وفي شهر ربيع الاول من السنة المذكورة نادوا على الناس الفارين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة نهبت داره وأحيط بوجوده وكان من المفسدين واشتد الامر بالناس وضاقت مناقسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته ونزل بالمسلمين الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الاقباط والشوام

والاروام حتى صاروا يأمرون وينهون بالمقام لهم عند من ورثهم ثم تمادوا في ذلك حتى كانوا إذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم إليه بعض الناس على أقدامه رجمه أذية الأعوان وقبضوا عليه وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر بيده أيام في الحبس ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان وأما الأموال المطلوبة فأخذوها وما بقي من الناس الأ واستولوا عليه وما بقي حملوه على الأطيان والفدادين ومسامح القرى والبلدان وحصل ذلك كله بطول ولم يزل الناس معهم في شدة وكرب إلى أن قضى الله ما قدر بأذن بخروجهم وانقضاء دولتهم

﴿ ذكر خروج الفرنسيس من مصر ﴾

في أواخر شوال من سنة خمس عشر ورد الأمر من مولانا السلطان سليم بالظهور إلى مصر براً وبحراً أما العساكر التي من البر فهي تبعه يوسف باشا وأما التي في البحر فتعهدت به الانكليز ثم في أوائل ذي القعدة ورد جماعة من الانكليز بمراكب إلى ثغر الاسكندرية وطلع جماعة منهم إلى البر وحاربوا أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنسيس ثم في أول ذي القعدة جاءت الأخبار إلى الفرنسيس بمصر بأن يوسف باشا وعساكره وصلوا إلى العريش فجمعوا المشايخ والأعيان بمصر وقالوا لهم انه يجب المسلمين وعمل اليوم بالطبع وخصوصاً العلماء أهل الفضائل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يجب لهم إلا الخير لكن سياسة الأحكام تقتضي بعض الأمور المخالفة للمزاج والآن بلغنا أن يوسف باشا وعساكر العثمانية تحركوا إلى هذا الطريق فلزم الأمر لعزل بعض الأعيان وذلك من قوانين الحرب عند سائر وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك فليس إلا الاعزاز والاكرام أينما كنتم ثم انفض المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوي والشيخ المهدي والشيخ الصاوي والشيخ الفيومي فأصعدوهم إلى القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرمين وكان هؤلاء الأربعة من أهل الديوان المرتب في مصر لفصل القضايا وكان منهم في الديوان الشيخ الأمير والبكري والسرسي فأبقوهم في الديوان على حالهم السابق ثم وقع حرب أيضا

بالاسكندرية في البر بين الانكليز والفرنسيس في الرابع عشر من ذي القعدة وكانت الهزيمة على الفرنساوية وقتل منهم كثير وانحازوا الى داخل الاسكندرية وأرسل الفرنسيس من كشف عن متاريس الانكليز فوجدوها في غاية الوضع والاتقان ثم وقع قتال آخر فقتل فيه من الفرنسيس خمسة عشر ألفا ثم طلبوا عساكر من مصر نجدة لهم فأطلق الانكليز جسور المياه المالحة حتى أغرقت طرق الاسكندرية وصارت جميعا خماء ولم يبق لهم طريق مسلوك الا من جهة العجمي الى البرية وتترس الانكليز قبالهم من جهة الباب العربي ووقع في مصر في هذه السنة طاعون مات فيه خلق كثير منهم مراد بيك مات في الصعيد رابع ذي الحجة من السنة المذكورة وكان قد اصطلح مع الفرنسيس وأعطوه أمارة الصعيد وهو من مماليك محمد بيك أبي الذهب ومحمد بيك مملوك على بيك وعلى بيك مملوك ابراهيم بيك كتخدا اشترى مراد بيك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم أعتقه ورقى عنده وأكرمه وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه ولما انفرد سيده محمد بيك بامارة مصر كان مراد بيك وابراهيم بك أكبر الامراء المشار اليهما دون غيرهما واتسعت لهما الاموال والاملاك والضياع ثم لما مات محمد بيك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف صارت الرئاسة في ملك مصر لهما ولكن كان ابراهيم بيك مقدما وكان مراد بيك منعكفا على اللذات والملاهي وكان لكل منهما مماليك وهم الصناجق والامراء وكانت وفاة ابراهيم بيك بدنقله سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف

﴿ ذكر ما كان من استعداد الفرنسيس ﴾

في خامس المحرم من سنة ست عشرة ومائتين وألف أكثروا من نقل الماء والدقيق والاقوات الى القلعة بمصر وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر والمدافع ونقلوا الاسوار والبيوت من الفرش والامتعة والاسرة الى القلعة ولم يبقوا بالقلاع الصغار الا مهمات الحرب وطلبوا الرياتين وألزموهم بمائتي قنطار زيت وسمن واجملة من حوانيتهم لتحصيل ذلك واجتهدوا في وضع متاريس خارج البلد وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه

الخيرة فلا ينزعجوا من ذلك فانه سنلك وعيد لبعض أكابرهم وأمروا ان يجتمع بالديوان في الغد الاعيان والتجار وكبار الاختياط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فكان كذلك وفي غاية شهر محرم جاءتهم الاخبار بأن الوزير وصل الى الشلقان وكذلك عساكر الانكليز فجمعوا المشايخ بالديوان وأعلموهم أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فيلزم اعتقادكم ذلك وأركروه في أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ولا يغركم هؤلاء القادمون وقربهم فانهم لا يخرج من أيديهم شئ أبدا وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والفتن والعثمانلي معتز بهم فان الفرنساوية كانت من الاحباب الخلص للعثمانلي فلم يزالوا حتى أوقعوا بينهم العداوة والشرور وان بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينه وبين الفرنساوية طريق مسلوكة من البر لا نمحى اثرهم وانمحى ذكرهم من زمان مديد وتأملوا في شأنهم وأي شئ خرج من أيديهم فان لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا الينا والفرنسيس عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوما فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط * وفي ثالث صفر وصلت عساكر العثمانيين وانتصبوا الى العادلية في الجهة الشرقية والى امبابة في الجهة الغربية وجرى القتال بينهم وبين الفرنسيس وكان النصر لعسكر السلطنة العلية ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيس من مصر وتسليمها الدولة العلية فتجهزوا وخرجوا آمنين في أواخر صفر ولما انعقد الصلح أطلقوا المشايخ الذين كانوا بالقلعة رهائن وهم الشيخ الشرقاوي والمهدي والصاوي والفيومي وكانت مدة حبسهم في القلعة نحو مائة يوم وسافرت عساكر الفرنسيس على رشيد وأبي قير ودخل الوزير يوسف باشا مصر في التاسع والعشرين من شهر صفر في موكب حافل وكانت مدة تملك الفرنسيس مصر ثلاث سنين وشهرا قال الشيخ الشرقاوي في تاريخه وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم فرقة من الملاسفة الاباحية الباطنية يقال لهم نصارى كاثوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا

الاعظم وكان مكث بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر سنة أشهر ثم ذهب لقتال أحمد باشا الجزار بعكا ثم توجه الى بلاد الفرنسيس وجعل له نائبا منهم بمصر ولما وصل بونابرته الى بلاد الفرنسيس ويقال له نابليون استعانوا به فى اصلاح خلل كان حاصلا ثم ساق جيوشا لمحاربة ايطاليا والنيمسا وانتصر عليهم * وفى سنة تسع عشرة ومائتين وألف أقاموه امبراطورا على فرانسا كافة وسن الغارات على دول أوروبا وحارب الروسية والنيمسا والانكليز والروسية ووقائعه طويلة أفردت بالتآليف ثم تجمعت جميع ملوك أوروبا واتفقوا على حرب فرانسا فأصاب فرانسا من ذلك شدائد عظيمة وسئموا من كثرة الحرب فاتفقوا على خلع بونابرته ودعوا الوزير الثامن عشر ليملكوه عليهم فلما علم ذلك بونابرته استعفى وذلك سنة ثلاثين ومائتين وألف فملكوا الوزير الثامن عشر وأعطوا بونابرته جزيرة الالب ليملك عليها ثم بعد سنة أتى باريس فهرب الوزير الثامن عشر وعاد الى انكلترا فنهضت الدول لمحاربة بونابرته واعادة الوزير الى ملك فرانسا وجرت أمور يطول ذكرها وآخر الأمر تنازل عن الملك الى ابنه فلم تقبل الدول المتحدة أن يتبوء الملك أحد من سلالته فذهب بونابرته الى رشفورت وطلب من حكومة الانكليز أن تقبله ضيفا فى بلاده فأجابته أولا الى ذلك فركب الى أحد المواني الانكليزية وقبل أن ينزل الى البر أرسلت اليه الحكومة الانكليزية تخبره أنه أسير الدول المتحدة ثم شيعوه الى جزيرة هيلانه فبقى أسيرا الى أن هلك سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف وعمره أربع وخمسون سنة ولنرجع الى اتمام الكلام على ما كان فى بقية زمن السلطان سليم

﴿ ذكر خلع السلطان سليم ﴾

سبب ذلك أنه كان السلطان سليم زعم أن يلاشى وجاق الانكشارية ويقيم مكانه عسكرا جديدا على الطريقة الافرنجية لأن الانكشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم فى العام الماضى بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من ذلك وأثاروا فى القسطنطينية شغبا

عظماً طول الكلام بذكر واعتبروا عبثه واحد وكان مؤداه فالهم على منع
النظام الجديد عطا الله افندي شيخ الاسلام وقائمقام صدر أعظم فتوى أمر بها
وقال لهم انه لا يجوز أن يكون عساكر الاسلام متشبهة بالكفار وحيث احدثوا
النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار فتوثب هذه الحجة في صدورهم ووثبوا
سريعاً لملاشي النظام الجديد وشتم من الوزراء الذين أفسدوا واظهار الايمان
بأفعالهم الشنيعة وتحالفوا على ملاشاته وحاقت العساكر الانكشارية الذين هم
أعمدة مملكة الدولة العلية وبتمهيد الحديث أخرجوا ورقة فيها أسماء بعض
أشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم أرسلوها اليهم المفتي عطا الله افندي
فأجيدوا سلوكها وسموا الاشخاص الذين يريدون قتلهم ثم ساروا يفتشون
على أولئك الاشخاص فوجدوا بعضاً منهم فقتلوهم واختفى كثير من أولئك
الاشخاص في بيوت النصارى واليهود وقتلوا خلقاً كثيراً وأحضروا سبعة
عشر رأساً من أعظم رجال الدولة وكان الدم جارياً في القسطنطينية ثلاثة أيام ثم
هجموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه لخلعه وصاروا يقولون بأنه ما
السلطان المعروف بهذه العالم بسبب أنك أمير المؤمنين وعوضاً عن اتكالك
على الله القادر العليم الذي شتت بدفعة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت
أن تشبه الاسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير
المؤمنين وحامي الدين فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك
والمملكة أصبحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتعمل على كل شيء يشرف
الايمان وسلامة الاسلام ثم بعد كلام كثير صار قراءة الفتوى التي مضمونها أن
السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب
كلا ثم قال القاري قد صار معلوماً عندكم أنه يجب عزل السلطان فأقول لكم الآن
هل تسلمون له أن يعمل ما يخل بالاسلام فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله
سلطاناً علينا فليعزل وصرخوا باسم السلطان مصطفى ابن السلطان عبد الحميد
وقالوا ليعش السلطان مصطفى وأرسلوا المفتي للسلطان سليم ليتنازل عن

السلطنة من دون مقاومة فدخل عليه متذللا مخفض الرأس قائلا يا مولانا انى قد
حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان وليس خافيا
على مسامعكم الشريفة أن العساكر الانكشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى
ابن عمك سلطانا عليهم فالآن لا سبيل الى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل
شيء ولم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث وقبل كلام المفتي ونزل عن
السلطنة وكان ذلك في أحد وعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين
ومائتين وألف فمدة سلطنة السلطان سليم ثماني عشرة سنة وثمانية أشهر واذا كان
ذاهبا ليختلي في مكان منفرد في السرايا التقى بالسلطان مصطفى قادما ليجلس
مكانه على تخت السلطنة فقال له يا أخي أعطى الله من العرش العتيد لان تجلس
عليه أنت لأني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين وصلاح حال
العسكر الذين جهلوا انعامهم وتركوا قوانينهم فهاجت على العساكر مع بعض
رجال الدولة وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تخت السلطنة ونادوا باسمك
وها أنا ماض بكل رضا أعيش منفردا وأما أنت فانك سعيدا أكثر مني فارغب
اليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى فلم يصغ السلطان مصطفى لكلام
السلطان سليم وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من معانقته فلما وصل
السلطان سليم الى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود أخا
السلطان مصطفى ما كثا في ذلك الموضع عليه آثار الرقة والسذاجة وعندما شاهد
السلطان سليم التقاه فقبل يده دارفا دموعا غزيرة فحرك السلطان سليم الى
البكاء وجلسا في ذلك الموضع وطالما كانا يتحدثان دائما بالأمور المشيدة
أركان الدولة والدين هذا ما كان من أمر السلطان سليم والسلطان محمود

﴿ ذكر ولاية السلطان مصطفى بن عبد الحميد ﴾

وأما السلطان مصطفى فانه بوصوله الى امام أولئك العساكر فرحوا به فرحا
عظيما وأجلسوه على تخت السلطنة وبسبب هذه الحادثة العظمى والفتنة الطاماء
حصل الخوف لجميع أهل القسطنطينية وقفلت الحوانيت ووقع الرعب في قلوب

الجميع ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المدن باسمه وبعد ذلك تقدم المفتي شيخ الإسلام وقائمقام موسى باشا الى الخروج الى كاتب حضرة في قصبة آق ميدان وأخبروهم أن السلطان مصطفى قد وعد بإبطال ما كان من بدع السلطان سليم من وضع النظام الجديد وإرجاع العوائد القديمة فأسمع الجميع هذا الحديث سروا وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الإسلام عطا الله افندي ولما بلغ هذه الأخبار الصدر الأعظم حلمي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش الى حرب لقتال الروسية كما تقدم ذكره لذلك وعصبها سدا باهو ... العساكر وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار فعقدوا صلحا مع الروسية ورجعوا بالعساكر لبيرقدار كواخذ الأمر وأرسلوا العساكر الانكشارية الذين بالقسطنطينية يقولون لهم انهم قادمون لعقابهم وإنما رغبتهم ليطمئنوا بذلك وما دخلوا القسطنطينية الانكشارية وأراد البيرقدار مصطفى باشا إرجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى وطلب ... الصدر الأعظم المساعدة على ذلك فأنكر عليه ذلك مشاورة عواقب الأمور وحبس البيرقدار بمساعدته وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناسا يقتلون السلطان سليم فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهلوه الى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه الى الأرض فهجم جلادهم كالأسد وصرعهم وكان واحدا منهم يعلو الا انه وخنقوه حتى مات ورجعوا به الى السلطان مصطفى سرعة وطرحوه قدام أمامه وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وعمر السلطان سليم كان أربعون سنة ثم أرسل أناسا وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود وكان البيرقدار هجم بعسكره مسرعا لإعادة السلطان سليم فوجده قد مات فأقاموا مكانه السلطان محمود وقال لهم البيرقدار عليكم بهذا السلطان محمود لأنه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان فاجتمعت العساكر بطلب السلطان مصطفى وبحثت عن السلطان محمود

لان السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم بحجر أصاب يده فهرب وصعد على سطوح الحمرايا فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل الى صحن الدار حيث كان البيرقدار وعندما نظر اليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه

﴿ ذكر ولاية السلطان محمود بن عبد الحميد ﴾

ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم وسلمه زمام الاحكام فأخذ يجتهد فى أخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليما ثم شرع فى تنظيم العسكر الجديد وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وانفاذ أوامر السلطان طالبا رأيهم فى ذلك فصادقوه مذعنين لامر السلطان وتعهدوا بالمساعدة فى كل ما يؤول لنجاح المملكة وفى الحال أخذ الصدر الاعظم فى وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين وأضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر وعلقوا أوراقا فى الاسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الاعظم وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد فأخذوهم بغتة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها وانقسم الناس فريقين فريقا يريد التعليم الجديد وفريقا يكرهه وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير وأحرقت دور كثيرة وحاصروا الصدر الاعظم فى الدار التى كان فيها وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيرا منهم ثم ثار عليه صادق بارود وكانت فى داره فمات بسبب ذلك وكان قد أخرج جواريه ونسائه من الدار قبل ذلك فاحيلت الصدارة الى يوسف باشا وكان ذلك فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وعزل شيخ الإسلام عطاء الله افندى وأحيلت المشيخة

الى عرب زاده محمد عارف افندي وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتابا بالعفا كي الانصار به تحرضهم على العسكر وارجاعه الى السلطنة ووقع ذلك الكتاب في يد بعض العلما فذهب به الى شيخ الاسلام فجمع كبار من العلما وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الامور ويتشاورون في اطفا هذه الفتنة وأرادوا ابادة السلطان مصطفى في سد الخنا لا سطى الفتنة فاختاروا رجلا من بينهم يقال له سيف افندي كان نائبا في اسلامبول للعرض على السلطان محمود رأي العلما و بلمس منه قتل السلطان مصطفى فسار سيف افندي الى السلطان محمود عرض عليه ذلك فاجابه السلطان محمود ان هذا أمر جليل وكيف يصدر ان يصدر أمري بقتل أخي مع كوني دائرا على منعه من هذه الاعمال وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة كثيرة في ذلك وقال له سيف افندي في غضون تلك المحاورة قد جا في الحديث الشريف اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما فاسس ذلك على السلطان محمود وحول وجهه الى الشباك حالا ولم يجبه بشي لشدة أسفه على أخيه فقال سيف افندي ان السكوت اقرار ولحال أرسل سيف افندي الى كبير السماحية وقال له ان مولانا السلطان قد صدر أمره الشريف بقتل أخيه السلطان مصطفى فاذهبوا ثم أمره فذهب السماحي باشا ومعه جماعة من أعوانه الى الموضع الذي كان فيه السلطان مصطفى فاحس بهم السلطان مصطفى وعرف قصدهم فاختفى بين فرش كانت هناك فدخلوا فلم يجدوه وراوا امام تلك الفرش جمعة فقلبوا تلك الفرش الى الارض فوجدوا السلطان هناك مختبئا فقتلوه خنقا وكان العلما الذين اجتمعوا عند شيخ الاسلام وارسلوا سيف افندي للسلطان محمود ينتظرون رجوعه اليهم بالجواب فلما أبطأ عليهم ظنوا أن السلطان محمود لم يقبل ما رأوه فتوجهوا جميعا للسلطان ليؤيدوه بما سيف افندي ويعيدوا مقاله فدخلوا على السلطان محمود ملتمسين منه انفاذ ما عرضه عليه سيف افندي فانهوا اليهم حتى دخولهم فقال انه قد نفذ انا الحديث نظر السلطان محمود من الشباك فرأى اخراج جثة أخيه مقتولا

فتألم من ذلك جدا والتفت اليهم وعيناه ممتلئتان بالدموع وقال لهم أسرعوا واهتموا بتكثير الجيوش واحضار المهمات وارسال العساكر لا يهنأ لنا اليوم بحزن عظيم على موت أخي فحينئذ علم العلماء موت السلطان مصطفى فتوقفوا عما كانوا يريدون عرضه عليه وأخذوا يدعون له بطول العمر ويعزونه ويسلونه على فقد أخيه وكان ذلك في شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف فمدة سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة وشهران وعمره ثلاثون سنة ولما استقرت السلطنة للسلطان محمود كانت أمور الدولة في غاية الارتباك والاضطراب فمن ذلك ان عساكر الروسية كانت تتقدم الى جهة الطونة مسرعة فبعث السلطان جيشا عظيما لمصادمتهم فلم يقدر أن يوقف سيرهم فطلبت دولة فرانسا أن تتوسط في الصلح فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه تأثر جدا من الشروط السرية التي عقدها نابليون ملك فرانسا مع اسكندر ملك الروسية في تيلسيت التي من شأنها اقتسام دول أوروبا فيما بينهم حتى بلاد الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسية ومحاربتهم ولكن كانت الغلبة لهم فاستولوا على مدينة شملة وقلعة اسمعيل وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية أشد مضايقة وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة واذا بطالع سعيد بزغ في أفقها وذلك ان نابليون الأول ملك فرانسا أشهر الحرب على الروسية سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وسار اليها بجيوشه الجرارة فألزم ذلك الروسية أن تخرج جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت صلحا مع الباب العالي موافقا جدا للدولة العثمانية فاغتنم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي بغداد وايدين وغيرهما فانه في سنة ألف ومائتين وست وعشرين أظهر سليمان باشا والي بغداد العصيان فأرسل اليه السلطان محمود من قتله

﴿ ذكر حرب المورة ﴾

في سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين تحرك اليونان في المورة وجاهروا بالعصيان على الدولة وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ٥

وزموا الفتن في جميع الاطراف فتسوق ذلك على الدولة العلية وارسلت العساكر لردعهم وادخالهم في الطاعة فنشبت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا والي ولاية مصر يأمره أن يرسل جيشا لمحاربتهم فارسل ولده ابراهيم باشا المشهور بحملة وعشرين ألف مقاتل مع عمارة بحرية ولما وصل الى المورة انضم بعمارته الى جيش الدولة العثمانية ودارت رحى الحرب ولما أيس الاروام من النجاة وزوال الاستقلال استنجدوا بالدول الاوروباوية فبادرت دول انكلترا وفرانسا والروسيا الى التوسط في الامر والسعي بالصلح فلم يقبل السلطان محمود توسطها فاتفقت الممالك الثلاث المذكورة وبعثوا الى ابراهيم باشا بأن يوقف الحرب فاجاب أنه لا يقدر على ذلك إلا بامر من السلطان فعند ذلك أطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوهما وكان ذلك سنة ألف ومائتين واحدى وأربعين ولما بلغ الخبر السلطان محمود اضطر الى اجابة سؤال الدول الثلاث وأمضى الصلح بشروط مخصوصة منها ابطال الحرب واستقلال الاروام

﴿ ذكر قتل العساكر الانكشارية ﴾

وفي سنة احدى وأربعين أيضا شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد وشرع في تدبير الامر في تدمير الانكشارية وابطال وجاقهم فاصدر أمرا سلطانيا يتضمن القدح في حق الانكشارية وبيان الخلل الواقع منهم وبغلبهم على الدولة وقتلهم بعض السلاطين وأمر سماحة باشا الصدر الاعظم أن يجمع العلماء في بيت شيخ الاسلام ويتلوا عليهم الامر السلطاني فجعل ذلك فاظهر ما الاستثقال لصدور هذا الامر السلطاني ربما وقع اباحة وكان مع الحاضرين جماعة منسوبون الى الانكشارية فعضوا الجميع سرا وأخبروهم بما صار فأثبته الانكشارية فهجموا على بيت الصدر الاعظم وبعض العظماء من رجال الدولة وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ويقتلون كل من صادفوه منهم ويحرقون البيوت ويطرحون فيها النار فهرب الصدر الاعظم منهم وجاء الى السلطان محمود وأخبره

تلك الحوادث فأمر بأن يجمع الطوبجية وسائر أهل الاسلام أمام باب السرايا فاجتمع في ذلك النهار جم غفير من العلماء ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان اليهم فلما خرج اليهم أخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم فاقسم جميعهم على أنهم يهريقون دماءهم في صيانة أوامره وتمهيدها والتمسوا منه اخراج الصنجق الشريف النبوي ليهجموا على العصاة فأراد السلطان أن يكون معهم فتوسلوا اليه أن لا يتنازل الى ذلك وأرسلوا ينادون في شوارع المدينة ويدعون أهل الاسلام للاجتماع تحت الصنجق الشريف ولما علم بعض الانقشارية بذلك أرسلوا أناسا من جماعتهم ينادون لاجتماع الانقشارية فلما قرعت أصوات المنادين آذان أهل الاسلام أسرعوا الى فسحة السرايا أفراجا أفواجا ففرقوا عليهم السلاح وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الاسلام قاضي زاده طاهر افندي وعاد الى كرسيه الملوكي وكان يشرف على الجميع أمام السرايا وسار سليم باشا الصدر الاعظم أمام تلك الجموع التي كانت أكثر من خمسين ألفا وشنوا الغارة على الانقشارية صارخين الله أكبر على الاشقياء وهجموا عليهم وأطلقوا المدافع والرصاص وكان يوما مهولا عظيما فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف والباقون فروا الى قشلهم وتحصنوا فيها فهجم عليهم العساكر والأهالي وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ومن بقي ولوا الادبار ثم قبضوا على كثير منهم فقتلوهم وطرحوهم في فسحة آت ميدان وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلماء ووكلاء الدولة وأحضر بين يديهم أثواب السلاطين العظام الملطخة بالدماء الذين قتلهم العصاة الانقشارية طالبا ثمن دم السلاطين فاجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون ألف نفس فصدرت الاوامر بتدمير الانقشارية في الاستانة العلية وفي جميع الجهات فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظالمهم وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون اليهم ويساعدونهم ويعملون في تكياتهم أفعالا شنيعة محرمة وبدعا مستردلة فأمر السلطان بقتل أكثرهم وهدم تكياتهم وأخذت الدولة في تكثير العساكر النظامية والجد في تعليمهم وأبطلت

وحل الانكشارية وفي أثناء ذلك الله عن السلطان محمود دلسه وزرع العمامة والجبة
وزيارى البيكر الجديد على هيئة الاوربا وبين وبالطربوش العصمي ولم يزل
بادوال المعرضين

﴿ ذكر القتال مع الروسية ﴾

في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف رجعت العساكر الروسية لمحاربة الدولة
العلية عند نهر الطونة وسار جيش الى جهة الاناطول فأرسلت الدولة عساكر
لصادمهم تحت قيادة الصدر الاعظم سليم باشا ووقع بين الفريقين حرب شديدة
وغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة واستولوا على جملة اماكن
وبعد ذلك عساكرهم الى شوملة وأقاموا الحصار على سلستره واستولوا على
مدينة وارنه فعزل السلطان الصدر الاعظم سليم باشا وأقام بدله في الصدارة
محمد رشيد باشا وسار بعض عساكر الدولة الى جبل البلقان فتركت الروسية
محاصرة شوملة وكانوا قد استولوا على سلستره وكانت عساكر الروسية التي في
الاناطول تقدمت وملكوا ارض روم وبايزيد وطرابزون وارض روم واستأسروا
صالح باشا وجا جيش الروسية نحو ادرنه وبدون ألف مقاتل وحاصروا ادرنة
حصارا شديدا الى أن استولوا عليها ولما اشتد الامر على رجال الدولة وعلى
السلطان محمود واضطربت الامور اضطرابا كثيرا الا أن السلطان ثبت وأظهر
الثبات رغم الخطر في وسط تلك الاخطار الحديدية وبدولته ثم تداخلت دول
أوروبا في الصلح وأبرم بشروط سنة خمس وأربعين ومائتين وألف وما [illegible] تلك
الشروط استقلال الاروام وسلبت الدولة عن اقليم الصرب والافلاق والبغدان
للولاة من أهل تلك البلاد تحت نظارة ملك الروسية وعن بعض جزائر بفم
الطونة وعن بعض أراضي في الاناطول مع غرامة حربية قدرها مائة وعشرة
ملايين فرنك قال بعض ورجع العرج [illegible] ان الدولة
التي سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب في قلوب جميعهم لم [illegible]
موهنا تقدم [illegible] لسلاطينها الذين رتبوا هذه الشروط فالنظر الى هذا
الامر بعين خالية عن الغرض يحق الاعتراف من وجه آخر بوكيفما كان

هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل في داخليتها بسبب أصحاب البغي والفساد وقلة الاموال ولم تتزعزع أركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة أوربا أخرى أن يثنيها واذا ضممنا الى هذه الاسباب الخلل الذي أوقعه وجاق الانكشارية وعدم تمام انتظام الترتيب للعسكر الجديد وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقاة الاهوال لزمنا حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة أصلا واستطاعت أن تتواصل الى هذه الدرجة مستهينة بكل الموانع التي تعرضت لها فهذا أعظم برهان على عظمها وسطوتها انتهى كلامه وأقول ان ههنا سرا الهيا لتأييدها وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبي صلى الله عليه وسلم وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر ﴾

وفي سنة خمس وأربعين وألف ومائتين استولت الفرنسيس بقوة حربية على جزائر الغرب مدعين ان أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم فلما علم الباب العالي ذلك أرسل طاهر باشا قبودان باشا الى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والي الجزائر فلما وصل وأراد النزول الى البر منعته الفرنساوية فعاد راجعا الى القسطنطينية والجزائر المذكورة كانت في حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ويدفعون خراجا للدولة ويكونون تحت امر الدولة ظاهرا ومتغلبين باطنا فلما أحدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والي الجزائر من تعاليم عساكرها ولم يمتثل أمر السلطان في ذلك فقيل ان السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيس لتأديبه فجاؤا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر الى أن قبضوا على الباشا المتولي عليها ودهبوا به الى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر فلما تملكها الفرنسيس لم ترجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي

على ذلك الى مصر ثانيا

ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود

في سنة سبع وأربعين ومائتين وألف وجه محمد علي باشا والي مصر جيوشه براً وبحراً الى بلاد الشام بحمل قيادتها ولده ابراهيم باشا فحاصر عكا وافتتحها مظهراً الانتقام من عبد الله باشا والي عكا لاشياء كانت بينهما ووقع في ظن بعضهم وبانا وحيثما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت بأمر محمد علي باشا برجوع العساكر وأنه اذا كان بينهما دعوى يقدمان الى الباب العالي فيحكم بينهما فلم يمتثل لاوامر الدولة فأبرزت الدولة فرماناً بعصيان محمد علي باشا وعزله عن ولاية مصر وصدر الامر السلطاني لوالي حلب بجمع العساكر لمحاربة ابراهيم باشا وخرج حسين باشا بعساكر من الاستانة وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس وظهر ابراهيم باشا واستولى على الاقطار الشامية وقبض على عبد الله باشا والي عكا وأرسله الى الاسكندرية لابيه محمد علي باشا ولما وصل ابراهيم باشا الى دارانا قرب دمشق خرج اليه علي باشا والي دمشق واشتبك الحرب بينهما فهزمهم ابراهيم باشا وخرج أهل دمشق يسألونه الامان فأمنهم ودخلها وتقدم الى حمص واشتبك القتال بينه وبين والي حلب وكان يوماً عظيماً وخرج باشا حلب من اشهر الوقائع قتل فيه خلق كثير واستولوا على المهمات جميعها وانهزم والي حلب ورجع الهاربون في وجوههم الابواب فساروا الى اطاكية ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج أهالي حلب لاستقباله فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات وأمن أهلها ثم سار الى انطاكية وحاربهم فهزمهم الى بوغاز بيلان ولما بلغ الباب العالي تقدم العساكر المصرية بعثر رشيد باشا الصدر الاعظم بالجيوش لحربهم فتقدم الى قونية والتقى الجيشان واشتبك القتال وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الاعظم وأتى به الى ابراهيم باشا فقابله بكل اكرام ثم خلى سبيله وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ثم صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا السر عسكر لمحاربة ابراهيم باشا فالتقى الجيشان العرب

من مرعش واقتتلا ووقعت الهزيمة أولا على عساكر ابراهيم باشا وكان فى وادى عسر فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادى وصعد الى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا واخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم هجم عليهم بعساكره بجمعها فانهزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين الى مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير وهذه الوقعة من أشهر تلك الوقائع التى وقعت فى تلك الحروب وأعقبها ابراهيم باشا فتح أكثر الجهات فى تلك البلاد ولم تصل أخبارها الى القسطنطينية الا بعد وفاة السلطان محمود بثمانية أيام ومن فتوحاته إخراج الخوارج الوهابية من مكة والمدينة وتطهير الحرمين منهم وقد تقدم ذلك عند ذكر السلطان سليم بن مصطفى لكون ابتداء القتال مع الوهابية كان فى مدة سلطنته لكن اتمام الامر ما كان الا فى زمن مولانا السلطان محمود الثانى ابن السلطان عبد الحميد فذلك من فتوحاته ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء فانه صدرت الارادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية فوجدوا أكثر ذلك بيد الأغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالذراع بعوض حقير فصار الفقراء ليس لهم شئ فصدر الامر الشاهانى بنقض ذلك وابطاله وتجديد كتابة دفتر بأسماء المستحقين فحصل تجديد ذلك فى المدة التى كان فيها محمد على باشا بمكة حين جاء لقتال الوهابية وكتب الله ذلك صدقة جارية فى صحيفة مولانا السلطان محمود وصحيفة كل من كان له اعانة وتسبب فى ذلك ومن حسنات السلطان المذكور وفتوحاته انه كان فى مدة سلطنته تجديد قبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم وقبة سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف فان القبب المذكورة هدمها الوهابى وجددها مولانا السلطان محمود وهدم الوهابى أيضا قببا كثيرة بالمدينة على قبور الصحابة وبعض الاولياء فجددها مولانا السلطان المذكور ومن خيراته وفتوحاته المعنوية أنه جدد لأهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذى كان مرتبا لهم

من أسلافه وذلك أنه في سنة احدى وخمسين بعد المائتين والالف رتب مرتبات
للأئمة والخطباء بالحرمين الشريفين وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل
المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين وجعل للجميع مرتبات جزيلة
من النقود الحلال بعضها شهريات وبعضها سنويات واشترى لذلك عقارات كثيرة
وأوقفها لتصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة فصارت حسنة جارية إلى
هذا الوقت يحصل منها كمال النفع والاعانة للمذكورين على معاشهم ومن وقت
هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدر والمدر بمكة والمدينة ولم يكن ذلك موجودا
قبل ذلك ثم ان ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم الى ذلك الترتيب شيئا في مدة
سلطنته كما سيأتي ذكر ذلك عند ذكره وكانت مدة سلطنة السلطان محمود اثنتين
وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الاول
سنة خمس وخمسين ومائتين وألف

﴿ ذكر ولاية السلطان عبد المجيد ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده ولده السلطان عبد المجيد بعد ظهور الخروج لعساكر
عساكر محمد علي باشا واخراجهم من الشام وأعانه على ذلك دولة انكلترا وكانوا
عرضوا على السلطان محمود الاعانة فأبى فلما توفي وتسلطن ولده السلطان
عبد المجيد قبل اعانتهم فأعانوه وسيرت جيوشه الى الشام فجهزوا عساكرا على ابراهيم
باشا أخرجوهم من الاراضي الشامية وأرادوا التوجه الى مصر والاسكندرية
لاخراج محمد علي باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصلح الى أن أمضوه بشرط أن
تكون الاسكندرية ومصر وأقطارها لمحمد علي باشا ولاولاده من بعده ويضرب
عليه خراجا معلوما يدفعه في كل سنة ورجع الى الباب العالي الشام والحجاز وتم الامر
على ذلك وكانت مدة ملكه الاقطار الشامية قريبا من مدة تسع سنين ومن مدة
السلطان عبد المجيد وقع الاتحاد مع دولتي فرانسا وانكلترا فقصد بإحداث
القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية وصدر منه الفرمان السلطاني بذلك سنة خمس
وخمسين ومائتين وألف وهي سنة جلوسه على تخت السلطنة

﴿ ذكر الحرب مع الروسية ﴾

في سنة تسع وستين ومائتين وألف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد
والروسية المسماة بحرب القرم وسببها أنه وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين
في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القمامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت
كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرياسة والتقدم على الأخرى باستيلاء مفاتيحها
ثم أخذت هذه المسئلة تتعاظم بينهما وتمتد يوما بعد يوم الى أن آل الأمر الى النزاع
والجدال في سنة ثمان وستين ومائتين وألف فوقع الباب العالي في ارتباك وحيرة
من جهة تسكينها واخماد نارها لأن الروسية كانت تحامي عن حقوق الروم
وفرانسا تحتشد لطرف اللاتين فتداخل سفير انكلترا في صرف هذا المشكل
ورسم ترتيبا لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فرانسا ولم تقبله الروسية لأن
مقصدها التوحد ولم يكن مقتصرا على المحاماة عن حقوق الروم بل كان لها
غايات أخرى طالما كانت تجتهد على نوالها وتترقب الفرص لاستحصالها وهو
ابعاد الدولة العثمانية من قارة أوروبا والاستيلاء على أقاليمها وولاياتها فانتهز
امبراطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ أربه فبعث
سفيرا الى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد أن كان بعث جيشا يبلغ
مائة وأربعين ألفا الى نهر الطونة ليكون مستعدا لوقت اللزوم والحاجة
فلما وصل السفير المذكور الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير
الخارجية ودخل رأسا على الحضرة الشاهانية وعرض عليه مطالب الامبراطور
نقولا في المسئلة المتعلقة بالأماكن المقدسة وان جميع الروم الذين هم من تبعة
الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن فصاعدا وان بطرك الروم القسطنطيني
وباقي أساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتعيينهم منوطا به وان الشكاوى والدعاوى
التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها فاستعظم السلطان
هذه المطالب ورفضها لانها اخلال بناموس السلطنة ومغايرة للأصول وقوانين
الدول فانثنى السفير راجعا من حيث أتى وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال

فاستمالا سفاين أصدر أمرا الى العساكر التى أرسلها الى الأطراف القوقازية أن
تعبر النهر وتستولى على تلك الأطراف فاجتازت النهر وتغلبت العساكر على
امارات الأفلاق والبغدان واستولت عليها ولما تحقق الباب العالى تقدم ذلك
الجيش الى أطراف بلاده علم أن مقاصد الروسية وطلباتها لم تكن الا وسيلة
لاشهار الحرب فجهز جيشا وأرسله الى تلك الحدود وبعث قائده عمر باشا المجرى
لدفع الروسيين ولما ثابتا كتب الدول الاوروباوية بعزم الروسية ومقاصدها بادرت
انكلترا وروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر فى اجراء الوفاق بين الدولتين
وأرسلت كل دولة مندوبا من طرفها الى تلك الجمعية وانضم اليه مندوب من
طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العلية وبعد اجتماعها فى سنة ألف
ومائتين وسبعين لم تأت بالمرغوب ولما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالى
الحرب وصدم سليم باشا العساكر الروسية فى الاناضول واستظهر عليهم فى عدة
وقائع وهاجمهم عمر باشا فى الروملى واستظهر عليهم أيضا وأما الدوننمة التى للروسية
فى البحر الاسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديد
فأتلفتها وكانت ولقد من سفنه فى كابات وباحرين وبلاد من اكب حرب ثم ان
انكلترا وفرانسا التمستا من الباب العالى الحرب احتجاجا بالمعونة للسلطان وأعلنا
الحرب على الروسية فى سنة احدى وسبعين ابتدأتا فى نقل رجالهما ومهماتهما الى
ساحة الحرب واستحكامات المال وأما فى دول أوروبا فكانت محافظة على
الحياد وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية الى بحر البلطيق فاستولت
على قلعة بومارسوند ثم على جزر الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة
نظرا لحصانتها واذا كانت سواستبول أعظم قوات الروسية التى يعولون عليها
فى البحر الاسود وجهت انكلترا وفرانسا اهتمامها لافتتاحها والاستيلاء عليها
فأرسلتا فرقتين من عساكرهما عددها ستون ألف رجل كان أكثرها من الفرنساويين
فنزلوا فى بلاد القرم ولما كانوا يتقدمون الى سواستبول صادفتهم العساكر
الروسية فانتشب القتال بينهما واستمر الى أن دارت الدائرة على الروسيين

فانهزموا عند نهر الماء وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة سلسترة ولم تقدر
على أخذها فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت
عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى آخرين وقصدوا القرم
لنجدة حصار قلعة سيواسطبول التي اليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات
والعساكر والذخائر وصادم جيش من الانكليز جيشا للروسيين عند ألما كال
فانتصروا عليهم بعدما فقد منهم خلق كثير وكان جيش للروسية محاصرا فى
آق كرمان وعددهم ستون ألفا فخرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر
العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على
الفريقين وانجلت بانهزام الروسية وألزموهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ فى قوة
الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع انهم كانوا يبدون فى قوتهم الحربية
ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة وأن يمنعوا
المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ولقد قاست العساكر المتحدة لاسيما
الانكليز فى شتاء سنة احدى وسبعين وشتاء اثنتين وسبعين أهوالا وشدائد يكل
اللسان عن وصفها وتعدادها فان الأمراض والأوجاع قد أحدثت فى العساكر
كل مأخذ وأهلكت كثيرا منهم فضلا عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد
والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات أما ايطاليا فقد
هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الدول المتحدة فأرسلت خمسة عشر ألف
مقاتل بعدما تعهدت لها انكلترا بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الاعانة واشتهرت
رجالها فى تلك المجامع بالشجاعة والثبات وفى خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا
سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه ✽ وفى خلال
ذلك وقعت واقعة هائلة بين الروسية والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على
الروسية واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف واذلم يبق للروسية
استطاعة على حفظ عساكرهم تركوا سيواسطبول فى مساء ذلك النهار وعولوا
على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة القلعة وامتلكتها فانفتحت

حسبما تحاورات الصلح وبعد جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين وثمانين وألف تحصرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المصاحبة وهي انكلتيرا وفرنسا والعثمانية والنمسا وبروسيا وسردانيا واقتضت شروط الصلح جملة أربعة وثلاثين بندا أحدها أن الدولة العلية تكون لها الامتيازات التي للدول أوروبا جهة القوانين والسلطنات السياسية وأنها تكون مستقلة في مملكتها كغيرها من الدول وأن البحر الأسود تكون معزولة عن جولان مراكب حربية فيه من أي جنس كان ماعدا الدولة العثمانية والروسية فإن لهما جمعا في إدخال شيء قليل من المراكب الصغير الحربية لأجل محافظة السواحل كلها وأن لا تكون للدولة العلية ولا للروسية ترسانات بحرية على سواطئ البحر الأسود إلى غير ذلك من الشروط ثم انصرفت العساكر إلى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع * وفي سنة اثنتين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين أهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود أمر بمنع بيع الرقيق انتهت بما صار بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب أمير مكة وتوليه الشريف محمد بن عون والكلام عليها طويل * وفي سنة أربع وسبعين وقعت فتنة في جدة بين أهالي جدة والنصارى الذين بها بسبب اختلاف بعض أهل المراكب في وضع سنجق الاسلام أو الانكليز على بعض المراكب والكلام عليها أيضا طويل * وفي سنة ست وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى وأهل الشام والكلام عليها أيضا طويل * وفي سنة ألف ومائتين وست وسبعين حدثت فتنة عظمى بين الدروز والنصارى في جبل لبنان آل الأمر إلى وقوع حرب بين الفريقين وكانت النصرة فيه على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض وعدم اعتنائهم لبعضهم فتمكن منهم الدروز فأرسل الباب العالي فؤاد باشا لتمهيد الأمور وتمكن من المفسدين وأرسل فرانسا عسكر إلى الآن حتى لا أنه أتلفه ومنع التعدي وكذلك باقي الدول الافرنجية منها من أرسل مراكب حربية ومنها من أرسل نوابا لاصلاح الحال وتمهيده إلا ورود عساكر أجنبية ما لزم اجراؤه مدة

الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لاهل هذا الجبل وان تحول أحكامه لمشير من الطائفة النصرانية من غير أهالى الجبل ليكون متصرفا بها و بحار رؤساء الباب العالى فتوجهت المتصرفية لداود باشا الارمنى ومن خيرات السلطان عبد المجيد وفتوحاته المعنوية تجديد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايتباى وكان مسقفا بالخشب فطالت مدته وحصل فيه خراب فصدرت ارادة مولانا السلطان عبد المجيد بهدمه وتجديده سنة ألف ومائتين وسبعين فهدم وجدد وجعل سقفه قبابا وطواحن كالمسجد الحرام وتمم عمارته بعد مضى أربع سنين فجاء على صفة لم ير الراؤن أحسن منها وله عمارات كثيرة فى الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين وله تجديد ميزاب الكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين وألف وتوفى السلطان عبد المجيد فى سابع عشر ذى القعدة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته ثنتان وعشرون سنة وستة أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان عبد العزيز ﴾

وأقيم فى السلطنة بعده أخوه السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود الثانى * وفى سنة ثمان وسبعين أظهر العصيان أهل الجبل الاسود فسير السلطان عبد العزيز اليهم جيشا فقاتلهم وهزمهم ثم رجعوا الى الطاعة * وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف أظهر العصيان كثير من الأروام بجزيرة كريد وكثير من البندقية فجهزت الدولة عليهم جيوشا برا و بحرا وكذلك جهز صاحب مصر عساكر كثيرة برا وبحرا فكانت مع عساكر الدولة ووقع بينهم و بين العصاة حرب شديد كان النصر فيها لعساكر الاسلام وأذاقوا العصاة الوبال وأرجعوهم الى الطاعة * وفى سنة تسع وسبعين توجه السلطان عبد العزيز الى الديار المصرية للتنزه والتفرج وكان ذلك فى ولاية اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا وفى سنة أربع وثمانين توجه السلطان المذكور الى باريز تخت ملك الفرنسيس للتنزه والتفرج أيضا ثم منها توجه الى بلاد الانكليز للتفرج والتنزه أيضا وكان فى

رحلته حـده من حلى أدرنه وعلى قلعه ملمراد وكان السرعسكر قد طلبها منه وارسل الصدر فأعطاها اياه من غير مخابرة وكان كـل ذلك وكانوا أحمرو اتهامه بالخيانة وأنه امتنع كامد فأعطاها قبل أن رأها فلما رأها بهدم حصنه لايمنع السلم ﴿وفى سنة عان وماتين﴾ كان فيه عظمى بلاد عسير فخهرت الدولة جيشا عسكريا فاد ردف باشا فسار حتى صعد جبال عسير وقاتلهم وهزمهم وقتل أميرهم محمد ابن عائض ومن معه فقتل معه جماعة من عسيره وأسر كثيرا وأرسلهم الى الآستانة وصارت بلاد عسير فى حكم الدولة العلية منضمة الى ولاية صنعا واليمن ﴿وفى هذه السنة أيضا﴾ كانت فتنة لمى بين دولة الروسيه ودولة العثمانيه الى الامر فيها الى هزيمة العثمانيين وأ مر ملكهم بالصلح الثانى والكلام عليها طويل مفرد بالتأليف ﴿وفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف﴾ فى السابع من شهر جمادى الاولى خلع السلطان عبد العزيز ومات رحمه الله تعالى بعد خمسة أيام وعمره ثمانى وأربعون سنة ومدة سلطنته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مراد الخامس ﴾

وأقيم فى السلطنة بعده السلطان مراد الخامس ابن السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثانى ثم خلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام فى ثالث شعبان من السنة المذكورة اعنى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف (والسبب) فى خلعه انه وقع له خلل فى عقله بعد أيام قليلة بعد بيعته فلما تحققوا الخلل فى عقله استفتوا فيه شيخ الاسلام خير الله أفندى فافتى بخلعه لان شرط الخلافة أن يكون متصفا بالعقل فخلعوه وبايعوا أخاه سلطان العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثانى وبقى السلطان مراد المخلوع فى داره وأما السلطان عبد العزيز فانه بعد خلعه بأيام قلائل أول من الاسبوع توفى وأشيع أنه قتل نفسه بمقص قص به عروق ذراعه فمات من ذلك ﴿وفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف﴾ نفى جماعة من الوزرا الى الحجاز فحبسوهم فى قلعة الطائف منهم مدحت باشا ومحمود نديم باشا داماد مولانا السلطان عبد المجيد ونورى باشا داماد مولانا السلطان عبد المجيد أيضا

ومعهم جماعة اخرون غير هؤلاء منهم شيخ الاسلام خير الله أفندى * وفى سنة ثلاثمائة توفى مدحت باشا ومحمود باشا الداماد فى القلعة المذكورة وكان خلع السلطان عبد العزيز سببا لاضطراب كثير وحوادث شتى وكان القائم أكمل القيام فى خلعه حسين عونى باشا وكان السلطان عبد العزيز هو الذى رقاه وأعلى قدره الى أن جعله رئيسا على العساكر كلها بل صار مقدما على جميع أهل الرتب والمناصب فرتب الامور مع الوزراء وغيرهم وزعم أن السلطان عبد العزيز تداخل مع الروسية وأنه يريد أن يملكهم دار السلطنة فصار حسين عونى باشا وغيره يسعون فى ذلك حتى تم لهم خلعه فقدر الله أن رجلا يقال له حسن جركس قتل حسين عونى باشا وذلك أن السلطان عبد العزيز كان متزوجا أخته فأخذته حمية حين خلع السلطان عبد العزيز وصمم على قتل حسين عونى باشا فدخل عليه فى دار الصدر الاعظم محمد رشدى باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة فى بعض الامور وكان مع حسن جركس زوج من الطبنج ذوات الأرواح المتعددة فضربه به ضربا متعددا وقتل جماعة من الحاضرين منهم حسين عونى باشا الساعى فى خلع السلطان عبد العزيز ولم يتم لحسين عونى باشا شئ من مراده والله غالب على أمره ثم قبضوا على حسن جركس فقتلوه

﴿ ذكر ولاية سلطان العصر أطال الله عمره ﴾

هو السلطان المعظم المفخم سلطان سلاطين العرب والعجم حائز العلم والصلاح والكرم المتشرف بخدمة طيبة والحرم * صاحب السيف والقلم * ظل الله فى العالم غياث بنى آدم * نعمة الله على العباد وفضله على الحاضر والباد * ناصر الحق والدين * مؤيد شريعة سيد المرسلين * المحفوف بالسبع المثانى * أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازى عبد الحميد الثانى * أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده * وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده * وأنفذ فى جميع البلاد أوامره وأحكامه * وانشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه * وأيده بتأييدك وأيده بتأييدك واجعل سلالته تلك السلطنة العلية مسلسلة الى منتهى

الدوران * مستمرة على مرور الليالي والأيام باقية إلى آخر الزمان * آمين
يا رب العالمين * وبويع أطال الله عمره بالخلافة أعني السلطان في حادي عشر شعبان
سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف فكانت سلطنته زينة وبهجة وسرورا للمملكة
بها في مشارق الأرض ومغاربها ما ملأها نورا * ومما كان من الحوادث في
أول ولايته أنه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين في رعية الدولة العلية في
بلاد الروم ايلي وهم طائفة يقال لهم الصرب فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور
جيشا فقاتلوهم وكادوا قد قاربوا الانفتاح الإسلام عليهم وقهرهم إلى كلمة ولا
إلى كثرة عساكر إلا أن الروسية تداخلت معهم فصارت تقويهم بأشياء كثيرة
حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت وأعانهم طوائف من النصارى الذين كانوا قريبا
منهم إلى أن صارت المحاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف
النصارى مع الروسية وساقت الدولة بهذه الفتنة العساكر الكثيرة وأنفقت
الخزائن الوفيرة فقدر الله بانهزام جيوش الإسلام وأسر كثير منهم في بلونه وذلك
بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم في ذلك البلد وعدم إمكان وصول الميرة إليهم
لشدة البرد وكثرة الثلج وممن أسر من كبار عساكر الإسلام الوزير عثمان باشا
الغازي فإنه بعد أن ذاق ذلك الحبس في بلونه ثم أطلق مع كثير ممن أسر وكان إطلاقهم
بعد انعقاد الصلح وملكت الروسية كثيرا من المدائن العظام إلى أن وصلوا إلى قرب
أدرنه والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفردناه بالتأليف وختام الأمر أن بعض
الدول توسطت في الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس
وتسعين على أن يبقى تحت يد الروسية ما تملكوه من البلاد وأن الدولة العلية تدفع
لهم غرامة الحرب وكان شيئا كثيرا وبقي للدولة أدرنه وما يليها إلى دار سلطنة الدولة
العلية وكان هذا الخلل إنما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز ولا
حول ولا قوة إلا بالله * وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف أعطت الدولة العلية
جزيرة قبرس للانكليز على أن يكون بأيديهم سنين موقتة بشروط أن يدفعوا
للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها وقد تقدم في هذا الكتاب تكرر

ووضع اليد على قبرس من المسلمين والنصارى مرارا كثيرة أولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضى الله عنه وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها تارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء * وفى سنة ست وتسعين ومائتين وألف خلع والى مصر اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا وقد كان محمد على باشا لما انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف جعلت له مصر ولأولاده من بعده فلما صارت ولايتها لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية فى أولاده ومنع اخوانه وأولاد اخوانه منها فتوجه الى دار السلطنة فى مدة السلطان عبد العزيز سنة احدى وتسعين ومائتين وألف فتم له مراده وجعلوا ولاية مصر له ولأولاده الأكبر فالأكبر وكان الصدر الاعظم فى ذلك الوقت فى دار السلطنة هو محمد رشدى باشا الشروانى ثم ان الله قضى وقدر أن عاقبة هذا الامر الذى فعله اسماعيل باشا أول ما ظهر سوؤه عليه فانه فى سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون أخذها من الدول الاجنبية وأنفقها فى غير حقها فتشاور أهل الديون على أنهم يضبطون خراج مصر ومحصولاتها لأجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد أن يجعل له عصبية يمنعهم بها فتداخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهودا ومواثيق على أن الامور كلها تكون بيد العلماء والأهالى وعشاورتهم فلما أحس الانكليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا فى حلها ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد فخلعوه فى سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الأكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر قبل ذلك حين نفى اخوته وبنيهم من دخولهم فى الولاية من بعده وأن الولاية من بعده تكون لأكبر أولاده فأقاموا عليها ولده الأكبر وهو محمد توفيق باشا وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده الى نابولى من بلاد ايطاليا وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزينتها * وفى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف استولت دولة الفرنسيس على تونس وأعملوا فى ذلك المكر والخديعة والحيلة فجهزت دولة الفرنسيس عساكر كثيرة وأظهرت أنها تريد تأديب بعض

قبائل العرب المقيمين منهم ويقال لهم الخمير في أعمال تونس توصلوا
بعساكرهم اليهم وقاتلوهم وقهروهم ثم رجعوا بعساكرهم الى تونس لم يستطع
أحد أن يدفعهم الى أن قاربوا دخول تونس فاضطرب أهل تونس اضطرابا
كبيرا ثم عقدوا بينهم صلحا وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الباي
على ولايته بحسب الظاهر واستولوا في الباطن على الاحكام والمحصولات
والخراجات واستقلوا الدولة التي كانت على والي تونس وصارت الامور كلها
بأيديهم ولا حول ولا قوة الا بالله * وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف كانت فتنة
بمصر بين والي مصر محمد توفيق باشا وبين عرابي باشا وكان عرابي باشا من رؤساء
عساكر محمد توفيق باشا واتسع الامر في ذلك فجاء الانكليز بعساكرهم البحرية
نجدة لمحمد توفيق باشا الى الاسكندرية وضربوا بمدافعهم على الاسكندرية وقاتلوا
الذين كانوا مع عرابي باشا وكان ذلك في شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين واتسع
الامر بما يطول الكلام بذكره وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الانكليز
وتملكوا الاسكندرية وذهب عرابي باشا ومن معه الى مصر ثم سارت الانكليز
بعساكرهم لقتاله بمصر والكلام على ذلك طويل وفي آخر الامر انهزم
عرابي باشا ومن معه ثم دخلوا مصر وقبضوا على عرابي باشا وعلى كثير ممن
كانوا معه فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفيا موقتا وجماعة نفيا مؤبدا وصار
المقبوض عليهم عرابي باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه الى جزيرة سيلان من
أعمال مليبار من بلاد الهند وجعلوا اقامته ومن معه هنالك ورتبوا لهم مرتبات
تكفيهم واستولى الانكليز على القطر المصري ووضعوا عساكرهم في البلاد
على صورة أنهم انما فعلوا ذلك اعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته والانكليز
مع ذلك كله يقولون ليس مرادنا الاستيلاء على مصر وانما مرادنا الاصلاح
والتأييد لمحمد توفيق باشا واذا استقامت الامور وانتظمت أحوال مصر نخرج
منها ونخرج عساكرنا * وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى
١ محمد أحمد يقال انه المهدي أو قائم طالب لاظهار الدين ولم يدع أنه المهدي ويقال ا

شريف حسني وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطرائق قيل انه على طريقة الشيخ السمان وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمال الجناب مصر محمد توفيق باشا ثم اتسع الامر بينهم وبينه الى القتال وقاتلوه وقاتلهم مراراً وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها فلما دخل الانكليز مصر صار الانكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الانكليز ومعهم عساكر مصر ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك وقتل منهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم وكان أمره معهم عجيباً يأتون اليه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق أحد مقابلتها فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم الا السيف والرمح والسكاكين فيهجمون على تلك العساكر في مواضعهم ويحيط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف والسكاكين ويشتتون شملهم ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولى محمد أحمد عليهم رجلاً يسمى عثمان دقنه فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة فهزمهم عثمان دقنه ومن معه من السودان هزيمة تعد هزيمة وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤه في سنة اثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسلحتهم والى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان دقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها وفيها عساكر للانكليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون وأما دعوى أنه

المهدى فحصلت فيها من الناس من يقول إنه يدعى أنه المهدى ومنهم من يقول لم يدع انه المهدى بل يقول انه قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة واخراج الانكليز من مصر والله أعلم بحقيقة الحال والاكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من الاستقامة ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ويقول ان خروجه نفع منهم فساد كثير وليس لهم غرض الا القتل والنهب وانهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين فيهم العلماء والصلحاء والنساء والاطفال وقيل ان وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به والله أعلم بحقيقة الحال وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن انصار آخر هذه الامة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم وانصار المسلمين منهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكر الخازن في تفسير عند تفسير قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين من سورة الواقعة فانه قال ما نصه ثلة من الاولين يعنى من المؤمنين الذين قبل هذه الامة وثلة من الآخرين يعنى من مؤمنى هذه الامة ويدل على ما رواه البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا رسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له قد أنزل الله فيما قلت فقال عمر رضى الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله اه ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشربينى وفى التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطى أن عروة بن رويم روى هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم وان الحديث المذكور أيضا رواه ابن مردويه وابن عساكر لكن اللفظ الذى ذكر فى الدر المنثور قال فى آخره وأمتى ثلة

ولن تستكمل ثلثنا حتى تسعين سودان من رعاة الابل ممن يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اهـ ويحتمل ان المراد من السودان هؤلاء القائمون مع محمد أحمد وعثمان دقنه ويحتمل أن يكون غيرهم والله أعلم بعينه وكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لا بد من وقوعه وروى ابن مكرم الافريقي في كتاب له سماه لسان العرب حديثا لم يذكر من خرجه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسرون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك يأتونه من كل أوب كقزع الخريف يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها اهـ فيمكن أنهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد أحمد أو غيرهم وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته ان من علامات ظهوره خروج السودان منهم الجلال السيوطي والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه المسمى بالاشاعة في أشراط الساعة ففي رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف الوردي في علامات المهدي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا بطن الاردن أو بطن الارض فبيناهم كذلك اذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتوا دمشق فلا يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفا والاحاديث التي جاء فيها ذكر السفياني كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل وهو يريد قتال المهدي عند ظهوره ثم يخسف بجيش السفياني و يهلكه الله تعالى وفي رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر في أخبار المهدي المنتظر أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب وأن خروج أهل المغرب الى مصر من أمارات خروج السفياني وذلك انما يكون عند ظهور المهدي وجهة السودان بالنسبة الى مصر مغرب فيحتمل أنهم هؤلاء القائمون مع محمد أحمد و يحتمل أن يكون المراد غيرهم وكذا قوله خروج أهل المغرب الى مصر يحتمل أن يكونوا هؤلاء لأنه يصدق على الجهة التي ظهروا منها أنها من المغرب بالنسبة لمصر و يحتمل

أن يكونوا غيرهم والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم
ومن علامات ظهور المهدي الرايات السود التي تخرج من خراسان وفيها
أحاديث كثيرة قال في الاشاعة يمكن أنها هي التي خرجت في زمن المهدي العباسي
ابن المنصور ويحتمل انها انما تخرج عند ظهور المهدي المنتظر وفي مفرح
السحر البعناية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات بمدائح الدولة العلية
العباسية تنبي فوقها وسلطنتها الى ظهور المهدي وانهم يكونون من أعوانه وأنصاره
بأنفسهم وأموالهم وخزائنهم وعساكرهم وآلاتهم وعددهم فيجب الدعاء للدولة
العباسية على كل مسلم والذي ما لم يكونوا باغيا خارجا عليهم فالواجب على كل
مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها واعانتهم في اظهار الشريعة واحياء
السنن واماتة البدع والدعاء لهم بالتوفيق فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير
وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم ثم ان هذا
القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد اما أن يكون باغيا خارجا على السلطان
فيجب قتاله وان لم يدع أنه المهدي ويمكن أن الله أقامه لاخراج الانكليز من مصر
اعانة للدولة العباسية ولا يريد الخروج على السلطان بل انما يريد أن يكون من جملة
رعايا الدولة العباسية ثم يكون لاعانة المهدي ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال
السيوطي في رسالته العرف الوردي في علامات المهدي بانه ذكر فيها حديثا أخرجه
نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال يكون أمير بافريقية اثني عشرة سنة ويكون بعده
فتنة فيملك رجل علوها عادلا ثم يسير الى المهدي فيؤدي اليه الطاعة ويقاتل عنه
فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه
وقيل ان الذين يسمعون انه هو المهدي اغاهم بعض أشياعه ليرغبوا عامة الناس في
اشاعة والدخول في طاعته وأما هو فانه لم يدع أنه المهدي بل قال بعض من اجتمع
به انه سمع منه بلا واسطة انه يقول اني لست أنا المهدي المنتظر وانما أنا قائم لاظهار
الحق واقامة الشريعة واما ان ثبت انه يدعي انه هو المهدي المنتظر فالامر مشكل
لان المهدي المنتظر لا يدعي أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس

لتحصلها ولا يبايع الا وهو مكره بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك ان الله يبتلي بعض من احبه من صالحي عباده عليه وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطالبونه فيفر منهم مرارا ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة أحدا من حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روى في هذا الباب وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد ابن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد وبيعته في أعناق المسلمين وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الاسلامية مقيمين للشريعة السنية محبين للصحابة وأهل البيت ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية ولا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ثبت الله دولته وأيد سلطنته فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد وأيضا من علامات المهدى المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي وأما قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل وقد تابع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدى فكل منهما قال كما قال السيوطي ان قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر فان كثيرا ممن ادّعى كل منهم أنه المهدي كان ظهورهم بالمغرب كمحمد ابن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك افريقية ومصر وخلق كثير غيرهذين ادّعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد وهو الذي يكون من ولد فاطمة يكون ظهوره بمكة والناس بلا خليفة ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد ما ذكره العلامة ابن حجر

في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة حيث قال ما كنا نقول به قال إن
المهدي من ولد العباس وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي ابن عبد الله
المنصور سابق في الأحاديث المذكورة فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي
صلى الله عليه وسلم وقال إنه من أحسن خلفاء بني العباس وهو قوم كعمر بن
عبد العزيز في بني أمية ثم قال ابن حجر ويحمل القول هذا القائل و يمكن أنه مهدي
من ولد العباس وورد عن المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي
الله عنها و يكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام و يعضد
هذه العبارة صريحة في تعدد المهديين و جمع به قوم بين الأحاديث التي فيها أنه
من ولد فاطمة والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال إن
المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه و من ولد العباس من جهة أمه بأن
يكون أمه أو أم بعض آبائه من ولد العباس وكلام ابن حجر في رسالته
التي في علامات المهدي يقتضي أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد
فإنه قال فيها والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود
المهدي المنتظر وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه وهو
المراد حيث أطلق المهدي وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر
و يكون بعد المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا أمثاله وهو الآخر في الخمسة
وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل في علامات المهدي كلامهم يقتضي
كلامهم تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد وإنما قالوا ذلك المعدل به
قيل في محمد بن الحنفية إنه المهدي وقيل في عمر بن عبد العزيز إنه المهدي وقيل
في محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط إنه
المهدي فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه المهدي فيحسب بذلك تعدد المهديين قطعا
لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر فالمهدي المنتظر واحد وهو لم
يظهر إلى الآن ويمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ممن كان من ولد خاتم
بالمغرب ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر لأنه إنما يظهر بمكة والناس بلا

خليفة كما تقدم ايضاحه وكذلك لا يصح قول من قال انما يكون ظهور المهدى المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة ابن خلدون فى تاريخه فانه قال ان القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وانما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الاقصى وعمد الى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمى المنتظر تلبيسا على العامة هنالك عاملا فلوهم من الحدثان بانتظاره هنالك وأفهمهم أن من ذلك المسجد تكون أصل دعوته فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ثم خشى رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا اليه من قتله فى فراشه وانطفأت الفتنة (والحاصل) أن الذى تقتضيه الاحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدى المنتظر الى هذا الوقت لم يظهر وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى وبعضها باق لم يظهر ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله فى ليلته وأنه من ولد فاطمة رضى الله عنها وأنه يبايع مكرها الا انه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل وان ظهور البيعة له انما يكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره انما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة ولا يظهر ويبايع إلا والناس بلا خليفة فهذه الاشياء هى أقوى العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل فى تحقيق أمره لكن تلك الاشياء ظنية ومختلف فى كثير منها وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره ووقت ظهوره ومدة مكثه فى الارض بعد ظهوره فكل هذه الأشياء مختلف فيها فما قيل فى مقدار عمره وقت ظهوره انه ابن أربعين وقيل انه ابن عشرين وقيل انه ابن ثمانية عشر وقيل غير ذلك وقيل فى مدة مكثه بعد ظهوره انها سبع أو تسع سنين وقيل انها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك وقيل فى اسمه انه محمد وقيل أحمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه وفى بعض أمهاته من هى من ولد العباس والاحاديث التى جاء فيها ذكر ظهور المهدى كثيرة متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف

وهو الأكثر لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها تقوى بمجموعها حتى

صارت تفيد القطع لكن المقطوع به أنه لابد من ظهوره وأنه من ولد فاطمة وأنه يملأ

الأرض عدلاً نبه على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر

الإشاعة وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله ولم يرد

نص من الشارع بالتحديد وقد كثر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد

ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطؤوا في ظنهم

وتحديدهم وقد يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي إنه يصلحه الله في ليلة أن

المهدي لا يعلم نفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إراد الله إظهاره ويؤيد ذلك

أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم رسالته إلا وقت ظهور

جبريل له نهاراً جهاراً حين قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى آخرها قبل ذلك وكان

يرى منامات كثيرة بأسرار رسالته وتقويه لتحمله لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس

الرسالة حتى إنه كان كلما رأى مناماً من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله

عنها ويشكو إليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلاماً يقوى به قلبه كما هو صحيح

في كتب الحديث فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له اقرأ باسم ربك فالأولى أن

المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة إظهاره ولذلك

البيعة حتى يهديه الله

الله في ليلة ليعلم بذلك

فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة ليفتن أو يقاتل الناس

المسلمين فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد ادعى هذه

الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم وكان لهم مع الخلفاء

وقائع وحروب مذكورة في التواريخ وقد جمعت أسماءهم ووقائعهم باختصار في

رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له ولا تتم إلا

إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الصادق المصدوق الذي

لا ينطق عن الهوى وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى تاريخه كلاما فيه فوائد تتعلق بهذا المبحث فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة وحاصل ذلك أن الذين يدعون هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلا التنكيل بالقتل أو الضرب ان أحدثوا فتنة والا يسخر بهم وبذاع السخرية بهم والصفع فى الطرق أو الاسواق واما أن يكونوا من طالبى الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويعملون عليها ما لهم من الهلكة واسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند احداثهم فتنة بهذه الدعوى وقد يكون بعض من ادّعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد اظهار الحق ويخيل له انه هو المهدى فيعطى طمسه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج اليه فى إقامة الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الله لم يكتب عليه فى ذلك اثارة فتنة وانما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التى من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم الى الله تعالى بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء لكنه سبحانه وتعالى انما أجرى الأمور على مستقر العادة وانه حكيم عليم فاذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح فى هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك فى طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العائق وتنقطع به المهالك لان أمر الله لا يتم الا برضاه واعانته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك فى ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية وفى الحديث الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه واذا كان هذا فى الانبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق لهم العوائد فى الغلبة بغير عصبية والغفلة عن هذا هى أكثر أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر

من العامة والفقهاء فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون
إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر
بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله تعالى فيكثر أتباعهم والمتلبسون بهم من
الغوغاء والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك
السبيل مأزورين غير مأجورين وكثير منهم يدعي أنه الفاطمي المنتظر ولم يعرف
دعواهم ويتبعهم كثير من العامة والأغمار ممن لا يرجعون إلى عقل يهديهم ولا علم
ينفعهم يصدقون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهوره
ولا يتفطنون حقيقة الأمر وأكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية وأطراف
العمران مثل الزاب بإفريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء البصائر
يقصدون رباطاً بماسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة
واعتقادهم هو أنهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعماً لا مستند لهم
البعد عن القاصية عن منار الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الأوهام
في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع لخروجه عن ربقة الدولة ومنال الأحكام
والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا الوهم وقد يقصد ذلك الموضع كثير
من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق وقد قتل الملوك والرؤساء
كثيراً منهم ثم قال أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبلي قال خرج برباط ماسة لأول
المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي
التصوف يعرف بالتويزري وادعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل
السوس من كدالة وكزولة وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة وعلاوهم دس
عليه السكسيوي من قتله بياتاً وانحل أمره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة
السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمي المنتظر
واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وارتحل إلى بلد
المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط وأخبرني شيخنا المذكور
بغريبة في مثل هذا وهو أنه صحب في حجه رجلاً من أهل البيت من سكان

كر بلاء كان متسوعا معظما كثير التلامذة وكان يتلقونه بالسفقات فى أكثر البلدان وتأكدت الصحبة بيننا فى الطريق ثم كشف لى عن أمرهم وانهم انما جاؤا من مواطنهم بكربلاء قاصدين أرض المغرب لاظهار دعوى الفاطمى المنتظر ولما وصل الى المغرب وعاين دولة بنى مرين وكان أمير المسلمين يوسف بن يعقوب فى ذلك الوقت مبارز التلمسان فاشار أوائقوه ملكه قال ذلك الرجل لاصحابه ارجعوا انما فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وهذا يدل على أن ذلك الرجل استبصر بأن الامر لا يتم الا بالعصبية الكافية لاهل الوقت فلما علم أنه غريب فى ذلك الموطن ولا شوكة له وان عصبية بنى مرين فى ذلك الوقت لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقى عليه أن يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسيما فى المغرب الا أن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمى ولا غيره وانما ينزع منهم فى بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتنى بذلك ويكثر تابعوه وأكثر ما يعتنون باصلاح السابلة لما أن أكثر فساد الاعراب فيها لما فيهام من طيب معاشهم فيأخذون فى تغيير المنكر بما استطاعوا الا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما أن توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون به الاقصار عن الغارة والنهب ولا يعقلون فى توبتهم واقبالهم الى مناحى الديانة غير ذلك لانها المعصية التى كانوا عليها ومنها توبتهم وتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمق فى فروع الاقتداء والاتباع وانما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش أقصى قصدهم وشتان بين هذا الطالب للدنيا وبين من أراد اصلاح الخلق لكل ما يحتاجون اليه من أمر دينهم فاتفاقهما ممتنع لا تستحكم للاول صبغة فى الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل ويختلف حال صاحب الدعوة منهم فى استحكام دينه وولايته فى

معه دون بابعه فاذا هلك اهمل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك لما فرعه رجل من كتب من سليم يسمى قاسم بن مرة فى المائة السابعة ثم من بعده لرجل من بادية رياح كان أسند ساس الاول وأدوم طريقة فى بيعته ومع ذلك لم ينتشر أمرهما وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا تتم لهم ولا لمن بعدهم شىء من أمرهم وأول ابتدا هذه النزعة فى الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الامين والمأمون ابنى الرشيد وقتل الامين وكان المأمون بخراسان فأبطأ عن مقدم العراق وأراد انتزاع الخلافة من بنى العباس وجعلها للعلويين فجعل ولى عهده علياً الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فهاج بذلك فتن كثيرة ببغداد واجتمع بنو العباس وكبروا وجبهوا النكير على المأمون وتداعوا للقيام وخلعوا وبايعوا ابراهيم ابن المهدى فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد وانطلقت أيدى الدعار بها من الشطار والحربية على أهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت أيديهم من نهاب الناس وباعوها علانية فى الاسواق ورفع أهلوها أمرهم الى الحكام وقد ضعف أمرهم فلم ينصفوهم فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فأجابه خلق وقاتل بهم اهل الدعارة وغلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر يعرف بسهل بن سلامة الانصارى وعلق مصحفاً فى عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار فقال له القائم الاول وهو خالد الدريوش أنا لا أعيب على السلطان فقال له سهل لكنى أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان وذلك سنة احدى ومائتين وجهز ابراهيم بن المهدى بعد أن بايعه بنو العباس جيشاً فقاتل سهل بن سلامة فغلبه

وأسره وانحل أمره سريعا وذهب ومحا سمسه ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولا يعرفون مايحتاجون اليه فى اقامته من العصبية ولا يشعرون بعنة أمرهم ومآل أحوالهم ثم ذكر كثيرا من الاحاديث التى جاءت فى المهدى وضعف كثيرا منها ثم قال والحق الذى يتقرر لديك أنه لاتتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجد أمم آخرون وقد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الا مابقى بالحجاز فى مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من حسن وحسين بن جعفر منتشرون فى تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة فان صح ظهور هذا المهدى فلا وجه لظهور دعوته الا أن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم فى اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية لاظهار كلمته وحمل الناس عليها وأما على غير هذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ماأردت نقله من كلام ابن خلدون ورأيت فى كثير من الرسائل المؤلفة فى شأن المهدى أنه لايتم أمره الا بالقيام بالشريعة الغراء وانه يكون على مثل ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ويفيض الله على الخلق نورا ببركته فيتبعونه ويقتدون به فى جميع شؤنه وأفعاله وأقواله وأحواله حتى يكون حالهم كحاله ووصفهم كحال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ووصفهم لان الناس على دين ملوكهم فاذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فانهم كلهم يستقيمون واذا زهد فى الدنيا يزهدون وملاك الامر كله هو الزهد فى الدنيا وعدم التبسط فيها ومن الامثال القديمة الناس على دين ملوكهم وذكروا أن السبب فى هذا المثل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغوفا بتشييد البنيان وكان الناس فى زمانه ليس لهم همة إلا تشييد البنيان والقصور وفى ذلك طول الامل والغرور ثم ولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان فكان مشغوفا بكثرة الاكل وتنويع الاطعمة وتكثير الألوان فكان

وأصحابه وماداموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم أمر وقد صح عن سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان كثيرا ما يقول فى خطبه ومجالسه ان هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه فهذه العبارة نص صريح فى أنه لا يستقيم أمر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضى الله عنهم ومادام الخليفة الاعظم يتبسط فى الدنيا ويأخذ من بيت المال ماأراد مما زاد عن حاجته الضرورية ويتكرم فى العطاء بما شاء على من شاء ولا يراعى فى ذلك القواعد المشروعة ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين فان الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم أمرهم ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون لتحصيلها أنواع الخطيئات لأن الله تعالى أجرى عادته بين العباد أن يكون الناس على دين ملوكهم فهذا هو السبب فى عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم وأما فى زمن المهدى فانه يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ويزهد فى الدنيا ولا يأخذ من بيت المال إلا بقدر الضرورة والناس يكونون فى زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل فظهر بهذا أنه اذا زهد الخليفة الاعظم فى الدنيا وعدل فى بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته الضرورية من غير زيادة له ولخدمه وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة الضرورية أيضا من غير زيادة يتبعه على ذلك كافة الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الاحرار والتجار والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لا يتصرف فى شئ منه الا بحسب المصلحة العائدة النفع على الاسلام والمسلمين فهو مثل قيم مال اليتيم لا يتصرف إلا بالمصلحة الظاهرة فان كان له مال خاص يستغنى به عن الاخذ من مال المسلمين فلا يأخذ شيأ وان لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة والضرورة كما قال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) فاذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات

ويتركون البلاد بالسهولة فسر اجتماعهم على نصر الدين وينصرون كل
عسكر المجهز للاسلام ويقوى عزمهم على قتال أعدائهم من القوم الكافرين
وأما اذا تسلط الخليفة في مال المسلمين وتبعه الوزرا والامرا والقضا والعلما
فلا تطيب قلوب عامة المسلمين ببذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم في قتال
الكافرين حيث يرون ملوكهم لم يساووهم وما كان انتصار الصحابة على أهل
الكفر

أمرائهم

لما استبد الملوك بالاموال وتسلطوا فيها وترفعوا على عامة المسلمين وأكثروا من
المكوسات والظلم بأخذ أموالهم وصرفوها في غير مصارفها فشق على المسلمين
شرهم عليهم وترفعهم عليهم بأموالهم التي أخذوها منهم بغير حق ولا يظن ظان أن
الخلفا الراشدين انما فتحوا الامصار وانتصروا على الكفار بكثرة الصلاة
والصيام بل انما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تسلطهم عليها وعدلهم في بيت المال
والحرص على مساواتهم للمسلمين فطابت قلوب عامة المسلمين فبذلوا أموالهم
وأنفسهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد حتى كانت المرأة تجهز ابنها
للغزو من أموال أنفسهم ويجهزون بأعيرتهم ان قدروا على ذلك وتطيب نفوسهم
بذلك وتأبى نفوسهم أن يأخذوا من بيت المال سيما اذا كان لهم ما يفي بذلك لأنهم
يرون أمراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشؤون واذا سلك الخليفة والامرا
والعلما هذا المسلك ترتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب وينتفي عنهم
جور الحكام لأنهم انما يجورون عليهم ليتسلطوا في أموالهم فاذا تركوا هذا واذا
ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال تسخو نفوس الاغنيا باعطا
الفقرا ومواساتهم وتنبعث نفوس الجميع بأداء العمل فلا يبقى في المسلمين ...
ويعتاد الناس الحق وينصفون من أنفسهم فتزول المخاصمات الى أن ...
ويقل مرافعاتهم الى الحكام ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف ويرتفع كل شقاق
واختلاف واذا عدل الخليفة في بيت المال سلك في ذلك المسلك في الدنيا طريق

النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كان قدوة للمسلمين ويكون له من الاجر مثل أجر من عمل عمله من المسلمين وكان سببا في اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم وانتصارهم على القوم الكافرين ويكون له في ذلك من الله الرضا والرضوان في الدنيا وجنات النعيم وتقر بذلك عين النبي صلى الله عليه وسلم فانه بالمؤمنين رؤف رحيم ويستحيل أن يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك لانهم انما يفعلون ما يفعل وحالهم عن ذلك لا يحول والتبسط في الدنيا من أعظم أسباب الفسق الموجب للهلاك قال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الامر وليس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق ولا منع من ادراك الحق ولا تعويق وينال بعيشته من الاكل والشرب والنكاح نهاية الراحة والتلذذ والحاصل أن استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين في عدله في بيت المال هو السبب الاعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الاحوال وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل ولو صام النهار وقام الليالي الطوال وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى للمسلمين فلاح ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح (ولنذكر لك نبذة مما كان من الزهد وترك التبسط في الدنيا مما كان صادرا من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لتعلم أن انتظام أمور المسلمين بدون ذلك محال واتحادهم بغير سلوكه مكابرة وجدال

﴿ خاتمة نسأل الله حسنها نذكر فيها ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة ﴾

ذكر ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتصاد في الدنيا وما كان عليه من مكارم الاخلاق * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان

فصل شيء ولم يجد من يعطيه وجاءه الأمل لم يأو إلى منزله حتى يسر أمره إلى من يحتاج
إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع
سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى
إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب
ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في
وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب
ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين
يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه
عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد
يزيده في عدد من معه فأبى وقال أنا لا أنتصر بمشرك ووجد من فضلاء
أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة
ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه
مرة من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال
وإن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكل
وإن وجد حلوا أو عسلا أكل وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو
رطبا أكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز
بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة
ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس أشد الناس
تواضعا وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من
أمور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف
ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر ويردف
خلفه عبده أو غيره ويركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء
ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى
في أقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل

المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق أهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب وكان أكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل ما وجد وكان أحب الطعام اليه ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل بأصبعين ويقول ان ذلك أكلة الشيطان وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة أخي يونس عليه

السلام قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول يا عائشة إذا طبخت قدرا فأكثري
فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد له وكان لا
يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان يلعق بأصابعه الصحفة
ويقول آخر الطعام أكثر بركة وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر وكان
لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي
الطعام البركة وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك
الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة
غسل يديه غسلا جيدا ثم مسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات
له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب
عبا وأتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في
إناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب
بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله وكان يعجبه
الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين
ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل
الأزرار في الصلاة وغيرها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء
ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة
سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه
بين كتفيه وربما أم بها الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الإزار الواحد
ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما
صلى بالليل في الإزار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض
نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء أسود فوهبه لإنسان فقالت له أم سلمة رضي
الله عنها بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت
شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده وقال أنس رضي الله عنه وربما رأيته
يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان صلى الله عليه وسلم يختم وربما

شرح وفى حاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم علي فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس وما رؤي قط مادا رجليه بين أصحابه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه أحد الا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى لكل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجالسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الاولاد واللاتى لم يلدن

يبدي لهم البكاء ويكثر السكات فيسلي به قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا
وأسرعهم رضا وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع النا
للناس ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك
اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وأمسك بعض
العلما زياد وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وكان
إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله تعالى وتبرأ من الحول والقوة واستنزل
الهدى فيقول اللهم أرني الحق حقا فأتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا
لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق
بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وكان علي رضي الله عنه إذا وصف
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق
الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط
على الإسلام إلا أعطاه وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين
فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل
شيئا قط فقال لا وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها
فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذي العرش
إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما قفل صلى الله
عليه وسلم من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت
رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد
هذه العضاه نعما لقسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا صلى الله عليه
وسلم وسيرته المذكور فيها محاسن صفاته صلى الله عليه وسلم طويلة وفي هذا القدر

كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة ﴾

لما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أين تريد قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي قال انطلق يفرض لك أبو عبيدة أي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة ففرض له قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكيسهم وكسوة الشتاء والصيف وقال اذا أخلقت شيأ رددته وأخذت غيره وفي رواية ففرض له نصف شاة وما كساه في البطن والظهر وفي رواية أنهم فرضوا له ألفين وخمسمائة من الدراهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ذكرا أيضا في ذلك وفرضا له مثل ما قاله أبو عبيدة وفي رواية ان عمر وعليا لما فرضا ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه انما أنتما رجلان من المهاجرين لا أدري أرضي بذلك بقية المهاجرين أم لا فانطلق أبو بكر فصعد المنبر فاجتمع الناس فخطبهم وذكر لهم ذلك فقال الناس رضينا وأخرج ابن سعد أيضا عن ميمونة قال لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه جعلوا له ألفي درهم ثم نظروا فرأوا ذلك لا يكفيه وعياله فزادوه خمسمائة فلعل الفرض الاول كان ألفا وخمسمائة ثم زادوا في ذلك حتى أوصلوه ألفين وخمسمائة درهم في كل سنة وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال أبو بكر رضي الله عنه لما احتضر لعائشة رضي الله عنها يا بنية انا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لأنفسنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من فيء المسلمين لا قليل ولا كثير الا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثي بهن الى عمر بن الخطاب وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله

عنهما قال لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا
نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا
ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فإذا مت فاردديه إلى عمر فلما مات أبو بكر
رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر لقد
أتعبت من جاء بعدك وفي رواية فبكى عمر رضي الله عنه حتى سالت دموعه
إلى الأرض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده وتكرر ذلك
وأمر برفعها إلى بيت المال فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يرجعه عمر إلى عيال أبي
بكر فقال لعمر سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبدا ناضحا وسحق قطيفة ثمنها
خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال عمر لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج أبو بكر منه وأتقلده أنا وفي رواية أن عمر
قال ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر في حياته وأتحملها من بعد موته أي لا تأمر
بردها خوفا من الوقوع في الإثم وأتحمل إثمها بعده وفاته ثم قال رحم الله أبا بكر لقد
كلف من بعده تعبا وفي رواية وأوصى أبو بكر أن يرد بعد وفاته جميع ما أخذه من
بيت المال لنفقته وفي رواية فلما حضرته الوفاة أوصى أن تباع أرض له ويصرف
ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين وروي أن زوجته اشتهت حلوا فقال ليس
لنا ما نشتري به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به قال افعلي
ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك لتشتري به حلوا
أخذه فرده إلى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بقدر
ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له رضي الله عنه قال
المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب في صفة أبي بكر رضي الله عنه كان
أزهد الناس وأكرمهم تواضعا في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لباسه
في خلافته الشملة والعباء وقدم عليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن
وعليهم الحلل والبرد المثقل بالذهب والتيجان والحرير فلما شاهدوا ما عليه من اللباس
والتواضع والتنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان

عليهم وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفناه من البرود والحلى فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤى ذو الكلاع يوما فى سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال أردتم أن أكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام لا ها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد فى الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر انتهى كلام المسعودى ولما توفى أبو بكر رضى الله عنه دعا عمر رضى الله عنه الامناء ودخل بهم بيت المال منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه لا دينارا ولا درهما وقيل وجدوا دينارا سقط من غرارة فترحموا عليه قال أبو صالح الغفارى كان عمر يتعهد امرأة عمياء فى المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها ففعل ما أرادت فرصده عمر فاذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضى أشغالها سرا وهو خليفة فقال أنت هو لعمرى ولما ولى الخلافة وارتدت العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القصة فجاءه على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك والله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام نظام فرجع وأمضى الجيوش مع خالد بن الوليد رضى الله عنه قال ابن الأثير وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما رعيت له وربما خرج هو بنفسه فيها وكان يحلب للحى أغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منايح دارنا فسمعها فقال بلى لعمرى لأحلبنها لكم وانى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه فكان يحلب لهم وكان ذلك لما كان نازلا بالسنح فى عوالى المدينة عند زوجته حبيبة بنت خارجة فكان يغدو على رجليه الى المدينة وربما ركب فرسه ويأتى المدينة فيصلى بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السنح فمكث على ذلك بعد أن بويع بالخلافة ستة أشهر ثم تحول

الى المدينة وقال كان في بعض الايام يغدو الى السوق فيبيع ويبتاع فرأى ذلك
يشق عليه ثم قال ما يصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في
شأنهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم وما يحج
به ويعتمر ثم أوصى أن يباع أرض له ويصرف ثمنها للبيت المال عوض ما أخذه
من مال المسلمين وفي خلافته اتبع معدن بني سليم وكان يسوي في قسمته
بين السابقين الاولين والمتأخرين في الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى
فقيل له في تقديم أهل السبق على قدر منازلهم فقال انما أسلموا لله ووجب
أجرهم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشتري الاكسية
ويفرقها في الارامل في الشتاء ولما أسلم رضي الله عنه كان له أربعون ألفا أنفقها
في الله مع ما كسب من التجارة واعتق في أول الاسلام سبعة نفر كلهم كانوا
يعذبون في الله لما أسلموا منهم بلال وعامر بن فهيرة رضي الله عنهما وكان أبو بكر
رضي الله عنه أجود الصحابة رضي الله عنهم لانه جاء بجميع ماله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وما أبقى لنفسه شيأ وتخلل بالعباءة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول
أكيس الكيس التقوى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الامانة
وأكذب الكذب الخيانة وكان رضي الله عنه اذا أكل طعاما فيه شبهة ثم علم به
استقاءه من بطنه ويقول اللهم لا تؤاخذني بما شربته العروق وخالط الامعاء قال
الشعراني في الطبقات وكان رضي الله عنه يقول ان هذا الامر لا يصلح آخره
الا بما صلح به أوله ولا يحمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وهذا نص صريح
في أن أمر هذه الامة لا يصلح الا اذا كانوا على سيرة الصحابة وكان خلفهم كالخلفاء
الراشدين فيسير بسيرهم وكان رضي الله عنه يقول ان العبد اذا دخله
العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة وكان رضي
الله عنه يقول يا معشر المسلمين استحيوا من الله تعالى فوالذي نفسي بيده اني
لأظل حين أذهب الى الغائط في الفضاء متقنعا استحياء من ربي عز وجل وكان
رضي الله عنه يقول لمن كبر سنه تقدم يتوكل وكان رضي الله عنه يأخذ

يطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وكان رضي الله عنه اذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا أسأل الناس شيأ وكان رضي الله عنه يقول للصحابة رضي الله عنهم قد وليت أمركم ولست بخيركم فأعينوني واذا رأيتموني استقمت فاتبعوني واذا رأيتموني زغت فقوموني وغلب عليه الخوف حتى كان يشم في فيه رائحة الكبد المشوي ولما بويع أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني وكان رضي الله عنه لم يشرب خمرا قط لا جاهلية ولا اسلاما ولم يسجد لصنم قط ولما سمع الحسن البصري قول أبي بكر رضي الله عنه قد وليت عليكم ولست بخيركم قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب ياليتني كنت مثلك والله لوددت أني شجرة الى جنب طريق مر علي بعير فأخذني فلاكني ثم ردردني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا وأخرج ابن السماك والحافظ السلفي وغيرهما أن أبا بكر رضي الله عنه بعدما بويع وبعد أن بايعه علي رضي الله عنه وأصحابه أقام ثلاثا يقول الناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره فيقوم علي رضي الله عنه في أول الناس يقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يؤخرك وقوله قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في الصلاة حيث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقال الصحابة رضي الله عنهم أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وفي رواية احتجب أبو بكر رضي الله عنه عن الناس ثلاثا يشرف عليهم كل يوم فيقول قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم فيقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذا الذي توجد وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن
أبا بكر رضي الله عنه قال في خطبته بعد أن بويع والله ما كنت حريصا على الإمارة
يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكني
أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة
إلا بتقوية الله تعالى وقوله أشفقت من الفتنة يعني لما رأى الناس اختلفوا بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة فأراد المهاجرون أن يكون منهم وأراد
الأنصار أن يكون منهم خشي أبو بكر رضي الله عنه أن يفتتنوا فلما طلب منه أبو
عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن يبايعه الناس بايعهم خوفا من افتتانهم
وقال في خطبته أيضا أطيعوني ما أطعت الله تعالى ورسوله فإذا عصيت الله
ورسوله فلا طاعة لي عليكم وكان أبو بكر رضي الله عنه قبل أن يبايعوه أخذ بيد
أبي عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال للناس بايعوا أحد هذين
الرجلين في ضمن كلام كثير ذكر قال عمر والله ما كرهت من كلامه كلمة غير هذه
ولأن أقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم أحب إلي من أن أومر على قوم فيهم
أبو بكر رضي الله عنه وقال أبو عبيدة والله لا نتولى عليك هذا الأمر وأنت أفضل
المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وهي أفضل دين
المسلمين أبسط يدك نبايعك فبايعه أبو عبيدة وعمر ثم تبعه الناس وأخرج الحافظ
أبو ذر الهروي والدارقطني وغيرهما من طرق كثيرة عن أبي جحيفة رضي الله
عنه قال دخلت على علي رضي الله عنه في بيته فقلت له يا خير الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا أبا جحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك يا أبا جحيفة لا يجتمع حبي وبغض
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قلب مؤمن وكان أبو جحيفة من أخص أصحاب
علي رضي الله عنه الملازمين له وهذا الذي ذكره عن علي رضي الله عنه من تفضيل
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كان يخطب به علي رضي الله عنه على منبر الكوفة
زمن خلافته ورواه عن علي رضي الله عنه نيف وثمانون رجلا من أصحابه وفصله

رواه عنه بضع وثمانون رجلا من أصحابه وأخرج الامام أحمد رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه بعد شهر من خلافته نادى في الناس الصلاة جامعة ثم خطب فقال أيها الناس وددت أن هذا الامر كفانيه غيري وفي رواية إني وليت هذا الامر وأنا له كاره والله لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به إنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فإن رأيتموني زغت فقوموني وفي رواية فاذا رأيتموني لا أوازي أبصاركم وأبشاركم وفي رواية إنما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني قال الامام مالك رضي الله عنه لا يكون أحد إماما أبدا إلا على هذا الشرط (وكان عثمان بن عفان) كاتب أبي بكر رضي الله عنهما وربما كتب له أيضا زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم وحنظلة بن الربيع رضي الله عنهم فلما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه استخلف على الامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يكتب صحيفة الاستخلاف وهذه صورتها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيه حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا أي لم أقصر فيه وفي رواية فاني والله ما آلوت من جهدي الرأي فان عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال أشرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به وفي رواية أفترضون بمن استخلفته عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة فقال الناس قد رضينا يا خليفة رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا نرضى إلا أن يكون عمر ابن الخطاب قال أبو بكر فانه عمر فبايع علي رضي الله عنه وبايع الناس ورضوا به فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده ودعا فقال اللهم إني لا أريد بذلك إلا إصلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على ما رشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولاته واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته ومما أوصاه به أبو بكر رضي الله عنه لما استخلفه أن قال له إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصاه بتقوى الله تعالى ثم قال يا عمر إن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا الحق أن يكون ثقيلا ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله تعالى ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيده إلى التهلكة ألم تر يا عمر إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون منهم وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من شيء فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه اللهم إني لا أريد بذلك إلا إصلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على ما رشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولاته واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته وأخرج ابن

سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر
حين استخلف عمر بن الخطاب وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين والعزيز حين تفرس في يوسف فقال
لامرأته أكرمي مثواه قال الزهري استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما فقام
بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها في أيام خليفة
بعده وفتح الله في أيامه الشام ومصر والروم والاسكندرية والعراق وفارس وقد
أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في
صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني أنزع بدلو على قليب
فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفري فريه
حتى ضرب الناس بعطن قال النووي في شرح مسلم في هذا الحديث اشارة الى
خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والى كثرة الفتوحات وظهور الاسلام في
خلافة عمر رضي الله عنه وفي قوله في أبي بكر رضي الله عنه فنزع ذنوبا أو ذنوبين
وفي نزعه ضعف اشارة الى قصر مدة خلافته وقوله والله يغفر له ليس فيه اشارة
الى نقص أو تقصير أو ذنب وقع منه وانما هي كلمة تقولها العرب عند الاعتناء
بالأمر وقوله ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا أي دلوا عظيما الى آخر
الحديث اشارة الى طول مدة خلافته والى كثرة انتفاع الناس بها واتساع دائرة
الاسلام بكثرة الفتوحات وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وقوله عبقريا أي
رجلا قويا شديدا من الناس يفري فريه أي يعمل عمله حتى ضرب الناس بعطن
أي رووا وضربوا بعطن والعطن ما تناخ به الابل اذا رويت ومن أعظم فضائل
أبي بكر رضي الله عنه قتال العرب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم والذين منعوا الزكاة وقال والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي
وإن منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له عمر رضي الله عنه وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها
عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله تعالى فقال أبو بكر والله لأقاتلن
من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله
ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق قال سيدي
محي الدين ابن العربي في المسامرات لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب
أبو بكر رضي الله عنه الزكاة فكفر قوم وقالوا انما كنا ندفع أموالنا الى محمد
فما بال ابن أبي قحافة يسألنا والله لا نعطيه منها شيئا أبدا فاستشار أبو بكر أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع القوم على التمسك بأيديهم في أنفسهم وأن
يتركوا الناس مع ما اختاروا لأنفسهم وعلموا أنهم لا يقدرون على من ارتد من
المسلمين فقال أبو بكر رضي الله عنه لو لم أجد أحدا يوازرني لجاهدتهم بنفسي
وحدي حتى أموت أو يرجعوا الى الاسلام ولو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم حتى ألحق بالله تعالى فلم يزل أبو بكر
رضي الله عنه مجاهدا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعا
الى الاسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه بعث خالد بن الوليد الى بني أسد وغطفان
فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون الى الاسلام ثم بعث خالدا أيضا
الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ودام القتال أياما ثم قتل
مسيلمة الكذاب لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه * وفي السنة
الثانية من خلافته بعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وكانوا قد ارتدوا
فقاتلهم ونصر الله المسلمين عليهم وقتل من قتل من المرتدين ورجع من بقي
منهم الى الاسلام وبعث عكرمة بن أبي جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا أيضا
وبعث المهاجر بن أبي أمية الى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد الانصاري الى
طائفة آخرين وما توفي أبو بكر رضي الله عنه حتى رجع العرب كلهم الى الاسلام
وابتدأ التجهيز لفتوح الشام وقتال الروم حتى ان فتح الشام كان ليلة وفاة أبي بكر
رضي الله عنه ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال والله الذي لا إله الا هو لولا ان أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية والثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيش أسامة ابن زيد رضي الله عنه ليسير في سبعمائة الى الشام فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه ذلك الجيش وارتدت العرب حول المدينة واجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لابي بكر رضي الله عنه رد هذا الجيش كيف توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والله الذي لا إله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده فوجه أسامة فجعل أسامة لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد الا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام واستدل العلماء على عظم علم أبي بكر رضي الله عنه بقوله والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وبقوله والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه وقال العلماء أيضا ان أبا بكر رضي الله عنه كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم لانهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسئلة الا هو ثم ظهر لهم بمباحثته أن قوله هو الصواب فرجعوا اليه واستدلوا بتلك أيضا على عظم شجاعته رضي الله عنه بتصميمه على قتالهم من قوله لاجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي ومما يدل على عظم شجاعته ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته لجميع الصحابة ولم يثبت ذلك اليوم أحد غيره وما ثبتوا الا بعد ذلك الا بتثبيته والقصة مشهورة فلا حاجة لذكرها وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه دخل عليه وهو مسجى فقال ما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحب الى من هذا المسجى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة لو وزن ايمان أبي بكر بايمان الامة لرجحهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخبرا عن نفسه انه ما سابق أبا بكر الى خير الا سبقه أبو بكر رضي الله عنهما وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال

أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر إن أبا بكر أول من جمع بين اللوحين لأن أبا بكر رضي الله عنه لما كان قتال أهل اليمامة وقتل كثير من الصحابة قال أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن من الرقاع والأكتاف والكتب وصدور الرجال فجمع في صحف إلى أن كان زمن خلافة عثمان رضي الله عنه فجمع في المصاحف فما جمعه عثمان إلا من الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنهما وكان رضي الله عنه جعل ولاية بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث حثيات فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فجئت فأخبرته فقال خذ فأخذت مقدارا فوجدت عدد تلك الدراهم التي أخذتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة قال له الناس ألا ندعوا لك طبيبا قال قد أتاني وقال لي أنا فاعل لما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه وكان سبب مرضه أنه سمه يهودي في أرز وقيل في حريرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه فأكل هو والحارث بن كلدة طبيب العرب فكف الحارث وقال لأبي بكر ارفع يدك والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد وقيل سبب موته سم الحية التي لدغته في الغار فعرض عليه أثر قبل وفاته ولا مانع من تعدد هذه الأسباب وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا وحزنا فما زال جسده ينقص حتى مات وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا نتوقع

من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر رضى الله عنه وكان ابتداء مرض أبى بكر الذى منعه من الخروج أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضى الله عنه قعدت عند رأسه فتمثلت بقول القائل

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال لا تقولى هذا ولكن قولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ثم قال انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما فكفنونى فيهما فان الحى أحوج الى الجديد من الميت وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفن ليلا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها وكان آخر ما تكلم به توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ولما توفى أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المحب الطبرى فى الرياض النضرة أخرج الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الخوارزمى وابن السماك عن أسد بن صفوان وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة عليه بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول انا لله وانا اليه راجعون انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر رضى الله عنه وهو مسجى فقال رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء فى دين الله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم

هشاوهشاوريحه وفضلا وأشرفهم منزله وأكرمهم بطنه وأشفقهم عليه فجزاك الله
عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا كنت عنده بمنزلة السمع
والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في تنزيله صديقا فقال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأخرج البزار وابن
عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى الذي جاء
بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وجاء مثل
ذلك في آيات كثيرة من آيات القرآن العزيز في ذلك ما أخرجه الحاكم والطبراني
أن أبا بكر رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله تعالى فأنزل الله تعالى
وسيجنبها الأتقى الذي إلى آخر السورة قال ابن الجوزي أجمعوا على أنها نزلت في
أبي بكر رضي الله عنه وفيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمة والأتقى هو الأكرم
عند الله تعالى لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم والأكرم عند الله تعالى
هو الأفضل فدلت الآية على أنه أفضل هذه الأمة وجاءت أحاديث كثيرة صريحة
بأن سورة والليل إذا يغشى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أمية بن خلف
وذلك أن أمية بن خلف كان يعذب بلالا رضي الله عنه لما أسلم فاشتراه أبو بكر
رضي الله عنه وأعتقه فأنزل الله السورة فقوله تعالى إن سعيكم لشتى أي لداخل
فيه أبو بكر رضي الله عنه وأمية بن خلف أي إن سعي أبي بكر وأمية مفترق افتراقا
عظيما فشتان ما بينهما ثم شرح ذلك وبينه بالآيات التي بعد هذه الآية فقوله فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى هو أبو بكر رضي الله عنه
وقوله تعالى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى هو أمية بن
خلف وكذا قوله تعالى وما يغني عنه ماله إذا تردى وقوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى
الذي كذب وتولى كل هذه الآيات في أمية بن خلف وختم السورة بقوله تعالى
وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وهو أبو بكر رضي الله عنه وتأمل قوله تعالى

وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فانها تدل على كمال
اخلاص أبي بكر رضى الله عنه ولهذا عقب ذلك بقوله ولسوف يرضى ولاشئ
أعلى من هذا الوعد من الرب الكريم ومن الآيات قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى
الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم
تروها أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر رضى الله عنه ومن ثم
قالوا من أنكر صحبته فقد كفر بالاجماع ومن الآيات الدالة على صحة خلافته قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على
خلافة الصديق رضى الله عنه وقد أخرج ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن عبد الحميد
المهرى أنه قال ان خلافة أبى بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى كتاب الله
تعالى فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض الآية ومن الآيات الدالة على خلافته رضى الله عنه قوله تعالى قل للمخلفين
من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان
تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما فقد
أخرج ابن أبى حاتم وابن قتيبة ان هذه الآية حجة على خلافة الصديق رضى الله
عنه والقوم المذكورون فى الآية هم بنو حنيفة الذين ارتدوا بعد وفاة النبى صلى
الله عليه وسلم واتبعوا مسيلمة الكذاب وأبو بكر هو الذى دعا المخلفين من
الاعراب الى قتالهم قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى امام أهل السنة سمعت أبا
العباس بن سريج يقول خلافة الصديق رضى الله عنه فى القرآن فى هذه الآية
قال لان أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا اليه الا والداعى
اليه أبو بكر رضى الله عنه وأول ما دعا اليه قتال أهل الردة ومانعى الزكاة فدل
على صحة خلافة أبى بكر رضى الله عنه وافتراض طاعته لان الله تعالى يقول
فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وأخبر أن المتولى عن ذلك يعذب بقوله وان

سوا کانوا لہم من قبل بعد نکم عذابا ألیما قال ابن کثیر ومن قبیل القوم بأنہم فارس والروم فأبو بکر الصدیق رضی اللہ عنہ ہو الذی دعا الی قتالہم وہو أول ما من جمہور الخوارج الی قتالہم وتمام أمرہم کان علی ید عمر وعثمان رضی اللہ عنہما وہما فرعان عن خلافة أبی بکر رضی اللہ عنہ * فان قلت یمکن أن یراد بالداعی فی الآیة النبی صلی اللہ علیہ وسلم * قلت لا یمکن ذلک مع قولہ تعالی قل لن تتبعونا ومن ثم لم یدع أولئک الذین تخلفوا الی محاربة فی حیاتہ صلی اللہ علیہ وسلم وأما علی رضی اللہ عنہ فلم یتفق لہ فی زمن خلافتہ قتال للکفار لطلب الاسلام بل کان قتالہ لمخالفی أمر الامام ورعایة حقوق طاعتہ بان ذلک الداعی الذی یکون الاجر الحسن بإتباعہ والعذاب الالیم بعصیانہ أحد الخلفاء الثلاثة وأبو بکر ہو أولہم وأصلہم وأساسہم فیلزم صحة خلافتہ علی کل تقدیر والآیات الدالة علی فضلہ وصحة خلافتہ کثیر لا حاجة الی ذکرہا من راجع تفاسیر القرآن وکتب السنة وقف علی ذلک وکان أبو بکر رضی اللہ عنہ کثیرا ما یقول فی خطبة أین الوضاة الحسنة وجوہہم المعجبون بشأنہم أین الملوک الذین بنوا المدائن وحصنوہا بالحیطان أین الذین کانوا یعطون الغلبة فی مواطن الحرب قد تضعضع بہم الدہر فأصبحوا فی ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا ولما أراد أبو بکر رضی اللہ عنہ استنفار الناس لقتال أہل الردة ثم لقتال الروم کتب الی أہل مکة بسم اللہ الرحمن الرحیم من عبد اللہ أبی بکر الی أہل مکة وسائر المؤمنین فانی أحمد اللہ الذی لا الہ الا ہو وأصلی علی محمد صلی اللہ علیہ وسلم أما بعد فانی استنفرت الناس الی الجہاد وقد کتبت الیکم والی المسلمین ان تسرعوا الی ما أمرکم ربکم تبارک وتعالی انفروا خفافا وثقالا وجاہدوا بأموالکم وأنفسکم فی سبیل اللہ ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون ہذہ الآیة أمر أحق بہا وأہلہا وأول من صدق بہا وقال بحکمہا من ینصر دین اللہ فانہ ناصر ومن بخل استغنی اللہ عنہ واللہ غنی حمید فسارعوا الی جنة عالیة قطوفہا دانیة أعدہا اللہ للمجاہدین الانصار ومن اتبع سبیلہم من الاولیا الاخیار وحسبنا اللہ ونعم الوکیل وختم الکتابة

ودفعه الى عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فأخذه وسار حتى وصل مكة
وصرخ في أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه فلما سمعوا قام سهيل
أبو عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله
وصدقنا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة بن أبي جهل الى متى نبسط
لأنفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن
السبق فاللحاق اللحاق والسباق السباق فلما استكتب في الحال ثم خرج عكرمة
ابن أبي جهل في بني مخزوم وخرج عمه الحارث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة
حتى بلغوا خمسمائة رجل وكتب أبو بكر بمثل ذلك لأهل الطائف فخرجوا في
أربعمائة رجل ثم كتب لأهل اليمن بعد فراغه من قتال المرتدين وصورة كتابه
اليهم بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من قرئ
عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن سلام عليكم أما بعد فاني أحمد
اليكم الله الذي لا إله إلا هو فان الله كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا
خفافا وثقالا قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم وقد استنفرنا من
قبلنا من المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك وشكروا وخرجوا
وحسنت في ذلك نيتهم وعظمت في الخير حسبتهم فسارعوا عباد الله الى فريضة
ربكم والى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح والغنيمة فان الله لم يرض من
عباده بالقول دون الفعل ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم
الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون حفظ الله لكم دينكم وهدى
قلوبكم وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين والصابرين والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه قال أنس فأتيت
أهل اليمن جناحا جناحا وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب أبي بكر رضي الله عنه فاذا
فرغت من قراءته قلت الحمد لله وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله بسم
الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني رسول المسلمين اليكم ألا واني قد تركتهم معسكرين

لم يمنعهم من النهوض الى عدوهم الا استبطاركم فعجلوا الى اخوانكم رحمة الله عليكم أيها المسلمون قال وكان كل من قرئ عليه ذلك الكتاب وسمع في هذا القول يحسن الرد على ويقول نحن سائرون وكانوا قد فعلوا حتى انتهت الى ذي الكلاع الحميري فلما قرأ عليه الكتاب وعلم هذا المقال دعا بسلاحه وفرسه ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالعسكر فسار حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن فسارعوا واقبلوا اليه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان من رحمة الله اياكم ونعمته عليكم ان بعث فيكم رسولا وأنزل عليكم كتابا فأحسن عنه البلاغ فعلمكم ما يرشدكم ونهاكم عما يفسدكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ورغبكم في الخير ما لم تكونوا ترغبون ثم قد دعاكم أخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الاجر العظيم فلينفر من أراد النفر الساعة فنفر بعدد كثير من أهل اليمن وقدموا على أبي بكر رضي الله عنه قال فرجعنا نحن فسمعنا فاتا نجد أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة ووجدنا ذلك العسكر على حاله ووجدنا أبا عبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر فقدمت حمير على أبي بكر رضي الله عنه ومعها نساؤها وأولادها ففرح أبو بكر رضي الله عنه بمقدمهم ولما رآهم أبو بكر رضي الله عنه قال عباد الله ألم نكن نحدث فنقول اذا أقبلت حمير تحمل أولادها ومعها نساؤها نصر الله المسلمين وخذل المشركين فابشروا أيها المسلمون فقد جاءكم النصر من الله تعالى قال وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وكان من فرسان العرب في الجاهلية ومن أشرافهم وأسدادهم ومعه جمع كثير من قومه حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه فسلم ثم جلس اليه فقال ما تنتظر بهذه الجنود فقال أبو بكر رضي الله عنه ما كنا ننتظر الا قدومكم قال فقد قدمنا فابعث الاول فالاول فان هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع قال فخرج أبو بكر رضي الله عنه يمشي فدعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له ودعا ربيعة بن الاسود بن عامر بن بني عامر بن لؤي وأوصاهم وبعثهم وقد كان أبو بكر رضي الله عنه قد قال ليعث

الكتب حدث نفسه بغزو الروم وأسر ذلك في نفسه ولم يطلع عليه أحدا فبينا هو
في ذلك اذ جاءه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله أتحدث
نفسك أن تبعث الى الشام جندا فقال نعم قد حدثت نفسي بذلك وما اطلعت عليه
أحدا وما سألتني عنه الا لشيء عندك فقال أجل اني رأيت فيما يرى النائم كأنك في
ناس من المسلمين فوق جبل فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت على قنة عالية على
الجبل فأشرفت على الناس ومعك أصحابك أولئك ثم هبطت من تلك القنة الى
أرض سهلة دمثة فيها القرى والعيون والزروع والحصون فقلت يا معشر
المسلمين شنوا الغارات على المشركين فاني ضامن لكم الفتح والغنيمة وأنا فيهم
ومعي راية فتوجهت الى قرية فدخلتها فسألوني الامان فأمنتهم ثم جئت
فوجدتك قد انتهيت الى حصن عظيم ففتح لك وألقوا اليك السلم وجعل
لك عرشا فجلست عليه ثم قال لك قائل ياسئل يفتح الله لك وتنصر فاشكر ربك
واعمل بطاعته ثم قرأ عليك اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في
دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ثم انتبهت فدمعت
عينا أبي بكر رضي الله عنه ثم قال أما الجبل الذي رأيتنا نمشي عليه حتى صعدنا منه
الى القنة العالية وأشرفنا على الناس فانا نكابد من أمر هذا الجند مشقة ويكابدون
ثم نعلو بعد ويعلو أمرنا وان نزولنا من القنة العالية الى الارض السهلة الدمثة
والزروع والحصون والعيون والقرى فانا ننزل الى أمر أسهل مما كنا فيه من
الخصب والمعاش وأما قولي شنوا عليهم الغارة فاني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فان
ذلك توجيهي للمسلمين الى بلاد المشركين وأمري اياهم بالجهاد في سبيل الله وأما
الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك
فأمنتهم فانك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك وأما الحصن
الذي فتح الله على يدي فهو الفتح الذي يفتح الله على يدي وأما العرش الذي رأيتني
جالسا عليه فان الله يرفعني ويضع المشركين وأما أمري بطاعة ربي وقراءة
القارئ علي هذه السورة فانه نعى الى نفسي فان هذه السورة حين أنزلت علم

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث بعث الروم فالت عينا أبي بكر رضي الله
عنه فقال لآمرن بالمعروف ولا نهين عن المنكر ولا جاهدن من ترك أمر الله عز
وجل ولأجهزن الجيوش الى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى
يقولوا الله أحد ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاذا توفاني ربي لم يجدني
مقصرا ولا في ثواب المجاهدين زاهدا ثم انه أمر الامراء وبعث الى الشام قال
عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه لما أراد أبو بكر رضي الله عنه تجهيز الاجناد
الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن
أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ووجوه المهاجرين والانصار
من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنا فيهم فقال ان الله تبارك وتعالى لا تحصى
نعمه ولا تبلغ الاعمال جزاءها فلله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم قد جمع
كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس
يطمع أن تشركوا بالله ولا تتخذوا الها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد أردت أن
أبعثهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للابرار ومن
عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين
هذا رأيي الذي رأيت فأشار امرؤ علي بمبلغ رأيه فقام عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي
يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا
اليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قد والله أردت لقاءك لهذا الامر والرأي
الذي ذكرت فما قضي أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت وأصاب
الله بك سبل الرشاد وابعث اليهم الخيل في أثر الخيل وابعث الرجال تتبعها
الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله عز وجل ناصر دينه ومعز الاسلام وأهله
ومنجز ما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قام فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الروم وبنو الاصفر حد
حديد وركن شديد والله ما أرى أن نقحم الخيل عليهم اقحاما ولكن نبعث الخيل

تسير عليهم فى أدانى أراضيهم ثم تبعث فتغير ثم ترجع اليك فاذا فعلوا ذلك أصروا بعدوهم وغموا من أدانى أراضيهم فقووا بذلك على قتالهم ثم تبعث الى أقاصى أهل اليمن والى أقاصى ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جميعا فان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت بعثت على غزوهم غيرك ثم جلس وسكت الناس فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه ماترون رحمكم الله فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال انى أرى أنك لأهل هذا الدين مشفق واذا رأيت رأيا لعامتهم رشدا وصلاحا وخيرا فاعزم على امضائه فانك غير ظنين ولا متهم فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والانصار صدق عثمان فيما قال ما رأيت من أمر فامضه فانا سامعون لك مطيعون لانخالف أمرك ولا نتهم رأيك ولا نتخلف عن دعوتك واجابتك فذكروا هذا وشبهه وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى القوم لايتكلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه ماترى يا أبا الحسن قال أرى انك مبارك ميمون الناصية وانك ان سرت اليهم بنفسك أو بعثت اليهم نصرت ان شاء الله تعالى فقال له أبو بكر رضى الله عنه بشرك الله بخير من أين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين فقال أبو بكر رضى الله عنه سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتنى سرك الله فى الدنيا والآخرة ثم ان أبا بكر رضى الله عنه قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان الله قد أنعم عليكم بالاسلام وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين فتجهزوا عباد الله الى غزو بلاد الروم بالشام فانى مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم فأطيعوا أمر ربكم ولاتخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال فسكت الناس فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عدوهم وشدة شوكتهم فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يامعشر

المسلمين مالكم لا تعرفون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاكم لما
يحييكم فقام خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي لا اله الا هو بعث محمدا بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان الله منجز وعده
ومعز دينه ومهلك عدوه ثم أقبل على أبي بكر رضي الله عنه فقال انا غير خالفين
لك ولا متخلفين عنك وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ونطيعك
اذا دعوتنا ففرح أبو بكر رضي الله عنه بمقالته وقال له جزاك الله من أخ خيرا
فقد أسلمت مرتضيا وهاجرت محتسبا وهربت بدينك من الكفار لكي يطاع
الله ورسوله وتكون كلمة الله هي العليا فسر رحمك الله فتجهز خالد بن سعيد
أحسن الجهاز ثم أتى أبا بكر وعنده من المهاجرين والانصار أجمع ما كانوا فسلم
على أبي بكر رضي الله عنه ثم قال والله لأن أخر من رأس حالق وتخطفني الطير
في الهواء بين السماء والأرض أحب الي أن أبطئ عنك واخالف امرك والله
ما أنا في الدنيا براغب ولا على البقاء فيها بحريص واني أشهدكم أني واخوتي
وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبس في سبيل الله نقاتل المشركين أبدا حتى
يهلكهم الله أو نموت عن آخرنا فقال أبو بكر خيرا ودعا له المسلمون بخير وقال
له أبو بكر اني لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده باقامة كتابه واتباع
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج هو واخوته وغلمانه ومن معه من أهل بيته
وكان أول من عسكر ثم أمر أبو بكر بلالا رضي الله عنه فنادى في الناس أن
انفروا الى عدوكم الشام وأرسل الى يزيد بن أبي سفيان والى أبي عبيدة
ابن الجراح ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة فقال اني باعثكم في هذا الوجه
ومؤمركم على هذه الجنود وأنا موجه مع كل رجل من الرجال ما قدرت
عليه فاذا قدمتم البلد ولقيتم العدو واجتمعتم فعلى جماعتكم أميركم أبو عبيدة بن
الجراح وان لم يلقكم أبو عبيدة ولقيتكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان فانطلقوا
فتجهزوا فانطلق القوم يتجهزون وكان خالد بن سعيد عامل رسول الله صلى

الله عليه وسلم يكره الامارة واستعفى أبا بكر رضى الله عنه فأعفاه ثم ان الناس
خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة في
كل يوم حتى اجتمع الناس وكثروا فخرج أبو بكر رضى الله عنه ذات يوم ومعه
رجال من أصحابه كثير حتى انتهى الى عسكرهم فرأى عدة حسنة ولم يرض كثرتها
للروم فقال لأصحابه ماذا ترون في هؤلاء أترون أن نشخصهم الى الشام في هذه
العدة فقال له عمر رضى الله عنه ما أرضى هذه العدة لبنى الاصفر فأقبل أبو بكر
رضى الله عنه على أصحابه فقال لهم ماذا ترون فقالوا نحن نرى أيضا ما رأى عمر رضى
الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه أفلا نكتب كتابا الى أهل اليمن ندعوهم الى
الجهاد ونرغبهم في ثوابه فرأى ذلك جميع الصحابة رضى الله عنهم فقالوا له نعم ما
رأيت فكتب اليهم فأجابوه وأقبلوا كما تقدم بيان ذلك مفصلا وتجهزوا الى الشام
فكان النصر والفتوح وكان أول جيش بعثه أبو بكر رضى الله عنه بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش أسامة وكان بعض الصحابة استصغروا أسامة
ابن زيد أمير الجيش وقالوا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه امض الى أبى بكر وأبلغه
عنا واطلب منه أن يولى أمرنا أقدم سنا من أسامة فلما أبلغه عمر ذلك وثب أبو بكر
رضى الله عنه وكان جالسا وأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال ثكلتك أمك يا ابن
الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أعزله ثم خرج أبو
بكر رضى الله عنه حتى أتى ذلك الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة
راكب فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر رضى الله
عنه والله لا نزلت ولا أركب وما على أن أغبر قدمى ساعة في سبيل الله فان للغازى
بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة
سيئة تمحى عنه فلما أراد أن يرجع أوصى أسامة ومن معه فقال لا تخونوا ولا تغدروا
ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا
تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لأكله
وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم

له وسوف تقدمون على قوم من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا
أوساط رؤوسهم حتى كأنها أفاحيص القطا في روايه وتركوا حولها مثل
العصائب فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون استودعكم الله أبدا وأمانة الله وفعل مع يزيد بن أبي سفيان عند
توديعه مثل ما فعل مع أسامة وأوصاه بمثل ما أوصاه وزاد بعضهم في وصيته ليزيد
قوله إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على
قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم
والجور فإنه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم وإذا لقيتم القوم فلا تولوهم
الأدبار وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا
تعقروا بهيمة إلا بهيمة المأكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم
وقال في وصيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما خرج لقتال أهل الردة سر
على بركة الله فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فإني لا آمن عليك
الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه
واحترس من البيات فإن في العرب غرة وأقلل من الكلام فإن ما لك ما وعى
عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله تعالى في سرائرهم واستودعك
الله الذي لا تضيع ودائعه وسار أسامة فقتل كل من خالف أبو بكر رضي
الله عنه وأوقع بقبائل من قضاعة كانوا قد ارتدوا وسبى وغنم وعاد وكانت غيبته
أربعين يوما وكان بعث أسامة من أعظم الأمور نفعا للمسلمين فإن
العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا
أرادوا أن يفعلوه قال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد
النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه فقد قام مقام نبي من الأنبياء في
قتال أهل الردة وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كره الصحابة قتال مانعي
الزكاة قالوا هم أهل القبلة يعنون أنهم مسلمون فتقلد أبو بكر رضي الله عنه
سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره وهذا دال على شجاعة أبي

بكر رضي الله ثم أشار عليه علي رضي الله عنه بالرجوع ... الجيوش ففعل ما أشار عليه وتقدم أن عمر رضي الله عنه كان ممن توقف في قتالهم ثم شرح الله صدره كما شرح صدر أبي بكر فقال بعد ذلك والله لقد رجح ايمان أبي بكر بايمان هذه الأمة جميعا في قتالهم وقتال بقية المرتدين وكان من جملة مقالة عمر لما راجع أبا بكر في قتالهم أن قال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبارا في الجاهلية وخوارا في الاسلام ماذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات قد تم الدين وانقطع الوحي أينقص وأنا حي والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي وقال بعض الصحابة في مراجعتهم اياه ارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الامر فان هذا الامر شديد عوره وتهلكة من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل من ارتد بمن ثبت معك وقد أصفقت العرب على الارتداد فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ما تصنع أنت أو عدوك قد قدم رجلا وأخر أخرى وقالوا له أيضا قد شحت العرب على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيأ فلو تركت للناس صدقة هذه السنة وقدم عيينة بن حصن الفزاري وأقرع بن حابس في رجال من أشراف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا انه قد ارتد عامة من وراءنا عن الاسلام وليس في أنفسهم أن يؤدوا اليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تجعلوا لنا جعلا نرجع فنكفيكم من وراءنا فدخل المهاجرون والانصار على أبي بكر رضي الله عنه فعرضوا عليه ما عرضوه عليهم وقالوا نرى أن نطعم الاقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع اليك أسامة وجيشه ويشتد أمرك فانا اليوم قليل في كثير ولا طاقة لنا بقتال العرب فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه هل ترون غير ذلك قالوا لا فقال أبو بكر رضي الله عنه انكم قد علمتم انه كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم وان الله لن

يجمعكم على ضلال وإني سأشير عليكم وإنما أنا رجل منكم تنظرون فيما أشير به
عليكم وفيما أشير به فتجتمعون على أرشد ذلك فإن الله يوفقكم أما أنا فأرى أن
ننبذ على عدونا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وأن لا نرتشي على الإسلام أحدا
وأن نأتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدهم والله لو منعوني
عقالا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه من أهله وأدفعه إلى مستحقه فأشيروا
يرشدكم الله فشهدوا رأيه فقالوا لأبي بكر لما سمعوا رأيه أنت أفضلنا رأيا ورأينا لرأيك
تبع فأمر أبو بكر رضي الله عنه بالتجهز قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال أبو هريرة رضي الله عنه
والله لو لم يستخلف أبو بكر ما عبد الله وأخرج الدارقطني أن أبا بكر رضي الله عنه لما
أراد قتال أهل الردة أراد أن يخرج إليهم بنفسه فلما ركب واستوى على راحلته أخذ
علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا
تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام
أبدا فرجع وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال أهل الردة وكان الصحابة
رضي الله عنهم قد شاهدوا من أبي بكر رضي الله عنه الثبات الذي هو أعظم من
هذا وهو ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الناس قد تزلزلت أقدامهم
وذهلت عقولهم يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشك بعضهم في موته وكان
أبو بكر رضي الله عنه غائبا بمنزله بالسنح من عوالي المدينة وعمر حاضر فلما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما
ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم
زعموا أنه مات وأخرس بعض وأقعد بعض واضطرب الناس فجاء أبو بكر
رضي الله عنه من منزله بالسنح ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبي أنت وأمي طبت

حياً وميتاً أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها اذكرني يا رسول الله عند ربك
ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس وأمره بالسكوت فأبى فأقبل
أبو بكر على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى
عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن
محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى وما محمد إلا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين فوالله لكأن الناس
ما سمعوها إلا منه وقد كان نزولها يوم أحد في السنة الثالثة من الهجرة فكأنهم
نسوها لما أصابهم من الحزن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فوالله
ما هو إلا أن سمعتها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعلمت
حينئذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فزال عنهم رضي الله عنهم ذلك
الدهش إلا بتثبيت أبي بكر رضي الله عنه حين خطب الناس ورجعت إليهم
عقولهم وعرفوا حقيقة الأمر فدل ذلك على أنه كان أشد الصحابة رأياً وأكملهم
عقلاً وأوفرهم علماً وأخرج البزار في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أنه قال يوماً لأصحابه أخبروني عن أشجع الناس فقالوا أنت قال أما أنا فما بارزت
أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر
إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا من يكون مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله
ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً سيفه واقفاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس ثم قال علي رضي الله عنه ولقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذته قريش يعني بمكة قبل الهجرة فهذا
يجره وهذا يتلتله ويقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً قال فوالله ما دنا
منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويتلتل هذا وهو يقول أتقتلون رجلاً أن يقول
ربي الله ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم

قال أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله
لساعة من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل
أعلن إيمانه فهذا الذي ذكر مع ما انضم إليه من ثبات أبي بكر رضي الله عنه يوم
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثباته لقتال أهل الردة هو الذي حمل أهل السنة أن
جزموا بأن أبا بكر رضي الله عنه أشجع الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين وأخرج في الطيوريات عن الإمام محمد الباقر بن زين
العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي
الله عنه سمعتك تقول في الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين
فمن هم فاغرورقت عيناه بالدموع ثم أهملها فقال هما حبيباي أبو بكر وعمر إماما
الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي إلى الصراط المستقيم ومن
تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون وأخرج السهمي عن
الشافعي رضي الله عنه قال إن الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا
تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر رضي الله عنه فولوه رقابهم وأخرج أبو ذر
الهروي والدارقطني من طرق أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا
رضي الله عنه وقال له لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترؤوا على ذلك
فقال علي رضي الله عنه أعوذ بالله رحمهما الله تعالى ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر
وأدخله المسجد وأمر بإجماع الناس فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء
فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب
خطبة بليغة من جملتها ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وأنا بريء مما يذكرون
وعليه معاقب صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء في أمر الله يأمران
وينهيان ويقضيان ويعاقبان لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيا

ولا يحبهما حبا لما يرى من عزمهما فى أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما جاوزا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره فى حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا مؤمن ولا يبغضهما ويخالفهما الا شقى مارق وحبهما قربة وبغضهما مروق ثم ذكر أمر النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر أن يصلى بالناس وهو يرى مكان على ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ثم قال الا لا يبلغنى عن أحد أنه يبغضهما الا جلدته حد المفترى وكان أول من حمل على التكلم فى الشيخين عبد الله بن سبأ وكان يهوديا فأسلم وكان اسلامه ظاهرا فقط وهو باق على يهوديته وانما أراد باسلامه التوصل الى ايقاع الافتراق بين المسلمين وادخال التشكيك عليهم فى دينهم لان الطعن فى الصحابة طعن فى الشريعة لانها انما وصلت الى الأمة من طريق الصحابة فاذا انتفت العدالة عنهم لم يوثق بصحة شئ من القرآن ولا الشريعة ولما بلغ عليا أمر ابن سبأ أحضره وسأله عما نسب اليه فأنكر وسيره الى المدائن وقال لا تساكنى فى بلدة أبدا وأخرج الدارقطنى من طرق ان عليا رضى الله عنه بلغه أن رجلا يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطن فأنكر فقال على أما والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق أن لو سمعت منك الذى بلغنى وبيّنته عنك أو ثبت عليك لأفعلن بك كذا وكذا * ومما استدل به أهل السنة والجماعة على صحة خلافة أبى بكر واعتراف على بها رضى الله عنهما ما أخرجه الدارقطنى وابن عساكر وغيرهما ان عليا رضى الله عنه لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت فيه تستولى على الامة أعهد من رسول الله عهده اليك فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندى عهد من النبى صلى الله عليه وسلم عهده الى فى ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون آخر من كذب عليه ولو كان عندى منه عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم بن مرة وعمر بن الخطاب

بان على منبر ولعلها لتهافتت ولو لم أجد الا ردى هذه ولكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه
المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني والى جانبه
نسيت ولقد روايتي ومرضه أرادت امرأة من نسائه بصرفه
عن أبي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل
بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فاخترنا لدنيانا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة معظم الإسلام
وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف منا اثنان
وفي رواية فقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا
اثنان فأديت لأبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت
آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما
قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف
عليه اثنان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا
أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض
تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي
أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة
لآثر ولده بها وبرئ منها الى رهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن
ابن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم أخذ بيد عثمان فضرب
بيده على يده فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه
وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا
أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت فاذا الخليفتان
اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي
أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة
والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته

كشافقي وكنت أحق بها منه يعني معاوية رضي الله عنه من طرق كثيرة ان
العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم أبسط يدك أبايعك فلا يختلف عليك اثنان فأبى علي رضي الله عنه ولو
علم وجود نص لقبل ذلك ولم يتأخر عنه ولا سيما ومعه العباس والزبير وبنو هاشم
وغيرهم وأقبح من كل قبيح قول الشيعة انه علم النص وكتمه تقية حاشا لله من ذلك
والحاصل ان الاخبار عن علي رضي الله عنه بصحة خلافة أبي بكر وعمر وكونهما
خير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت عنه من طرق كثيرة بروايات كثير من
الثقات العدول منهم ابنه محمد بن الحنفية وغيره بحيث يجزم من تتبعها بصدور ذلك
القول من علي رضي الله عنه جزما قاطعا ليس فيه شك ولا ارتياب قال الحافظ
الذهبي تواتر ذلك عن علي رضي الله عنه ورواه عنه نيف وثمانون من أصحابه
وصرح بذلك في الخلوة والملاء وخطب بذلك على منبر الكوفة زمن خلافته مع
حضور الجمع العظيم ولهذا اتفق الأئمة الاربعة وأئمة الحديث مثل البخاري ومسلم
وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة والجماعة على
اعتقاد صحة خلافته قال سفيان الثوري من قال ان عليا رضي الله عنه كان أحق
بالخلافة من أبي بكر رضي الله عنه فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والانصار وما
أراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عمل الى السماء وأخرج الدارقطني عن عمار بن
ياسر رضي الله عنهما مثل ذلك ولم ينقل عن علي رضي الله عنه أنه ذكر أن النبي
صلى الله عليه وسلم نص على خلافته بل اذا سئل عن ذلك أنكر وأما الرافضة
فانهم لما لم يمكنهم انكار ذلك ولم يمكنهم أيضا انكار اعترافه على بصحة خلافة
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لظهوره وانتشاره عنه بحيث لا ينكره الا جاهل
بالآثار أو مباهت مكابر قالوا انما قال ذلك تقية ومداراة وذلك منهم كذب وافتراء
وأحسن ما يقال في هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين وكيف يتوهم من له
أدنى عقل أو فهم صدور ذلك من علي تقية ومداراة مع ما أعطاه الله من كمال
الايمان وعظم الشجاعة والاقدام حتى انه لا يهاب أحدا ولا يخشى في الله لومة

ولاسيما وكيف يسوغ لهم عاقل أن يقول ذلك في الخلافة وعلى رؤوس الملا وفي زمن
خلافته وعلى منبر الكوفة وهو في ذلك الوقت أقوى ما كان أمراً وأنفذ حكماً
وذلك بعد مدة طويلة من وفاة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فما أحوج أن يقال
فيما أقر وسكت لم يهدم بنيان عظيم ومن قبيح افترائهم زعمهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وأنه كتم ذلك وأن الصحابة رضي الله
عنهم خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأن علياً رضي الله عنه إنما سكت على
النزاع في أمر الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه أن لا يوقع بعده فتنة ولا
يسل سيفاً وهذا منهم كذب وافتراء وحمق وجهالة مع عظم الغباوة بما يترتب على
ذلك إذ كيف يعقل هذا الذي زعموه وكيف يعقل أنه جعل إماماً والياً على الأمة
بعده ويمنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحاً
لما سل السيف في حرب صفين والجمل وقتال الخوارج وقاتل بنفسه وقاتل معه
أهل بيته وأصحابه وجالد وبارز الألوف من مقاتليه وحده أعاذه الله من مخالفة
وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضاً كيف يعقل أنه يوصيه بعدم سل السيف
على قوم زعم فيهم الرافضة أنهم كفار مرتدون متجاهرون بأقبح أنواع الكفر مع ما
أوجب الله من جهاد الكفار ولذلك من أئمة أهل البيت النبوي فتأمل كلام
هؤلاء الضالين في رأيهم وما أعمى الهوى بصائرهم فيقولون بما يترتب على مقالاتهم
من المفاسد فأوقعتهم بعنادهم في العار والفضيحة ولم يبالوا بما يترتب على ذلك من نسبة
علي رضي الله عنه إلى الذل والعجز بل ونسبة جميع بني هاشم إلى ذلك العار
اللاحق بهم الذي لا أقبح منه وبنو هاشم أهل النجدة والشجاعة والأنفة بل نسبتهم
أيضاً ونسبة جميع الصحابة رضي الله عنهم إلى ذلك وكيف يسوغ لهم ممن يتأول أن
الصحابة يطلعون على النص على خلافة علي رضي الله عنه ولا يعملون به ولا
يرجعون إليه وهم أطوع الناس لله وأشد الناس وقوفاً عند حدود الله تعالى وأبعد
من اتباع حظوظ النفس وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني
ثم الذين يلونهم كيف يكون ذلك وفيهم العشرة المبشرون بالجنة ومنهم أبو عبيدة

أمين هذه الأمة بنص قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة وكيف يتوهم فيهم شيء من ذلك وهم بهذه الأوصاف الجليلة معاذ الله أن يتركوا العمل عاشت عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن ذلك خيانة في الدين فلا يجوز عليهم ذلك لا شرعا ولا عقلا ولا عادة لأنه يلزم من وقوع ذلك منهم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته لهم بالخير وثنائه عليهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم كفر ووقوع الكذب منه محال لثبوت صدقه بالمعجزات فما أدى إليه محال أيضا كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة ولو جاز وقوع مثل ذلك منهم لارتفع الأمان والثقة في كل ما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والاحكام ولم يحصل الجزم بشيء من أمور الدين من أن جميع الدين أصوله وفروعه إنما أخذه الأئمة عنهم ووصل إلينا بواسطتهم * وفي نسبة الرافضة سيدنا عليا رضي الله عنه إلى الكتمان للنص غاية النقص لما يلزم عليه من نسبته إلى الجبن والظلم والخيانة والكتمان حاشاه الله من ذلك وبمقالة الرافضة هذه المقالة القبيحة توصل بعض الملحدة إلى تكفير علي رضي الله عنه اعتمادا على قولهم لأنه كتم النص وكل ذلك زور وبهتان وكيف يسع من له أدنى إيمان أن ينسب عليا وبقية الصحابة إلى الكتمان مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا دونه وقتلوا الآباء والأبناء في طلب مرضاته فلا يتوهم مؤمن بالله تعالى لحوق أدنى نقص لهم أو سكوت على باطل فقد طهر الله هذه العصابة من كل رجس ودنس ونقص وقد شهد الله لهم بالصدق بقوله أولئك هم الصادقون وأخبر أنه رضي عنه بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ووعدهم بالحسنى بقوله وكلا وعد الله الحسنى وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بكل خير وتوفي وهو راض عنهم فلا يقدم على شيء مما افتراه الرافضة وأمثالهم إلا عبد أضله الله وخذله وباء بعظيم الخسار والبوار وأحله الله نار جهنم وبئس القرار فنسأل الله السلامة مما وقع فيه هؤلاء الاشرار

بما أوضح وعلم ان الصحابة سلموا النص على خلافة علي رضي الله عنه فلم ينقادوا
له عنادا ومكابرة بالباطل وأوضح من ذلك وعلم ان عليا ترك ذلك بغية كل ذلك
كذب وزور وتوصلوا به الى تكفير الصحابة رضي الله عنهم * وأخرج السني عن
الامام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضي
الله عنهم واعانته على الشيعة لانهم أول فساق عما بدءهم من الرافضة وذلك لان
الرافضة يقولون بتكفير الصحابة رضي الله عنهم لانهم على زعمهم عاندوا بترك
العمل بالنص على خلافة علي رضي الله عنه بل زاد أبو كامل وكان من رؤس
الرافضة بتكفير علي رضي الله عنه زاعما أنه أعان الكفار على كفرهم وعلى كتمان
الامر بامامته بل تواتر عن علي رضي الله عنه الاعتراف بصحة خلافة أبي بكر
وعمر وأنهما أفضل الامة وقبل من عمر رضي الله عنه ادخاله اياه الشورى بل تواتر
عنه كما تقدم ذلك عنه وانما اعتمد الملحدون كلام الرافضة والشيعة وأمثالهم ذريعة
للطعن في الدين والقرآن لان ذلك انما وصل الناس من طريق الصحابة رضي الله
عنهم ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون كيف يقول الله تعالى كنتم خير أمة اخرجت
للناس وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة أنفس منهم في زعمهم وجعل سبب
الارتداد انهم ما جحدوا النص بتقديم علي رضي الله عنه فانظر الى كلام هذا
الملحد تجده ماخوذا من خلفه الرافضة وأمثالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون بل هم
أشد ضررا على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلالة وقد جاء
التصريح بذلك عن علي رضي الله عنه فانه صح عنه أنه قال تفترق هذه الامة على
ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجهه ما اشتمل عليه
كلامهم من افتراء الكذب وارتكاب قبائح البدع والعناد حتى تسلط الملاحدة
بسبب ذلك على الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي أبو بكر الباقلاني
فيما ذهب الرافضة مما ذكر ابطال للاسلام رأسا لانه اذا أمكن اجماع الصحابة
رضي الله عنهم على الانكار لنصوص أمكن فيهم نقل الكذب والتواطؤ عليه
لغرض فيمكن أن سائر ما نقلوه من الاحاديث كذب وزور وحاشاهم من ذلك

وكذلك ما ذكره سائر الأمم عن جميع الرسل بحضور الكتب فيه والزور والبهتان على زعمهم لأنهم إذا ادّعوا ذلك في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم إياه في باقي الأمم أحرى وأولى فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أسسه هؤلاء الملحدة قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد أخرج البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما من أهل الأهواء أشد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكرهم عابهم أشد العيب وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال من قال إن عليا رضي الله عنه كان أحق بالولاية من أبي بكر رضي الله عنه فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وقال الإمام مالك قوله تعالى في حق الصحابة ليغيظ بهم الكفار أن الرافضة كفار لأن الصحابة يغيظونهم ومن أغاظه الصحابة فهو كافر وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر هذه الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه بكفرهم ووافقه أيضا جماعة من الأئمة قال ابن الأثير في تاريخه المسمى بالكامل في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين عند ذكره ابتداء دولة العبيديين ما نصه لما بعث الله سيد الأولين والآخرين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب لأنه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم وفرق جمعهم فاجتمعوا يدا واحدة فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم فأسلم منهم من هداه الله تعالى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وظنوا أن الصحابة رضي الله عنهم يضعفون بعده فجاهد أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة ورد أهل الردة وأذل الكفر ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس والروم فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقص الإسلام فاستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذل فارس والروم وغلب على ممالكهما فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ظنا منهم أن بقتله ينطفئ نور الإسلام فولي بعده عثمان رضي الله عنه فزاد في الفتوح واتسعت ممالك الإسلام فلما قتل ولي بعده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقام بالأمر أحسن قيام فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة

ويشكك ضعفة العقول في دينهم . وقد صنعها المحدثون وأفسدوا الصحيح
بالتأويل والطعن عليه وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم
ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة ويهزوا أصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد
والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه وأكثروا الطعن في الصحابة
لانهم علموا أن الطعن فيهم طعن في الشريعة فإن نقلها منهم وصلت إلى من
بعدهم وأنهم قوام الاعطاء على من بعدهم لتشيع مذاهبهم انتهى فعلم من ذلك كله
ان أساس مذاهبهم الطعن في الصحابة ليتوصلوا بذلك الى ابطال الشريعة
قاتلهم الله أنى يؤفكون (ولنرجع) الى اتمام الكلام على ما يتعلق بخلافة أبي بكر
رضي الله عنه ونذكر شيئا آخر من مناقبه رضي الله عنه من ذلك خطبه التي كان
يخطب بها وهي كثيرة منها خطبة من قال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس
رؤوسهم فقال مالكم أيها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك
زهده الله فيما بيده ورغبه فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق
فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخاء وينقطع عنه لذة البهاء
لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع
جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه
الله فأشد حسابه وأقل عفوه ألا وإن الفقراء هم المرحومون ألا ان من آمن بالله
حكم بكتابه وسنة نبيه وانكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة وسترون بعدي
ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا ودما مباحا فان كانت للباطل نزوة
ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر ويموت لها البشر فالزموا المساجد واستشيروا
القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول
التناظر أي بلاد خرشنة ان الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح لكم أدناها وقال رضي
الله عنه في خطبة ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم والناس كافة رغبة علم رحمته
عليهم والناس يومئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية

فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم فانه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك وإياكم والفجر وما فجر من خلق من التراب وإلى التراب يعود وهو اليوم حى وغدا ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم فى الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله تعالى وقدموا لأنفسكم تجدوه محضرا فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا أنه لابد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألحقنا به واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك وقال فى خطبة أخرى بعد أن حمد الله وأثنى عليه أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه وتبصروا فيه ليوم الظلمة فإنه خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا فى مهل بأعمالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا النجا النجا فإن وراءكم طالبا حثيثا أمره سريع سيره وكان آخر دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه

في خطبته اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك
وخطب مرة خطبة فقال أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتقولونها على غير
تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من
يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ومن كلامه
رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه فر من الشرف يتبعك الشرف
واحرص على الموت توهب لك الحياة ولما وفد عليه أهل اليمامة بعد قتل مسيلمة
الكذاب قال لهم أبو بكر رضي الله عنه ما كان يقول صاحبكم حتى تمادى به أنه
وحي قالوا اعفنا يا خليفة رسول الله قال لابد أن تقولوا قالوا كان يقول يا ضفدع
كم تنقين لا الشرب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها
ولكن قريش قوم لا يعدلون فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه ويحكم ما خرج هذا
من إل ولا بر فأين ذهب بكم الإل الله تعالى والبر الرجل الصالح ومن دعاء الصديق
رضي الله عنه اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد و اجاوز
الكفاف ولما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر رضي الله عنه يا
رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر
ألست تمرض ألست تنصب الأذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني أن جميع
ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدح
يقول اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون
واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وروى الصديق رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله العافية فما أعطي أحد أفضل من العافية
إلا اليقين وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية
القلب أعلى من عافية البدن وفي كلامه رضي الله عنه من استطاع أن يبكي
فليبك ومن لم يستطع فليتباك ورأى رضي الله عنه مرة طائرا فقال ليتني مثلك
يا طائر ولم أخلق بشرا قال الإمام الغزالي في الإحياء إن أبا بكر رضي الله عنه

حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وشرب أبو بكر رضي الله عنه مرة لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظنوا أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا ويروى أنه صلى الله عليه قال فيه يعنى أبا بكر نزل ولمن خاف مقام ربه جنتان ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خير بين الدنيا وما عند الله فاختار ما عند الله بكى أبو بكر رضى الله عنه وفهم ان العبد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك اشارة الى قرب أجله صلى الله عليه وسلم ولم يفهم ذلك المعنى أحد من الصحابة الحاضرين غير أبى بكر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر اشارة الى أنه الخليفة بعده ففتح باب له على المسجد ليدخل منه ويصلى بالناس ثم قال صلى الله عليه وسلم انى لا أعلم امرأ أعمدى أفضل فى الصحبة من أبى بكر رضى الله عنه ولما مرض أبو بكر رضى الله عنه مرض الوفاة دخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر رضى الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فقال أبو بكر رضى الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق قال قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم

ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير ا
انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن خلقتهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغ
ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكتسب كل نفس قبل أن تخ
فلا محيص لما مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشا .
شيئا فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد
حركة الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير وال
وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم ا
خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا فاجعلني من سكان جن
اللهم انك أردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم وأردت بقوم الض
وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي وكره الي الك
والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الامور وجع
مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من أ
وأمسى وثقته ورجاؤه سواك فانت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال
بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل وروي رضي الله عنه عن ال
صلى الله عليه وسلم أنه قال من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة ف
لعنه الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ومن أعطى حمى الله ف
انتهك حمى الله ومن أحد شيئا بغير حقه فعليه لعنه الله وروي أيضا أن رسول
صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا قال اللهم خر لي واختر لي وروي أيضا أن رس
الله صلى الله عليه وسلم قال السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الار
ويرفع له كل يوم وليلة عمل ستين صديقا وروي أن رسول الله صلى الله عليه و
قال ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب وروي أيضا أن النبي صلى الله عليه و
قال النظر الى علي عبادة وسئل أبو بكر رضي الله عنه يوما عن آية في كتاب
تعالى فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم ر
رضي الله عنه في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هي النظر الى وجه ا

عز وجل وكان رضي الله عنه إذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة وليس مع
الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده أذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصغر مصيبتكم ويعظم الله أجركم وكان رضي الله عنه إذا صلى على الميت
قال اللهم عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وأنت غفور رحيم
وغضب رضي الله عنه يوما على رجل فاشتد غضبه فقال له أبو برزة الأسلمي
يا خليفة رسول الله اضرب عنقه فقال له ويلك ما هي لأحد بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى أيضا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خالد بن
الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين وروى أيضا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اشدد الإسلام بعمر وروى أيضا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أبعث فيكم لبعث عمر وسيرة أبي بكر طويلة وفي
هذا القدر كفاية والقصد من ذلك كله بيان أن ملاك الأمر كله العدل في بيت المال
وأن سيرة الخليفة على المسلمين بسيرة الخلفاء الراشدين وقد تقدم في كلام أبي بكر
رضي الله عنه أنه قال لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها فلا بد لصلاح
هذه الأمة من خليفة يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ولا يكون ذلك إلا بالزهد في
الدنيا وروى الحافظ ابن القيم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال إن أبا بكر
الصديق رضي الله عنه استسقى فأتي بماء فيه عسل فلما أدناه من فيه بكى وأبكى
من حوله ثم سكت فسكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدر أحد على مسألته
ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا ما هاجك على هذا البكاء قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيئا يقول إليك عني إليك عني ولم أر معه
أحدا فقلت يا رسول الله إنك تدفع عنك شيئا ولا أرى معك أحدا قال هذه
الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها إليك عني فتنحت وقالت أما والله لئن أفلت
مني لا يفلت مني من بعدك فخشيت أن تكون قد لحقتني فذلك الذي أبكاني
وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخلت على أبي بكر رضي الله عنه
في مرض موته فقال والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له

من أن يسيح في عمر الدنيا قال الحسن البصري لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه في مرض موته جمع الناس اليه فقال انه قد نزل بي ما ترون وقد أطلق الله أعناقكم من بيعتي وحل عنكم عهدي ورد عليكم أمركم فأمروا عليكم من أحببتم فانكم ان أمرتم في حياتي كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي فقاموا في ذلك وخلوا عنه فلم يستقم لهم رأي فرجعوا اليه وقالوا أرنا يا خليفة رسول الله رأيك فقال لعلكم تختلفون قالوا لا وقال علي رضي الله عنه يا خليفة رسول الله أمض لما رأيت فانا سامعون مطيعون فقال فلعلكم تختلفون قالوا لا قال فعليكم عهد على الرضا قالوا نعم قال فامهلوني ونظر الله لدينه ولعباده وفي رواية قال لهم قد حضر ما ترون ولا بد من قائم بأمركم يجمع فيئكم ويمنع ظالمكم من المظلوم ويرد على الضعيف حقه فان شئتم اخترتم لانفسكم وان شئتم جعلتم ذلك الي فوالله لا آلوكم ونفسي خيرا وفي رواية لهم أترضون بمن أجعله خليفة عليكم والله ما آلوكم أحدا من أقربائي قالوا قد رضينا من اخترت لنا ثم أرسل لكبرائهم واحدا بعد واحد فكانوا يشيرون عليه باستخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمل اشارتهم وأمر عثمان رضي الله عنه بكتابة الصحيفة التي فيها استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم أمر عثمان أن يخرج للناس ويقرأها عليهم وقال لهم أبو بكر رضي الله عنه قبل قراءتها أترضون بمن أستخلفه عليكم قالوا نعم وقال علي رضي الله عنه لا نرضى الا أن يكون عمر فقال هو عمر فقال علي يا خليفة رسول الله امض لرأيك فانا نعلم انه الاخير وقال عثمان وسعيد بن زيد واسيد بن حضير وغيرهم من المهاجرين والانصار أنت أخبرنا به وهو أعلمنا بالخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط وسريرته خير من علانيته وليس فينا مثله ولن يلي هذا الامر أقوى عليه منه ثم قرئت عليهم الصحيفة فرضوا كلهم بها وعن عاصم بن عدي قال جمع أبو بكر رضي الله عنه الناس وهو مريض وأمر من يحمله الى المنبر وكانت آخر خطبة خطبها انه أن عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس احذروا الدنيا ولا تغتروا بها فانها غرارة وآثروا

الآخرة على الدنيا فأخوها وصف كل واحدة منهن تبغض الاخرى وانه ... الذي هو أثبت بما لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم في حال الشدة وأليبكم في حال اللين وأعلمكم برأي ذوي الرأي لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما لم ينزل به ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند البديهة قوي على الامور لا يجوز لشيء منها حده بعدوان ولا يقصر يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم قد نزل وقد دخل داره رضي الله عنه وقال له قائل ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته فقال أبو بكر رضي الله عنه أجلسوني أبالله تخوفني خاب من تزود من أمركم بظلم أقول اللهم استخلفت عليهم أفضلهم وأقواهم وفي رواية قال أبالله تخوفني أقول استعملت عليهم خيرهم وأشدهم حبا لله تعالى وستعلمون اذا فارقتموه وتنافستموه وذكر صاحب الاكتفاء ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوى وامتنع من قبول عهد أبي بكر له بالخلافة وقال لا أطيق القيام بأمر الناس فقال أبو بكر لابنه عبد الرحمن ارفعني وناولني السيف فقال عمر أو تعفي قال لا فعند ذلك قبل رضي الله عنه وفي رواية ان عمر راجع أبا بكر رضي الله عنهما وقال يا خليفة رسول الله لا حاجة لي فيها فقال ان لم تكن محتاجا اليها فهي محتاجة اليك واني ما حبوتك بالخلافة ولكن حبوتها بك ومع ذلك فاني أحذرك نفسك فان النفس لأمارة بالسوء وأحذرك الناس واعلم أنهم خائفون منك ما خفت الله عز وجل وآثرت رضاه جل جلاله على هواك وكتب أبو عبيدة الى أبي بكر رضي الله عنهما بعد توجه الجنود الى قتال الروم بلغني ان هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى انطاكية وأنه بعث الى أهل مملكته يحشدهم اليه وأنهم نفروا اليه على الصعب والذلول وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك والسلام فكتب اليه أبو بكر رضي الله عنه أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم فأما منزله انطاكية فهزيمة له ولاصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فان ذلك ما كنا وكنتم

تعلمون أنه سيكون منهم ما كان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم
بغير قتال ولا مدافعة والحمد لله أن قد سرنا أنهم رجال يسبقون المسلمين يعرفون
الموت حتى يغشونه وهم الحياة يحتسبون من الله في قتالهم الأجر العظيم ويحبون الجهاد
في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم الرجل منهم عند الفتح
خير من ألف رجل من المشركين فالقهم بجنودك ولا تستوحش لمن غاب عنك من
المسلمين فإن الله تعالى ذكره لك ناصر وذكره لك ثم أنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد
الرجال حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد والسلام وقوله فأما نزوله بأنطاكية فإن
لعله أحمد ذلك من أنطاقياته في أعطاني وكتب يزيد بن أبي سفيان رضي الله
عنهما إلى أبي بكر رضي الله عنه أما بعد فإن هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه
ألقى الله الرعب في قلبه فتحول فنزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على مدن
الشام وأمرهم بقتالنا وقد تيسروا لنا واستعدوا وقد بلغنا عن أهل الشام أن هرقل
استنفر أهل مملكته وأنهم جاءوا يجرون الشوك والشجر فمرنا أمرك وعجل علينا
في ذلك رأيك نتبعه نسأل الله تعالى النصر والصبر والفتح وعافية المسلمين
والسلام عليك فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر
فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين فإن
الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب
وأمدنا بملائكته الكرام وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا
الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ولا
من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة شتى فإذا لقيتهم
فانهد إليهم بمن معك وقاتلهم فإن الله لن يخذلك وقد نبأنا الله تعالى أن الفئة القليلة
تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله وأنا مع هذا ممدك برجال في إثر رجال حتى
تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله تعالى والسلام وقال للرسول
أخبر أن مدد المسلمين آتيهم ثم بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وسعيد بن عامر
الجمحي فلما قدم الرسول بالكتاب على يزيد قرأه على المسلمين فسروا وفرحوا

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه دعا هاشم بن عتبة وبعثه في ألف من المسلمين وسلم على أبي بكر وودعه ثم خرج من عنده ولزم طريق أبي عبيدة حتى قدموا عليه فسر المسلمون بقدومه وتباشروا به وبلغ سعيد بن عامر الجمحي أن أبا بكر يريد أن يبعثه فلما أبطأ ذلك عليه أتاه فقال يا أبا بكر والله لقد بلغني أنك كنت أردت أن تبعثني في هذا الوجه ثم رأيتك قد سكت فما أدري ما بدا لك فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه وإن كنت لا تريد أن تبعث أحدا فإني راغب في الجهاد فأذن لي رحمك الله كيما ألحق بالمسلمين فقد ذكر لي أن الروم جمعت لهم جموعا عظيما فقال أبو بكر رضي الله عنه رحمك الله أرحم الراحمين يا سعيد وأمر بلالا فنادى في الناس أن انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر إلى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال يا خليفة رسول الله إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى لا لأملك نفسي وأتصرف فيما ينفعني فخل سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي فإن الجهاد أحب إلي من المقام قال أبو بكر رضي الله عنه فإن الله يشهد أني لم أعتقك إلا له وإني لا أريد منك جزاء ولا شكورا فهذه الأرض ذات الطول والعرض فاسلك أي فجاجها أحببت فقال أبو الصديق كأنك عتبت على مقالتي ووجدت في نفسك مما قلت لا والله ما وجدت في نفسي من ذلك وإني لأحب أن تدع هواك لهواي كيف وهواك إلى طاعة ربك قال فإن شئت أقمت معك قال أما إذا كان هواك في الجهاد فلم أكن آمرك بالمقام وإنما أردت للأذان ولا وجدت لفراقك وحشة يا بلال ولا بد من التفرقة فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث فاعمل صالحا يا بلال وليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله ما حييت ويحسن لك الثواب إذا توفيت فقال له بلال جزاك الله من ولي نعمة ومن أخ بالإسلام خيرا فوالله ما أمرك لنا بالصبر على الجود والمداومة على العمل ثم قال وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وخرج بلال مع سعيد بن عامر وأمر سعيد بن عامر مع من معه أن يلحقوا بيزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما فأقام بلال في الشام بقصد الجهاد وتوفي بدمشق وقيل بحلب سنة عشرين أو ثمانية وعشرين

وقدم من المدينة للزيارة فطلب منه أهل المدينة أن يؤذن فقال لا أفعل بعد أن
أذنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فألحوا عليه فصعد فاجتمع أهل المدينة بالمسجد رجالهم
ونساؤهم وصغارهم وكبارهم وقالوا هذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد أن يؤذن فهلموا نسمع أذانه فلما قال الله أكبر الله أكبر تذكروا زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فصاحوا وبكوا جميعا فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله صعقوا جميعا
فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله لم يبق في المدينة ذو روح إلا بكى وصاح
وخرجت العذارى والأبكار من خدورهن يبكين وصاروا كيوم وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من أذانه فقال أبشركم أنه لا تمس النار عينا بكت
على النبي صلى الله عليه وسلم وأذن مرة بالشام فبكى أيضا مثل ذلك وكان أبو بكر
رضي الله عنه يحب علي بن أبي طالب وكافة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو
الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة
وروى مثله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج
البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال والذي نفسي بيده
لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أن أصل من قرابتي وفي رواية
والله لأن أصلكم أحب إلي من أن أصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخرج أبو الشيخ عن أبي بكر رضي الله عنه أيها الناس إن التفضيل
والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم
الأباطيل وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرا ما يعمل بما يشير به علي رضي الله عنه
عند بعث الجنود للجهاد ولا يأذن له في الخروج مع المجاهدين حرصا على بقائه معه
للانتفاع برأيه ومشورته وكذا لم يأذن في الخروج لعمر وعثمان رضي الله عنهما
للاستعانة بكل منهم على تدبير أمور المسلمين ولا يفعل شيئا إلا بعد استشارتهم مع
غيرهم من وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي كان أبو
بكر رضي الله عنه يصوم الصيف ويفطر الشتاء وكأنه يختار الأشق من الصوم لأنه
أشق على النفس وتقدم أن من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك الذل

عند الصحف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف قال في الاحياء اذا كان الصديق
رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد
المال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالا وينفق
طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش
الحساب عذب وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وقال ان
أردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي قميصا حتى ترقعيه وكان أبو
بكر رضي الله عنه جعل ولاية بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الامة أبي
عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وقد تقدم أنه جاءه في زمن خلافته مال من
البحرين فقسمه بين الناس وقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة
أو دين فليأتنا فجاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو جاء مال من البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث
حفنات فقال أبو بكر رضي الله عنه خذ فأخذ مقدارا فوجدت عدد تلك
الدراهم التي أخذتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولم يأخذ أبو بكر رضي الله عنه لنفسه من ذلك المال
شيأ وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاقتصاد
في الدنيا وحسن السيرة ﴾

أخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فسمعهم عمر رضي الله عنه فقال ماهي
لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله تعالى فقلنا ماذا يحل له من مال الله
تعالى فقال انه لا يحل لعمر من مال الله تعالى إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف وما
حج به واعتمر وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأفقرهم ولا بأغناهم
ثم أنا بعد رجل من المسلمين وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وغيرهما من طرق
عن عمر رضي الله عنه قال اني أنزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم من

ماله ان أيسر استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإن أيسرت قضيت وإنه في بعض السنين أنه لم يأخذ من بيت المال شيئاً حتى أصابته خصاصة وحاجة فاستشار أصحابه وقال ما يصلح لي أن آخذ فقال علي رضي الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضي الله عنه وذكر الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ان ذلك كان من عمر رضي الله عنه في ابتداء ولايته فذكر أنه في أول ولايته لم يأخذ من بيت المال شيئاً حتى أصابته خصاصة فقال ما يصلح لي أن آخذه فقال علي رضي الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضي الله عنه وقال ابن سعد قال محمد بن ابراهيم كان عمر رضي الله عنه ينفق كل يوم درهمين له ولعياله واحتاج مرة عسلاً للتداوي به وكان في بيت المال عكة من عسل فقال ان أذنتم لي والا فذلك علي حرام فأذنوا له فأخذ من العكة بقدر الحاجة وكان رضي الله عنه يأكل خبز الشعير وبالزيت ويلبس المرقوع ويخدم نفسه وكان يقول ما أشبه بلذات الدنيا ولكنا نبقى طيباتنا للآخرة ولما كلمه ابنته حفصة وابنه عبد الله وغيرهما قالوا له لو أكلت طعاماً طيباً لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل ويعني بصاحبيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه واجتمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد رهط خمسة رجال فقالوا أما ترون الى زهد هذا الرجل والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر وطرفي المشرق والمغرب والعجم تأتيه وفود ملوكها فهذه جبته وقد رقعها اثنتي عشرة رقعة فلو سألتموه يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتبر جبة ثوب لين فيهابه نظر ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح عليه بجفنة يأكل من حضر من المهاجرين والانصار فقال القوم بأجمعهم ليس هذا القول الا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه صهره لكونه زوجه ابنته أم كلثوم رضي الله عنهم فقال علي لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين فانهن يجترئن عليه قال الاحنف بن قيس فسألوا عائشة رضي الله عنها وحفصة وكانتا مجتمعتين فقالت عائشة أسأله ذلك وقالت حفصة ما أراه يفعل وسيتبين لك ذلك فدخلتا عليه فقربهما وأدناهما فقالت عائشة رضي الله عنها أتأذن لي أن أكلمك فقال تكلمي يا أم المؤمنين فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى الى جنة ربه ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده وكذلك مضى أبو بكر على أثره وقد فتح الله عليك كنوز كسرى وقيصر وديارهما وحمل اليك أموالها ودلت لك الطرفان المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد ورسل العجم يأتونك ووفود العرب تفد اليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك ويغدى عليك بجفنة من طعام ويراح عليك بأخرى تأكل منها أنت ومن حضرك من المهاجرين والانصار فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك بكاء شديدا ثم قال سألتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز بر عشرة أيام أو خمسة أيام أو ثلاثة أيام أو جمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله عز وجل قالت لا قال أنشدك بالله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الارض إلا كان يأمر بالطعام فيوضع على الارض قالت اللهم نعم ثم قال أنتما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين لكما على المؤمنين حق وعلي خاصة وقد أتيتماني ترغباني في الدنيا واني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف وربما حكت جلده من خشونتها أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباء على طاق واحد وكان مسح في بيتك يا عائشة يكون بالنهار بساطا وبالليل فراشا ينام عليه وكان يرى أثر الحصير في جنبه ألا يا حفصة أنت حدثتني أنك ثنيت له المسح ليلة فوجد لينه فرقد عليه فلم يستيقظ إلا بأذان بلال فقال يا حفصة ماذا صنعت ثنيت المهاد حتى ذهب بي النوم الى الصباح مالي وللدنيا ومالدنيا ولي شغلتموني بلين الفراش يا حفصة أما تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ولم

يزل جائعاً ساهداً أراه كما كان مصرعاً آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله تعالى
إلى رحمته ورضوانه لا يأكل ثمراً طيباً ولا يلبس لباساً ليناً أسوة بصاحبيه ولم يجمع بين
إدامين إلا الملح والزيت ولا أكل لحماً إلا في كل شهر فعيّر جماعة من بسطوه فخيرنا
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك حتى لحق عمر رضي الله عنه بالله
عز وجل وكان رضي الله عنه يقول إن من ولي أمر المسلمين فهو مسئول فلينبغ أن
يحملهم على ما يجب عليه من العدل الصحيح وأداء الأمانة ولما أصاب الناس القحط
في العام الذي كانوا يسمونه عام الرمادة ما أكل عمر رضي الله عنه في ذلك العام
سمناً ولا سميناً قال أنس رضي الله عنه تقرقر بطن عمر عام الرمادة من أكل
الزيت فنقر بطنه بإصبعه وقال ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ومن ثم تغير
لونه في هذا العام حتى صار أسمر وقال من لي كلمة في طعامه وبعث آكل طيباتي
في الدنيا وأستمتع بها وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحماً كفى بالمرء سرفاً أن يأكل
كل ما اشتهى وكان رضي الله عنه يداوم على أكل التمر ولا يداوم على أكل اللحوم
ويقول إياكم واللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر أي إن له عادة تنزع النفس
إليها كعادة الخمر وعن حفص بن أبي العاص رضي الله عنه قال أكلت مع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت والخبز واللبن والخبز والخل والخبز واللحم
القديد وأقل ذلك اللحم الغريض أي الطري وكان رضي الله عنه يقول لا تنخلوا
الدقيق فإنه كله طعام ورأى مرة دقيقاً غليظاً فجعل يأكل ويقول لنا كلوا فجعلنا
نعذر فقال ما لكم لا تأكلون فقلنا لا نأكله أبداً والله يا أمير المؤمنين نرجع إلى طعام
هو ألين من طعامك وعن حفصة رضي الله عنها قالت دخل علي عمر مرة فقدمت
له مرقة باردة وصببت عليها زيتاً فقال إدامان في إناء واحد لا أذوقه أبداً حتى ألقى
الله عز وجل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دخل علينا أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه ونحن على مائدتنا فوسعنا له عن صدر المجلس فقال بسم الله ثم
ضرب بيده في لقمة فلقمها ثم ثنى بأخرى ثم قال إني لأجد طعم دسم غير دسم اللحم
فقال عبد الله يا أمير المؤمنين إني خرجت إلى السوق أطلب السمن لأشتريه

فوجده به عالياً فاشتريت بدرهم من اللحم المهزول وحملت عليه بدرهم سمناً فقال عمر رضي الله عنه ما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر فقال عبد الله يا أمير المؤمنين إذن لم يجتمعا عندي أبداً إلا فعلت ذلك وعن جابر رضي الله عنه قال رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحماً فاشتريت فقال عمر أو كلما اشتهيت اشتريت يا جابر أما تخاف الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وحين أتي مرة بلحم فيه سمن فأبى أن يأكله وقال كل واحد منهما أدام وكان رضي الله عنه يقول والله ما نعجز أن نأمر بصغار المعز فيسمط لنا ونأمر بلباب الحنطة فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فنأكل هذا ونشرب هذا إلا أنا نستبقي طيباتنا لأنا سمعنا الله يقول أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وكان رضي الله عنه يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوع بعضها بأدم وفي رواية من جراب ويطوف في الأسواق وعلى عاتقه الدرة يؤدب الناس ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به وتأكله شياههم وقال أنس رضي الله عنه رأيت بين كتفي عمر رضي الله عنه أربع رقاع في قميصه وقال أبو عثمان النهدي رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن خطب عمر الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة فيها أدم ولما حج لم يستظل إلا بطرف كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكانت جملة نفقته في حجته ستة عشر ديناراً ومع ذلك يقول أسرفنا في هذا المال وقال نافع العبسي دخلت دار الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم فجلس عثمان في الظل يكتب ومعه علي قائم على رأسه يملي عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردان أسودان اتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يتفقد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال علي لعثمان رضي الله عنهما قال الله في كتابه إن خير من استأجرت القوي الأمين هذا هو القوي الأمين وخطب عمر رضي الله عنه

الناس من بعدي فقال والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسألني الله عنه وخطب مرة فقال أيها الناس اني لم أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما أرسلتهم اليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى فوالذي نفسي بيده لاقصنه منه وقال سلام بن مسكين كان عمر رضي الله عنه اذا احتاج أتى عبدالله بن مسعود وكان هو صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر فيعطيه أو يسأله الامهال حتى يخرج عطاؤه فيأخذ عطاءه فيقضي قال سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان عمر اذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحدا فعله منكم الا أضعفت عليه العقوبة وقال محمد بن سيرين قدم على عمر صهر له من مكة فطلب أن يعطيه من بيت المال فانتهره وقال أردت أن ألقى الله ملكا خائنا ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم وكان رضي الله عنه يقول أحب الناس الي من رفع الي عيوبي وكان من يقسم مال المسلمين فدخلت ابنة له وأخذت درهما فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر أصبعه في فيها فأخرجه وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكنس أبو موسى الاشعري رضي الله عنه بيت المال مرة فأمر عمر فوجد درهما فرآه ابن لعمر فاعطاه اياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله من أعطاه فقال أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان من أهل المدينة أهل بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال مع أن المال كان حلالا ولكنه خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله صلى الله عليه وسلم من تركها أي الشبهات فقد

استبرأ لمرضه ودينه وعن طارق بن شهاب قال قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فلقيه الجنود وعليه ازار ورداء وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء فخلع خفيه وجعلهما تحت ابطه فقالوا له يا أمير المؤمنين الآن يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال فقال عمر انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نلتمس العز فى غيره وروى أنه قال يوما وهو على المنبر يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسى الى الدنيا كذا وميل رأسه فقام اليه رجل فاستل سيفه وقال نقول بالسيف كذا وأشار الى قطعه فقال عمر رحمك الله الحمد لله الذى جعل فى رعيتى من اذا تعوجت أقامنى وجاءته مرة برود من اليمن ففرقها على الناس بردا بردا ثم صعد المنبر يخطب وعليه بردان ازار ورداء فقال اسمعوا رحمكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال والله لا نسمع والله لا نسمع فقال عمر لم يا عبد الله قال لانك أعطيتنا بردا بردا وخرجت تخطب فى بردين فقال عمر أين عبد الله بن عمر فقال عبد الله ها أنا يا أمير المؤمنين فقال لمن أحد هذين البردين اللذين على قال لى فقال للرجل عجلت على يا عبد الله انى كنت غسلت ثوبى الخلق فاستعرت ثوب عبد الله فقال الرجل قل الآن نسمع ونطع ولما رجع رضى الله عنه من الشام ووصل الى المدينة تفرد عن الناس يوما ليعرف أخبارهم فمر بعجوز فى خبائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر لما رجع من الشام قال هو ذا قد أقبل من الشام ووصل الى المدينة قالت لا جزاه الله عنى خيرا قال ويحك لم قالت لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى الخلافة الى يومنا هذا دينار ولا درهم قال ويحك وما يدرى عمر حالك وأنت فى هذا الموطن فقالت سبحان الله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها فصار يبكى ويقول واعمراه وا خصوماه كل أحد أفقه منك يا عمر ثم لم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب عمر رضى الله عنه قطعة

فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلان ظلامته منذ ولي
إلى يوم هذا بخمسة وعشرين دينارا فما يدعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله
عز وجل فعمر منه بري شهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود
ورفع الكتاب إلى علي رضي الله عنه وقال له إذا أنا مت قبلك أي سبقتك فاجعلها
في كفني ومن النوادر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ليلة في سواد
الليل فرآه طلحة رضي الله عنه فتبعه فدخل عمر بيتا فلما أصبح طلحة ذهب
إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت
إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة لنفسه
ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع رضي الله عنهما وعن محمد الباقر بن علي
زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن مولى لعثمان بن
عفان رضي الله عنه قال بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف إذ رأى
رجلا يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر فقال عثمان رضي الله
عنه ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ثم دنا الرجل فقال انظر من هذا فنظرت
فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت هذا أمير المؤمنين فقام عثمان رضي
الله عنه فأخرج رأسه من الباب فإذا لفح السموم فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال
ما أخرجك هذه الساعة فقال بكران من إبل الصدقة تخلفا وقد مضى بإبل
الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحمى وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما فقال عثمان
رضي الله عنه هلم يا أمير المؤمنين إلى الماء والظل ونكفيك فقال عد إلى ظلك وسار
فعلمت [illegible] فقال عد إلى ظلك حتى فقال عثمان رضي الله عنه من
أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا أخرجه الشافعي رحمه الله في
مسنده ولما جهز الجيوش لفتح العراق جعل الأمير عليهم سعد بن أبي وقاص رضي
الله عنه ولما فتحت القادسية كتب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالفتح وبعدد
من قتل وبعدد من أصيب من المسلمين وأرسل ذلك مع سعد بن عميلة الفزاري
وكان عمر رضي الله عنه يخرج خارج المدينة كل يوم يسأل الركبان من حين يسمع

الى انتصاف النهار يسأل عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله فلقي هذا
البشير المرسل في يوم من تلك الايام التي كان يخرج فيها فقال له من أين فأخبره
والرجل المرسل راكب على ناقته يسير بسرعة وعمر رضي الله عنه يخب على
رجليه معه وهو يسأله والبشير لا يعرفه فقال له عمر أخبرني يا عبد الله قال هزم الله
المشركين وأخبره الخبر فلم يزل عمر سائرا تحت ناقة ذلك البشير يسأله حتى دخل
المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتني رحمك
الله أنك أمير المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي وعن الاحنف بن قيس قال
أخرجنا عمر رضي الله عنه في سرية الى العراق ففتح الله علينا العراق وبلاد
فارس فأصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسينا منها فلما
قدمنا على عمر رضي الله عنه أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا فاشتد ذلك علينا
فشكونا الى ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال ان عمر زاهد في الدنيا وقد
رأى عليكم لباسا لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخليفة من بعده فأتينا
منازلنا فنزعنا ما كان علينا وأتيناه في برد يعهدها منا فقام فسلم علينا رجلا رجلا
واعتنقنا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا قبل فقدمنا اليه الغنائم فقسمها بيننا
بالسوية فعرض في الغنائم شيء من أنواع الخبيص من أصفر وأحمر فذاقه عمر
فوجده طيب الطعم والريح فأقبل علينا بوجهه وقال يا معشر المهاجرين والانصار
ليقتلن منكم الابن أباه والاخ أخاه على هذا الطعام ثم أمر به فحمل الى أولاد من
قتل من المسلمين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ثم
ان عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيئا من تلك الغنائم وعن الاحنف أيضا قال
لما فتح العراق وحملت الى عمر خزائن كسرى قال له صاحب بيت المال ألا ندخله
بيت المال قال لا والله لا تأوي تحت سقف حتى أقسمه فبسط الأنطاع في المسجد
وكشف عن الاموال فرأى شيئا عظيما من الذهب والجوهر فقال ان الذي أدى
هذا لأمين فقالوا أنت أمين الله وهم يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى
فقسمه ولم يأخذ منه شيئا وفي صحيح البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا

المال خضرة حلوة وقال الله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وقال عمر رضي
الله عنه اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللهم إني أسألك أن أنفقه في
حقه وفي رواية للدارقطني لما فتح العراق وجاء إلى عمر خزائن كسرى وأمواله
بكى وقرأ زين للناس الآية ثم قال اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا فقني
شره وارزقني أن أنفقه في حقه وقسم تلك الأموال فما قام حتى ما بقي منها شيء وكان
رضي الله عنه لما رأى تلك الأموال بكى ويقول إن الله زوى الدنيا عن النبي
صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لي فأخاف أن أكون مستدرجا وفي رواية
رواها الشافعي رضي الله عنه لما قدم على عمر رضي الله عنه ما أصيب من مال
العراق قال له صاحب بيت المال أدخله في بيت المال فقال لا ورب الكعبة
لا يأوي تحت سقف بيت حتى أقسمه فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه
الأنطاع وحرسه رجال من المهاجرين والأنصار فلما أصبح غدا ومعه العباس بن
عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف فلما كشفوا الأنطاع عن الأموال رأى
منظرا لم ير مثله من الذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ فبكى عمر
فقال له أحدهما إنه والله ما هو بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال والله
ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط إلا وقع بأسهم بينهم ثم
أقبل على القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا
فإني أسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قسم ذلك المال ولم يأخذ
لنفسه شيئا رضي الله عنه وكان من جملة ما غنمه المسلمون بالعراق بساط
كسرى ويقال له بهار كسرى والقطف وهو بساط واحد طوله ستون
ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الأكاسرة ملوك فارس تعده لهم إذا
ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه
فصوص كالأنهار أرضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر وفي حافاته
كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير
على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجواهر وأشباه ذلك وكانت

العرب تسميه القطيف فلما قسم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الغنائم بين
الغانمين أراد أن يخرج خمس القطيف لبيت المال ويقسم أربعة أخماسه على
الغانمين فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم على أربعة أخماسه
فنبعث به إلى أمير المؤمنين يضعه حيث شاء فإنا لا نراه يقسم وهو بيننا قليل وهو
يقع من أهل المدينة موقع فقالوا نعم فبعثه إلى عمر رضي الله عنه فلما قدموا
بالقطيف مع خمس الغنائم قال عمر رضي الله عنه بعد أن قسم الأموال أشيروا علي
في هذا القطيف فمن مشير بقطعه وإبقائه في بيت المال وآخر مفوض إليه فقال له
علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يجعل الله علمك جهلا ويقينك شكا إنه ليس
لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت إنك إن
تبقه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له فقال صدقتني ونصحتني
فقطعه وقسمه بينهم قال في السيرة الحلبية فأصاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قطعة منه فباعها بعشرين ألف دينار ولم يأخذ عمر رضي الله عنه من ذلك لنفسه
شيأ ولما فرض للمهاجرين الأولين العطاء فرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف وكان
من المهاجرين الأولين فقيل له إنك فرضت للمهاجرين الأولين أربعة آلاف فلم
نقصته عن أربعة آلاف فقال إنما هاجر به أبوه فليس هو كمن هاجر بنفسه وقسم
مرة مالا فأعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما ألفا ألفا وأعطى ابنه عبد الله
خمسمائة فقيل له يا أمير المؤمنين إن ابنك عبد الله كان يضرب بالسيف بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين طفلان يدرجان في سكك المدينة
تعطيهما ألفا ألفا وتعطيه خمسمائة فقال اذهب فأتني بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد
كجدهما وجدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما وخالة كخالتهما فإنك لا تأتي
به أما أبوهما فعلي رضي الله عنه وأما أمهما ففاطمة الزهراء وأما جدهما فمحمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم وأما جدتهما فخديجة الكبرى وأما عمهما فجعفر بن
أبي طالب وأما خالهما فإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما خالتهما فرقية
وأم كلثوم بنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلته لأقارب رسول الله صلى

الله عليه وسلم أكثر من عددهم قال الزهري كان عمر رضي الله عنه اذا أتاه مال من العراق أو غيره لم يدع رجلا من بني هاشم الا رجله ولا رحلا منهم ليس له خادم الا أخدمه وعن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قدمت على عمر حلل من اليمن فقسمها بين المهاجرين والانصار ولم يكن فيها على قدر الحسن والحسين رضي الله عنهما فكتب الى صاحب اليمن أن يعمل حلتين على قدرهما فعمل وبعث بهما الى عمر فالبسهما اياهما ولقد سماهما وقال دون البدريين وفرض العطاء فبدأ ببني هاشم وبين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابل اشتراها فارسلها الى الحمى فسمنت فقدم بها قال فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال لمن هذه فقيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول بخ بخ يا عبد الله بن أمير المؤمنين قال فجئته أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين قال ما هذه الابل فقلت ابل اشتريتها وبعثت بها الى الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون فقال ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين ففعلت ذلك وفي رواية انه أخذ شطر الربح وجعله في بيت المال وكذا أخذ شطر الربح وجعله بالاخير فمنه الكلاب الذي للمسلمين وذكر بعضهم ان هذا الابل كانت لعبد الله وأخيه عبيد الله شركة وأخذهما ابنا عمر عبد الله وعبيد الله مالا من أبي موسى حين ولايته بالعراق ليوصلاه الى عمر بالمدينة فاستأذنا أبا موسى أن يتجرا في المال على سبيل القراض وربحا فيه فلما أتيا به الى المدينة اذن لهما فأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض وأدخله بيت المال وقال لهما ما أعطيتما لمكانكما مني أي انما كان اعطاؤهما المال والاذن لهما في التجارة فيه لاجل انهما ابنا أمير المؤمنين وعن قتادة قال بعث عمر رضي الله عنه رسولا الى ملك الروم فاستقرضت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما وكانت امرأة عمر دينارا فاشترت به عطرا وجعلته في قارورة وبعثت به مع الرسول الى امرأة ملك الروم فلما أتاها ملأت لها شيئا من الجواهر وقالت للرسول اذهب به الى امرأة عمر فلما أتاها فرغته على البساط

فقد حل عمر فقال ما هذا فأخبرته فأخذ الجواهر وخرج بها الى المسجد ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس أخبرهم الخبر وأراهم الجواهر وقال ما ترون فى ذلك فقالوا أنا نراها تستحق ذلك لانه هدية جاءتها من امرأة لا حموية ولا خراج عليها ولا يتعلق بها حكم من أحكام الرجال فقال لكن الزوجة زوجة أمير المؤمنين والرسول رسول أمير المؤمنين والراحلة التى ركبها للمؤمنين وما جاء ذلك كله لولا المؤمنون فأرى أن ذلك لبيت مال المسلمين ونعطيها رأس مالها فباع الجواهر ودفع لزوجته دينارا وجعل ما بقى فى بيت مال المسلمين ويروى ان امرأة أبى عبيدة أرسلت الى امرأة ملك الروم هدية مثل تلك الهدية فكافأتها بجوهر فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فأخذه فباعه وأعطاها ثمن هديتها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين وأتى عمر مرة بمسك فأمر ان يقسم بين المسلمين ثم سد أنفه فقيل له فى ذلك فقال وهل ينتفع منه الا بريحه ودخل يوما على زوجته فوجد معها ريح مسك فقال ما هذا قالت انى بعت من مسك فى بيت مال المسلمين ووزنت بيدى فلما وزنت مسحت أصبعى فى متاعى هذا فقال ناولينى متاعك فأخذه فصب عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه فى التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه وعن سفيان بن عيينة ان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بعد أن فتح العراق وهو على الكوفة كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى بناء منزل يسكنه فكتب اليه ان ما يسترك من الشمس ويكنك من الغيث وعن أبى عثمان النهدى قال كتب عمر الينا ونحن باذربيجان مع عتبة بن فرقد يقول يا عتبة انه ليس من كدك ولا من كد أبيك فاشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحالك واياكم والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير وأخرج ابن السماك عن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال بينا عمر رضى الله عنه يمشى فى طريق من طرق المدينة اذ لقيه على والحسن والحسين رضى الله عنهم فسلم عليه على رضى الله عنه وأخذ بيده فاكتنفهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما فعرض لعمر رضى الله عنه من

البكاء ما كان يعرض له فقال له علي رضي الله عنه ما يبكيك يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه من أحق مني بالبكاء يا علي وقد وليت أمر هذه الامة أحكم فيها ولا أدري أمسيء أنا أم محسن فقال له علي والله انك لتعدل في كذا وتعدل في كذا فما منعه ذلك من البكاء ثم تكلم الحسن فأثنى الله بكرمه وولايته وعدله فلم يغير ذلك فتكلم الحسين مثل كلام الحسن فانقطع بكاؤه ثم قال أتشهدان لي بذلك يا بني العدل فقال علي رضي الله عنه اشهدا وأنا معكما شهيد وعن الشعبي ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لاهل نجران ان عمر كان رشيد الامر ولن أغير شيئا صنعه وعنه أيضا ان عليا رضي الله عنه لما دخل الكوفة قال ما كنت لأحل عقدة شدها عمر وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لا أعلم ان عليا خالف عمر ولا غير شيئا مما صنعه وعن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه كان يسمي عمر في السر وعن أبي اسحاق عمن حدثه انه كان خلف الحلي رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال ذكرت أخي عمر وهذا البرد على كسانيه خليلي وصفيي صديقي وصاحبي عمر بن الخطاب قال من ان عمر ناصح نصح لله فنصحه الله ثم بكى وكان علي رضي الله عنه يقول اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وكان علي رضي الله عنه يقول لا يبلغني ان أحدا فضلني على عمر الا جلدته حد المفتري وخطب من علي رضي الله عنه خطبة طويلة قال فيها وان الله تعالى صير الامر الى عمر في المسلمين منهم من رضي ومنهم من سخط فكنت ممن رضي فوالله ما فارق الدنيا حتى رضي به من سخط فأعز الله بالسلامة الاسلام وجعله للدين قواما وضرب الله الحق على لسانه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقذف الله في قلوب المؤمنين المحبة له وفي قلوب المنافقين الرهبة منه شبهه بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم ممثله وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما توفي عمر وسجي رضي الله عنه وثب عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال ما على الارض رجل أحب الى ان ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى زاد في روايه لابن السماك ثم

بكى على رضى الله عنه حتى اخضلت لحيته بالدموع وفى رواية أخرى ان عليا
رضى الله عنه قال رحمك الله يا ابن الخطاب ان كنت لآيات الله لعالما وان كان الله فى
صدرك لعظيما وان كنت لتخشى الله ولا تخشى الناس فى الله جوادا بالحق بخيلا
بالباطل خميصا من الدنيا بطينا من الآخرة وعن أوس بن حكيم قال رأيت على بن
أبى طالب رضى الله عنه حين موت عمر رضى الله عنه قد نكس رأسه ثم رفعه
فقال واعمراه يا نقى الثوب قليل العيب واعمراه ذهب بالسنة وابقى الفتنة أصاب
والله ابن الخطاب خيرها واتقى شرها وروى ان ملك الموت لما دخل دار عمر
ليقبض روحه سمعه عمر وهو يقول هذا بيت أمير المؤمنين ليس فيه شئ كانه
القبر فأجابه عمر وقال يا ملك الموت من تكون أنت حلمه هكذا يكون بيته
وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتانى جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب
فقال لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر
حسنة من حسنات أبى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد
كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وأمعن فكره فيما
خص الله به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما أجراه الله على يديه وما حصل للاسلام
وأهله بسببه من كونه أعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها
الله على يده حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له أن كل خير وقع
لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيامة كله من فضائل عمر
رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل أجورهم وذلك كثير لا يمكن ضبطه
ولا احصاؤه ولو مكث العبد مدة لبث نوح فى قومه وأخرج عبد الله ابن الامام
أحمد فى زوائد المسند عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما أرجو لهم فى قول لا اله الا الله
وأخرج أبو ذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وأنا مع عمر
والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ما قاله صلى الله عليه وسلم فى حق على

رضي الله عنه حيث قال وأدر الحق معه حيث دار فشكل بن عمر وعلي رضي الله
عنهما كان مع الحق ولهذا كان علي رضي الله عنه مع الخلفاء الثلاثة وله في أمر
خلافتهم ولم ينازع أحدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق وكان هو معهم فلما جاءت
نوبة خلافته رضي الله عنه وتورع في ذلك قاتل من نازعه فلا يصح أن ننسب
إليه أن يكون في زمن خلافة الخلفاء الثلاثة كان معه جاد الله في الخلافة
في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم قال المسعودي في تاريخه المسمى
مروج الذهب في صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان متواضعا خشن
اللباس شديدا في ذات الله واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل
يتشبه به من غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأدم ويشتمل
بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الإبل
ورحله مشدود بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم
من الأموال وكان من عماله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما
قدم عمر الشام شكا أهل حمص إليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تضيع
فراستي فيه ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا
بليل وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا فقال عمر علي به فلما جمع بينهم وبينه قال ماذا
تنقمون منه قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعيد فقال يا أمير
المؤمنين إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي
ثم أتوضأ وأخرج إليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال ما تقول
سعيد قال قد كنت أكره أن أذكر هذا إني قد جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار
لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم في الشهر لا يخرج إلينا قال نعم ليس لي خادم
فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي فقال عمر الحمد لله الذي لم يضيع فراستي فيكم ثم قال
عمر يا أهل حمص ما تقولون فقالوا أما بعد عشر فأعطنا يا أمير المؤمنين فقال
استوصوا به خيرا ثم بعث إليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت امرأته قد
أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما كنا إليها

يعني يوم القيامة قالت لي فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان و بهذه الى فلان يتيم آل فلان مسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امرأته فقال انفقي هذه وعاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه يعني يوم القيامة وذكر بعضهم هذه القصة وزاد فيها فقال وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر ألف دينار فجاء الى أهله حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي و يبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وروى بعضهم هذه القصة فقال لما بعث عمر رضي الله عنه سعيد بن عامر واليا على حمص اشتدت فاقته حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما اقرأ الكتاب اهتم همّا شديدا حتى تبين عليه فقالت امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتما أدهمك موت أمير المؤمنين قال اعظم من ذلك قالت أبلغك من ثغور المسلمين شيء فقال أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ابتل بها وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت وما ذاك بأبي أنت وأمي قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأنت آمن من هذا فقال فان أمير المؤمنين أرسل الى بأربعمائة دينار وعزم علي أن أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا والله ما أحب أن لي بها حمر النعم واني أحبس عن الفوج الاول قالت فدونكها فاصنع بها ما شئت فقال هل من خرق فأعطته درعها خلقا فرقه خرقا ثم صر فيه ما بين أربعة الى عشرة ثم طرحها في مخلاة ثم خرج الى باب الرستاق من حمص فجعل يعطي الناس

صبر صبر حتى نصب صبر فى المحلا فدفعها الى المحلا الى رحل ثم رجع فنفض عنه ما قام به واستراح وذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية هذه القصة قال ما نصه قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمص قال يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم فشكوا اليه وكان يقال لاهل حمص الكوفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكوا أربعا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال وماذا قالوا لا يجيب أحدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا وله يوم من الشهر لا يخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وماذا قالوا يغنظ الغنظة بين الايام حتى يأخذه موته يعنون أنه يغشى عليه قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لا تفل فيه رأيي اليوم ما تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال سعيد والله انى كنت لا كره ذكره ليس لاهلى خادم فأعجن عجينى وأجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج اليهم فقال ما تشكون منه أيضا قالوا لا يجيب أحدا بالليل فقال ان كنت لا كره ذكر انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون أيضا قالوا ان له يوما من الشهر لا يخرج الينا فيه فقال ليس لى خادم يغسل ثيابى ولالى ثياب أبدلها فأغسل ثيابى وأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وما تشكون منه أيضا قالوا يغنظ الغنظة بين الايام فقال شهدت مصرع خبيب الانصارى حين قتلته قريش بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع ثم قالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب أنى فى أهلى وأن محمدا شيك بشوكة ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحالة وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم الا ظننت أن الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا قال فتصيبنى تلك الغنظة فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل رأيى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك فى خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصرها صررا ثم

قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان وبقيت منه ذهبة فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت ألا تشترى لنا خادما قال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه والظاهر أنهما القصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة الذين رووا القصة بالمعنى وروى أيضا أن عمر بن الخطاب كتب الى أهل حمص اكتبوا الى فقراءكم فكتبوا له أسماء الفقراء وكتبوا له عمير بن سعيد ولعله انه كان أميرا بعده قال عمر لما قرأ اسمه قال من عمير ابن سعيد قالوا أميرنا قال أو فقير هو قالوا ليس أهل بيت أفقر منه قال أين عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يمسك منه شيأ قال فوجه اليه بمائة دينار فأخرجها كلها فقالت امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتنى فعلت ذكر هذه الحكاية أبو طالب المكى فى القوت ونسبها لعمير بن سعيد وكتب لسعيد بن عامر عمر مرة يطلب قدومه الى المدينة فلم يرمعه الا عكازا وقدحا فقال له عمر ليس معك الا ما أرى فقال له سعيد بن عامر وما أكثر من هذه عكار أحمل عليه زادى وقدح آكل فيه وأشرب به وعبارة الاحياء فى هذه القصة نسبها لابن عمير فقال ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة وما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر رضى الله عنه صدقت رحمك الله فهكذا كان الامراء فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأنفق بعض عمال عمر رضى الله عنه عنده عشرة دراهم لاتخاذ بيت خلاء لقضاء حاجته وأخذها من بيت المال فعزله من امارته وقال أما وجدت موضعا تقضى فيه الحاجة حتى أخذت عشرة دراهم من بيت المال اتخذت بها بيت خلاء لقضاء حاجتك وكان رضى الله عنه اذا استعمل عاملا كتب ماله ليعلم بعد ذلك ما يكون عنده من المال وكان يأمر عماله بعد مضى مدة من اماراتهم يكتبون أموالهم فيأخذ شطر أموالهم ويدخله فى بيت المال احتياطا لهم وبراءة لذمتهم

يا عمر الخير جزيت الجنه * جهز بنياتي واكسهنه
والواقف المسؤول بينهنه * إما الى نار واما الى جنه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم أما والله لا أملك غيره وكان رضي الله عنه يقول في الخلافة من يأخذها بما فيها وكان يقول رضي الله عنه ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أك شيأ ليتني كنت نسيا منسيا وأخذ مرة تبنة من الأرض فقال ليتني كنت هذه وكان يدخل يده في دبرة البعير ويقول انى أخاف أن أسأل عنك وكان رضي الله عنه يدني يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا من صبر وكان رضي الله عنه كثير البكاء حتى كان في وجهه خطان أسودان من البكاء وكان رضي الله عنه يقول ليتني كنت كبشا لأهلي يسمنوني ما بدا لهم ثم يذبحوني فيأكلوني ويخرجوني عذرة ولم أكن بشرا وكان رضي الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وكان رضي الله عنه يقول من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقرأ مرة اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت فخر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف عمر رضي الله عنه يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه ولما طعن رضي الله عنه وأيقن بالموت كان يقول ويلي وويل أمي ان لم يرحمني ربي والله انى وددت أن أخرج من الدنيا كفافا لا أجر لي ولا وزر علي وقال أيضا لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت من هول المطلع وخرج عمر رضي الله عنه يوما من المسجد ومعه الجارود العبدي وبينما هما يمشيان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولي قالت يا عمر عهدي بك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الايام حتى تسميت عمر ثم لم

بذهب الامام حتى تمضي أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أن من خاف الموت خشي الفوت فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجارود وقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته فقال عمر دعها أما تعرف هذه يا جارود هذه خولة بنت حكيم التي أنزل الله فيها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فاذا سمع الله قولها فعمر أحرى أن يسمع كلامها قال ابن سعد اتخذ عمر رضي الله عنه دار للدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه لاعانة المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصى وكذا وسع مسجد مكة وأخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجت مع عمر بن الخطاب من الى موضع بظاهر المدينة فرأى نارا فقال يا أسلم انطر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمير المؤمنين فقال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوبة على تلك النار وصبيانها يتكون فقال عمر السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره أن يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أدنو بخير أو دع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون فقالت من الجوع قال فما هذا القدر قالت ما جعلته في القدر أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر بن الخطاب قال يرحمك الله وما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ثم يغافل عنا قال أسلم وأقبل على عمر فقال انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا الى دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله على فقلت أنا أحمله عنك فقال أنت تحمل وزري لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه اليها وهو يهرول حتى أتينا اليها فالقى ذلك العدل عندها ثم أخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول لها ذري من الدقيق وأنا أحرك لك وكان يحرك نار وينفخ في النار تارة أخرى قال أسلم فوالله لقد رأيت امير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال للمرأة اعطني شيأ فأتته

بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى عن المرأة وجعل يربض كما يربض الاسد وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام عمر وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى وقصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون وعن الاعمش قال أتى عمر ابن الخطاب مرة بأربعين وعشرين ألف درهم فلم يقم حتى فرقها بين المسلمين ولم يأخذ منها شيأ وكان اذا أعجبه شئ من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له فى ذلك فقال انى أحبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان رضى الله عنه يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحما يومين متتابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج فاعتذر للناس وقال انما حبسني عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعد وا مرة فى قميصه أربع عشرة رقعة احداها من أدم أحمر وكان رضى الله عنه أبيض اللون تعلوه حمرة وانما صار فى لونه سمرة عام الرمادة حين أكثر من أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف لا يأكل غير الزيت فى تلك الأيام حتى يوسع الله على المسلمين ومكث ذلك الغلاء تسعة أشهر وصارت الارض سوداء مثل الرماد وكان يخرج فى تلك الايام يطرق على البيوت ويقول من كان محتاجا فليأتنا وكان يقول اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد صلى الله عليه وسلم على يدى . ومن كلامه رضى الله عنه من خاف الله لا يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون * ومن كلامه رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أهون عليكم من الحساب غدا والذى بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت الله يسألنى عنه ولما طعن رضى الله عنه دعا بابن بشر به فخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت أن أخرج منها كفافا كما

وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس قال لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت أحب أن أنجي نفسي وأنجو منكم وما كنت من أمركم إلا كالغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فأخلقتها وثمرتكم يانعة في أكمامها ما أكلتها وما جنيت ما جنيت الا لكم ولا تركت درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه فقلت يا أمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك فقال المغرور والله من غررتموه أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولما حضرت عمر الوفاة غشي عليه فأخذت رأسه فوضعتها في حجري فقال ضع رأسي بالأرض لعل الله يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر ويل لأمه ان لم يغفر الله له فقلت وهل فخذاي والارض إلا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسي بالارض لا أم لك كما آمرك فوضعته في الارض فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولأم عمر ان لم يغفر الله له ويعفو عنه ثم قال فاذا قضيت فأسرعوا بي الى حفرتي وانما هو خير تقدموني اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك قال خبر السماء لا أدري الى جنة ينطلق بي أو الى نار قال عروة بن الزبير ولما طعن عمر رضي الله عنه قالوا له استخلفت قال ان تركتكم فقد ترككم من هو خير مني وان استخلفت فقد استخلفت عليكم من هو خير مني ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول انه أمين هذه الامة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه لم يعصه فقالوا له لو أنك عهدت الى ابنك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فانه لذلك أهل في دينه وفضله وقديم اسلامه فقال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه

وسلم ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي ثم كانوا من أخرى
فقالوا لو عهدت فقال كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولي رجلا أمركم يحملكم
على الحق وأشار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم رأيت أن لا أتحملها حيا
وميتا ثم دعا أصحاب الشورى الذين سماهم ذكرهم ثم لم يكلم أحدا منهم غير علي
وعثمان رضي الله عنهما فقال يا علي لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك قرابتك من
النبي صلى الله عليه وسلم وصهرك وما آتاك الله من الفقه والعلم فإن وليت هذا
الأمر فاتق الله فيه ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم أن
يعرفوا لك صهرك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنك وشرفك فإن وليت
هذا الأمر فاتق الله فيه ولا تحملن بني معيط على رقاب الناس ثم جعل عمر رضي
الله عنه الأمر شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
عنهم راض كما روى ذلك ابن عمر وغيره وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص على أن تكون الخليفة واحدا منهم أن يجتمعوا
عليه فإن اختلفوا اتفق ستة على أكثرهم فإن تساووا يحكمون عبد الله بن عمر
فيهم فإن لم يرضوا بتحكيمه فيسمع قول الحزب الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وأمر
أن يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر كالمعين له وليس له من شيء في أمر الخلافة فلما
خرجوا من عنده قال لو ولوها الأجلح لسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك
يا أمير المؤمنين أن تستخلفه قال أكره أن أتحملها حيا وميتا وروي أن عمر رضي
الله عنه عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يستخلفه ويجعله ولي عهد المسلمين فقال
عبد الرحمن أتشير علي بذلك إذا استشرتك فقال لا والله فقال عبد الرحمن إذا لا
أرضى أن أكون خليفة بعدك وبعد أن ذكر عمر رضي الله عنه الستة أصحاب
الشورى قال ما أظن يلي الأمر إلا أحد هذين الرجلين وأشار إلى علي وعثمان قال فإن
عثمان فرجل فيه لين وإن ولي علي ففيه دعابة وأحرى أن يحملهم على طريق الحق
وإن وليتم سعدا فهو أهل وإلا فليستعن به الوالي فإني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة
ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وفي رواية قال عمر

رضي الله عنه ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فان أصاب الامر سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله يعني عن امارة الكوفة عن عجز ولا خيانة ثم قال أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار وأوصيه بأهل الامصار ثم لما توفي عمر رضي الله عنه وفرغوا من دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها تفرغ أصحاب الشورى للاجتماع فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير جعلت أمري الى علي وقال سعد جعلت أمري الى عبد الرحمن بن عوف وقال طلحة جعلت أمري الى عثمان وقيل ان طلحة كان غائبا وما حضر الا بعد تمام الامر ثم خلا هؤلاء الثلاثة فقط وهم عبد الرحمن بن عوف وعلي وعثمان رضي الله عنهم فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر ويفوض الامر اليه فيولى أفضل الرجلين الباقيين وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلا الامر الي والله علي والاسلام أن أجتهد فأولي أولا كما فقالا نعم ثم خاطب كلا منهما بما فيه من الفضل وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل واحد منهما نعم ثم خلا بعلي فقال له أرأيت ان لم أولك بمن تشير علي به قال عثمان وخلا بعثمان فقال له ان لم أولك بمن تشير علي به قال علي ابن أبي طالب ثم تفرقوا ومكث عبد الرحمن ثلاث ليال يستشير الناس فيمن يوليه ويجتمع برؤس الناس وأمراء الاجناد وأشراف الناس وغيرهم جمعا وأشتاتا مثنى وفرادى سرا وجهرا حتى انه ذهب الى النساء المخدرات في حجابهن حتى سأل الولدان في المكاتب وسأل من يرد من الركبان والاعراب الواردين الى المدينة في ثلاثة أيام بلياليهن قال فلم أجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما الا ما ينقل عن عمار والمقداد فانهما أشارا بعلي بن أبي طالب

رضي الله عنه قال بعض العلماء وكان السبب في ذلك أن الأكثر من أخيار ولاة
عثمان ان عثمان رضي الله عنه كان فيه لين وعدم شدة وكان علي رضي الله عنه يشبه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشدة و صب في خلافة عمر رضي الله عنه
وهي عشر سنين ونصف سنة وهم معتادون له يشعرون بشدته وفتحت لهم الأمصار
وكثرت عندهم الأموال فأحبوا أن يكون لهم بعض التخفيف من شدة عمر
وعلموا أنه لو كان الأمر لعلي رضي الله عنه لم يحصل التخفيف الذي يريدونه بل
سلك بهم سبيل عمر و يشعر بشبه فيسوا أو أشد من ذلك فهذا هو السبب في
تقديمهم عثمان على علي رضي الله عنهم ليس عندهم طعن في علي رضي الله عنه
ولا كراهة لشيء من أخلاقه ولا يشكون في حصول العدل منه هذا هو اللائق
الذي ينبغي حمل أفعال الصحابة عليه رضي الله عنهم أجمعين و ربما أن الذي يبنى
على ما ذكر المؤرخون في شرح هذه القصة يفهم منه أن كلا من علي وعثمان
وبقية أصحاب الشورى كان لكل واحد منهم رغبة في أن يكون الخلافة له فهذا
ان صح فلعمل على أن كل واحد منهم يريد أن يكون منه القيام بالعدل وإقامة
الدين والقيام بمصالح المسلمين لما في ذلك من الأجر والثواب عند الله تعالى ولا
يتوهم بل وفق اعتناء أن يكون مرادهم الرياسة وانتفاء حظوظ النفس حاشاهم
الله من ذلك بل لا يريد كل واحد منهم إلا القيام بإظهار الحق كما شهد لهم الله سبحانه
وتعالى بذلك في آيات كثيرة وأخبر أنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذلك
الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم تشهد لهم بذلك فاحذر أن
يتوهم ظن سوء بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإن الطائفة المعلقة
بأحدهم بما لا يعمر كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة والحاصل ان عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه اجتهد في ذلك ثلاثة أيام بلياليهن كل الاجتهاد حتى انه لم
يغمض بكثير نوم ولم يزل في صلاة ودعاء واجتهاد واستخارة وسؤال من ذوي
الرأي وغيرهم حتى حاول ربات الحجال في خدورهن فلم يجد أحداً يعدل بعثمان
زاد في رواية أنه قال في آخر ليلة للمسور بن مخرمة وكان أيضاً يحب عبد الرحمن بن

عوف ادع لى الزبير وسعد بن أبى وقاص فدخلا عليه فشاورهما ثم انصرفا ثم قال
ادع لى عليا قال فدعوته فناجاه الى ثلث الليل ثم قام من عنده وكان من جملة ما قال
له أرأيت لو صرف هذا الامر عنك من كنت ترى أحق به قال عثمان قال المسور
ابن مخرمة فلما خرج من عنده قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق
بينهما مؤذن الصبح وقال له مثل ما قال لعلى رضى الله عنه لو صرف عنك هذا الامر
من كنت ترى أحق به قال على بن أبى طالب وقال للزبير كذلك فأشار بعثمان وقال
لسعد كذلك فأشار بعثمان وكذلك شاور المهاجرين والانصار وكلهم أشار بعثمان
وجاء فى رواية عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه انه قال فلما كانت الليلة التى
يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه جاء
عبد الرحمن الى منزلى وأنا نائم فقال أنائم أنت يا مسور والله لم أغتمض بكثير نوم
منذ ثلاث أيام اذهب فادع لى عليا وعثمان قال المسور يا خالى بأيهما أبدأ فقال بأيهما
شئت قال فذهبت الى على فقلت أجب خالى قال أمرك أن تدعو معى أحدا فقلت
نعم قال من قلت عثمان بن عفان قال بأيهما بدأت قلت لم يأمرنى بذلك بل قال ادع
أيهما شئت أولا فجئت اليك فخرج معى فلما مررنا بدار عثمان جلس على حتى
دخلت الى عثمان فوجدته يوتر مع الفجر فدعوته فقال لى مثل ما قال على سواء ثم
خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى فلما انصرف أقبل على على وعثمان فقال
انى سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما ثم أخذ العهد على كل واحد منهما
لئن ولاه ليعدلن ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن فقالا نعم ثم خرج بهما الى
المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقلد سيفا وبعث الى وجوه الناس من المهاجرين والانصار ليحضروا فى
المسجد ونودى فى الناس عامة الصلاة جامعة وامتلأ المسجد حتى غص بالناس
وازدحم الناس وتراصوا حتى انه لم يحصل لعثمان بن عفان موضع يجلس فيه الا
فى أخريات الناس وكان رجلا شديد الحياء ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الدرجة التى كان يجلس عليها رسول

الله صلى الله عليه وسلم فوقف وقوفا طويلا ودعا طويلا لم يسمعه الناس ثم تكلم وقال أيها الناس اني قد سألتكم سرا وجهرا عن أمري وفرادى وجماعة فلم أجد أحدا منكم يعدل بأحد هذين الرجلين اما علي واما عثمان فقم الي يا علي فقام اليه فوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده فقال له هل أنت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال علي اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي قال فأرسل يده ثم قال قم يا عثمان فأخذ بيده فقال هل أنت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال اللهم نعم قال فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد وقال اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان وبايعه وازدحم الناس يبايعون عثمان رضي الله عنه حتى غشوه تحت المنبر قال وقعد عبد الرحمن بن عوف مقعد النبي صلى الله عليه وسلم وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية وجاء الناس يبايعونه وبايعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولا وقال آخرون قد ذكرنا هو الناس في ولاية عثمان رضي الله عنه كما جمع العلماء المحققون من أهل السنة منهم السيد السمهودي عن طاهر بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الاحباب ثم قال ولا عبرة بما يروى عن بعض الجهلة من الروافض فانه لا أصل له والله سبحانه وتعالى اعلم واعترض بعض المبتدعة على عمر بن الخطاب في عدم ادخاله العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشورى وأجاب أهل السنة عن ذلك بأن العباس رضي الله عنه كان صديقا لعمر وانما لم يدخله في أهل الشورى لان الامر عندهم كان مبنيا على تقدم السابقية في الاسلام والعباس رضي الله عنه كان ممن تأخر اسلامه وكان صديقا لعمر رضي الله عنهما اعتذر عمر رضي الله عنه في عدم ادخاله العباس رضي الله عنه في أهل الشورى ولم ينكر عليه ذلك العباس ولا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بان الامر عندهم مبني على الاسبقية في الاسلام قال الامام محمد بن الحسن وانما لم يدخل فيهم سعيد بن زيد مع أنه أحد العشرة

المبشرين بالجنة لانه كان ابن عم لعمر بن الخطاب فخشي أنه اذا أدخله معهم يكون ذلك منه محاباة له لكونه من أقاربه فأحب أن يتقلدها بنفسه ولا أحد من أقاربه فهكذا كان احتياط عمر وورعه رضي الله عنه ثم ان الناس مكثوا ست سنين من خلافة عثمان وهم على غاية من الاتفاق والرضا كما كانوا في خلافة عمر رضي الله عنه بل قال بعضهم أحبوا عثمان أكثر من محبتهم لعمر رضي الله عنهما للينه ورفقه ثم في الست السنين الثانية وقع الاختلاف وأوقعه جماعة لم تكن لهم سابقية في الاسلام وكان الاصل في ذلك عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ظاهرا وليس له غرض في الاسلام الا قصد ايقاع الفرقة بين أهل الاسلام وأدخل على الناس شبهة من حيث تولية عثمان كثيرا من أقاربه على كثير من الامصار مع أن عثمان رضي الله عنه كان يفعل ذلك باجتهاد منه يراه هو الصواب ويرى أن أقاربه أقرب الى اعانته على العدل فلا لوم عليه في ذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك كله فكان في ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه فوقع كما أخبر وكل ذلك كان بقضاء الله وقدره ليكتب له الشهادة ويحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان انه يقتل مظلوما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الارض فيكفي بهذا حجة على صحة ما فعله واجتهد فيه رضي الله عنه وقال القائلون بان طلحة كان غائبا وقد جعله عمر رضي الله عنه من أهل الشورى قدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به قالوا نعم فأتى عثمان فقال عثمان أنت على رأس أمرك قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم فقال طلحة قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه ثم ان عمر رضي الله عنه بعد أن جعل أمر الخلافة للستة أصحاب الشورى حسب ما عليه من الدين فوجده ستة وثمانين ألفا ولزمته هذه الديون من انفاق كان ينفقه من ماله على الفقراء والمحتاجين لم يأكل منها حيفا ولا لبس منها قيصا بل كانت جبته

من قبله الودائع باب مرثه بن الحر بذلك فما أنفق هذا المال في سبيل الخير لأنه
ولد افو بيت حسابه وحاسب رقابه قال لا يبعد الله وأمامه حفصة رضي الله عنهما أو
قد أصبت من مال الله شيئا وإني أحب أن ألقى الله عز وجل وليس في عنقي منه
شيء فاقضه ما عندي من المال حتى يقضيا فإن عجز عنه مالي فسلا في بني عدي فإن
لم يف إلا فسلا في قريش ولا تعد وقد بيع عبد الله بن معاوية دار عمر التي
يقال لها دار ... بها بالمدينة وباع مالا كان له بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لها
الدار دار القضا وقد كان عمر رضي الله عنه كثير الإنفاق على الفقرا والمحتاجين
وإذا لم يكن في بيت المال شيء يتعرض للإنفاق عليهم لا سيما في عام الرمادة فإنه
كان عمر رضي الله عنه المحب المحاب في الإنفاق بالفقرا وأهل الحاجة وعن
زيد بن أسلم عن أبيه أسلم قال لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية أصابها
الجدب والقحط فقدموا المدينة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أمر رجالا يقومون عليهم ويقسمون عليهم الطعام فكان كل رجل على ناحية
من المدينة وكانوا إذا اجتمعوا عند أمير المؤمنين يخبرونه بكل ما كانوا فيه
فسمعت أمير المؤمنين قال في ليلة وقد تعشى الناس عنده أحصوا من تعشى
عندنا فأحصوا فوجدوهم سبعة آلاف رجل فقال أحصوا العيالات الذين
لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفا ثم مكث ليالي فزاد
الناس حتى صار من يتعشى عنده عشرة آلاف رجل والآخرون خمسين
ألفا وكانت تلك المجاعة التي أصابت الناس عام الرمادة مجاعة شديدة لم يعهد مثلها
لشدة القحط والجدب وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرمادة وكان
ذلك كله في سنة ثماني عشرة من الهجرة ومكثت تسعة أشهر واشتد الجوع حتى
جعلت الوحوش تأوي إلى المواضع المأنوسة تطلب ما تأكله وجعل الرجل يذبح
الشاة فيعافها من قبحها وأقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يذوق سمنا
ولا لبنا ولا لحما حتى يحيا الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن
فاشتراهما غلام لعمر رضي الله عنه بأربعين درهما وجاء بهما إلى عمر وكان ذلك

عند ابتداء اعتلاء القحط والشدة وقال يا أمير المؤمنين قد حيي الناس وأبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما فقال عمر تصدق بهما فإني أكره أن آكل اسرافا وكيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وفي مدة ذلك القحط كتب عمر الى أمراء الامصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة ابن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام جاء بها من الشام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة حتى صار الطعام بالمدينة كسعر مصر ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضي الله عنه فذلوا وتقاصروا وكان الناس في مدة الرمادة وعمر كالمحصورين عن أهل الأمصار فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال ابن الحارث رضي الله عنه قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن ما يصلح للذبح فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر فنادى يا محمداه فرأى في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحياة ائت عمر فاقرأه مني السلام وقل له اني عهدتك وأنت في العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففزع وقال رأيت به مساء فقال لا فأدخله وأخبره الخبر فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال نشدتكم الله الذي هداكم هل رأيتم شيئا تكرهونه قالوا اللهم لا ولم ذلك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر فقالوا انما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا فنادى في الناس وخرج للاستسقاء وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثى على ركبته وقال اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال اللهم انا نتقرب اليك

عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عماله اكتبوا عن الزاهدين فى الدنيا فان الله عز وجل وكل بهم ملائكة وضعوا أيديهم على أفواههم لا يتكلمون الا بما يحبه الله تعالى لهم وألقى الله فى قلوب العباد هيبة شديدة لعمر رضى الله عنه وعن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم قال بينما عمر رضى الله عنه يمشى وحلمه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدا له فالتفت فلم يبق أحد الا سقط لركبتيه جاوصا فأرسل عمر عينيه بالبكاء ثم قال اللهم انك تعلم أنى أشد خوفا منهم منى وقال عمر رضى الله عنه لولا مخافة الحساب لأمرت بحمل أى كبش يشوى لنا فى التنور وعن سفيان قال كان عمر يشتهى الشئ لعله يكون ثمنه بدرهم فيؤخره سنة وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما وبينى وبينه حائط يقول مكلما نفسه أمير المؤمنين بخ بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك وزار عمر أبا الدرداء رضى الله عنهما فقال له أبو الدرداء أتذكر حديثا حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أى حديث قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال نعم قال فما فعلنا بعده يا عمر فما زالا يتجاوبان حتى أصبحا وعن نافع قال كان من دعاء عمر رضى الله عنه اللهم أوجب لى فى موالاتك وموالاة أوليائك ولايتك ومعونتك وأرنى معاداة عدوك من الآفات اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ولا تقلل لى منها فأنسى فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى اللهم انى أعوذ بك أن تأخذنى على غرة أو تذرنى فى غفلة أو تجعلنى من الغافلين وعن قيس بن الحجاج قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص رضى الله عنه حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قال اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو بن العاص هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص

رضي الله عنه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر
رضي الله عنه انك قد أصبت بالذي فعلت لان الاسلام يهدم ما قبله وكتب بطاقة
داخل كتابه وكتب الى عمرو بن العاص رضي الله عنه اني قد بعثت اليك بطاقة
في داخل كتابي هذا فالقها في النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو رضي الله عنهما
واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد
فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله تعالى الواحد القهار هو الذي
يجريك فنسأل الله تعالى الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل
يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج لانهم لا تقوم مصلحتهم
الا بالنيل فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر
ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر فتلك كرامة من
كرامات عمر رضي الله عنه التي أكرمه الله بها * ومن كراماته رضي الله عنه
ما رواه البيهقي وأبو نعيم وغيرهما عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال
وجه عمر رضي الله عنه جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن زنيم فبينا عمر
يخطب يوم جمعة اذ جعل ينادي يا سارية الجبل فلا ناس استرعى الذئب ظلم فالتفت
الناس بعضهم لبعض فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليخرجن مما قال فلما
فرغ سألوه فقال وقع في قلبي أن المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل
ان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج مني ما تزعمون
أنكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك
اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفي رواية لابي نعيم عن عمرو بن
الحارث رضي الله عنه قال بينا عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة
وقال يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين
لقد جن فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان يطمئن اليه فقال
له انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ انت تصيح يا سارية الجبل أي
شيء هذا قال اني والله ما ملكت نفسي اذ رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين

أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتاب ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى وقتلهم وفي رواية ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وكان ذلك الجبل نهاوند من أرض العجم وأخرج الامام مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر رضي الله عنه أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر رضي الله عنه بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق الا ما أمرتني أن أحبسه وأخرج ابن عساكر أيضا عن الحسن البصري ان كان أحد يعرف الكذب اذا حدث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصي قال أخبر عمر رضي الله عنه ان أهل العراق قد حصروا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللهم قد لبسوا علي فلبس عليهم وعجل لهم بالغلام الثقفي لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم يعني الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان الله ضرب الحق على لسان عمر رضي الله عنه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي عند البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وقال حذيفة رضي الله عنه لما أسلم عمر رضي الله عنه كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما قتل كان

الاسلام كان رجل المدبر لا يزداد الا بعدا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن
الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما توفي عمر رضي الله عنه ذهب بتسعة
أعشار العلم ولو أن علمه وضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الارض في كفة لرجح
على علمهم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والاحكام
وانما أريد العلم بالله عز وجل قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين كان
يشير عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان قصده بالعلم بالله الذي مات بتسعة أعشار
موته وبعضه التقرب الى الله عز وجل في ولايته وسعيه وشفقته على خلقه وذلك
كله أمر باطن في سره وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما علمت أحدا
هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه
وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها
فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت
الوجوه من أراد أن يثكل أمه وييتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا
الوادي قال فما تبعه منهم أحد وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قد علمت بأي شيء
فضلنا عمر رضي الله عنه كان أزهدنا في الدنيا وروى البخاري عن أبي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر
ابن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت
بقدح لبن فشربت منه حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي
عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وعن سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب والذي نفسي
بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لما أراد عمر أن يعتمر لا تنسنا يا أخي من دعائك قال عمر رضي الله

عنهما كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا وروى مالك في الموطأ أن عمر رضي الله عنه كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف جمل يحمل الرجل الى الشام على بعير والرجلين الى العراق على بعير وكان عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس لصلاة التراويح فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا مر على المساجد ورأى القناديل في رمضان يدعو لعمر ويقول نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ على عمر السلام وأخبره أن رضاه وغضبه حكم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا غضب عمر فان الله يغضب لغضبه ولما توفي عبد الله بن أبي رأس المنافقين سأله ابنه الحباب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله أن يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيه رجاء أن الله يرحمه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابنه مؤمنا صادقا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تطييب قلب ابنه فتقدم ليصلي عليه فأراد عمر أن يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وقال يا رسول الله انه فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا فجذب النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه من يد عمر وتقدم وصلى عليه فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فجاءت الآية على رأي عمر رضي الله عنه واختصم منافق ويهودي في شيء فقال اليهودي للمنافق نذهب الى أبي القاسم فيحاكم على يديه وقال المنافق بل نذهب الى كعب بن الاشرف وكان من رؤساء اليهود يأخذ الرشوة في حكمه فامتنع اليهودي من الذهاب الى كعب بن الاشرف وذهبا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم على المنافق لليهودي فلما خرجا قال المنافق نذهب الى كعب بن الأشرف فامتنع اليهودي وقال نذهب الى عمر بن الخطاب فرضي المنافق ولما دخلوا على عمر أخبره اليهودي بما كان له من الدعوى على المنافق ثم أخبره بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم على المنافق وانه لم يرض بحكمه وقال نذهب الى كعب بن الأشرف فلم أوافقه ثم اتفقنا على التحاكم اليك فقال عمر للمنافق أحق ما قال هذا فقال

المنافق ثم قد دخل عمر بيته وأخرج سيفه وضرب عنق ذلك المنافق وقال هذا
جزاء من لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن عشيرة ذلك المنافق شكوا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلبوا القصاص
منه واعتذروا أن صاحبهم لم يكن منافقا وإنما أراد بالمجيء إلى عمر أن يعدل حكم
النبي صلى الله عليه وسلم وألحوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الدعوى وكاد
يحصل من ذلك شر فأيد الله تعالى ما فعله عمر وأهدر دم ذلك المنافق أنزل في ذلك
قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) الآيات ومنها قوله (أولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) فكان في ذلك
كله تأييد لما فعل عمر رضي الله عنه ولما قال عبد الله بن أبي لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يذهب إلى عبد الله بن أبي ويقتله
فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى
رضا لعمر قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي
قوما بما كانوا يكسبون) ولما أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أسرى بدر
وعدم قبول الفداء منهم وأشار أبو بكر رضي الله عنه بقبول الفداء وقال يا رسول
الله هم قومك وذووك فتمهل ونرجو أن الله يهديهم للإسلام فقبل النبي صلى الله
عليه وسلم ما أشار به أبو بكر في أخذ الفداء فأنزل الله تعالى (ما كان لنبي أن يكون
له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) فكانت
الآية موافقة لما أشار به عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي
الله عنه يبكيان فقال عمر يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن
وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبي صلى الله عليه
وسلم أبكي للذي عرض علي من الفداء وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم

شكاد يصيبانى حلاوة ذلك شر ثم أنزل الله امضاء أحد الفداء بقوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) ولما طاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت قال له عمر رضى الله عنه يارسول الله ألا نتخذ من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فكان ذلك من موافقات عمر رضى الله عنه وكان رضى الله عنه يقول للنبى صلى الله عليه وسلم أحجب نساءك فانه يدخل عليك البر والفاجر فأنزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولما أكثر نساء النبى صلى الله عليه وسلم من التغاير بينهن دخل عليهن عمر رضى الله عنه وزجرهن وخوفهن بالطلاق وأن الله يبدل النبى صلى الله عليه وسلم خيرا منهن فأنزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وكان رضى الله عنه يكره شرب الخمر ويسأل الله أن يحرمه فأنزل الله تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى فلم يكتف بذلك عمر رضى الله عنه وقال اللهم أنزل فى الخمر فأنزل الله تعالى انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فحرم الله الخمر فكان ذلك موافقا لما كان مرغوبا لعمر رضى الله عنه قال الشعبى لما سمع الناس قول عمر رضى الله عنه ورأوا عمله فكان يمشى فى الاسواق ويطوف فى الطرقات ويقضى بين الناس فى قبائلهم ويعلمهم فى أماكنهم ذكروا أبا بكر والنبى صلى الله عليه وسلم ثم قالوا كان النبى صلى الله عليه وسلم أعلم بأبى بكر رضى الله عنه وكان أبو بكر أعلم بعمر فجرى أبو بكر وعمر مجرى واحد وقد كانوا يخافون من لين هذا وشدة هذا فكان أبو بكر رضى الله عنه مع لينه أقواهم فيما لا بد منه وألينهم فيما ينبغى وكان عمر ألينهم فيما ينبغى وأقواهم فيما لا بد منه وقدم الاحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وفد من العراق قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة له فشر دبعير من إبل الصدقة فسعى خلفه وقال يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من إبل الصدقة فيه حق لليتيم والمسكين والارملة فقال رجل يا أمير المؤمنين يغفر الله لك وهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك

هذا فقال عمر وأي غش أعظم عندي من الحيف بن قيس أن من ولي أمر
المسلمين وهو عند المسلمين بحيث لم علمه ما يجب على المدين النصح وأداء الامانة
وقال عمر رضي الله عنه من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك
فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومن استعمل فاجرا وهو يعلم انه فاجر فهو
مثله ولما افتتح المسلمون سواد العراق قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
اقسمه بين الغانمين لانهم افتتحوه عنوة قال فما لمن جاء بعدكم من المسلمين فاني
أخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه وأخاف أن تقتتلوا فأمر أن يقروا أهل السواد في
أرضهم وضرب على رؤوسهم الضرائب يعني الجزية وعلى أرضهم الخراج ولم يقسمها
بينهم لتكون للمسلمين الذين يأتون بعدهم ولما قدم عمر رضي الله عنه مكة أقبل أهل
مكة يشكون أبا سفيان بأنه حبس مسيل الماء عليهم أقبل عمر ومعه الدرة فاذا أبو
سفيان ينصب أحجارا فقال ارفع هذا وهذا فرفعهما ثم قال وهذا وهذا حتى رفع
أحجارا خمسة أو ستة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل عمر يأمر
أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه وعن الحسن البصري قال حضر باب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من
قريش من تلك الرؤوس وصهيب وبلال ونفر من أولئك الموالي الذين شهدوا بدرا
فخرج اذن عمر للموالي وترك أولئك فقال أبو سفيان لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء
العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا أيها
القوم اني والله قد أرى الذي في وجوهكم ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعي
القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم وفي
رواية فاذا كان هذا في دار عمر فكيف الجنة فجلسوا يتكلمون على باب حجرته ولم
في الاسلام حتى ارتفعت أصواتهم فسمعهم عمر فأمر بما قالوه وكان صدر المجلس
في زمن خلافته للسابقين في الاسلام فاذا سبقهم غيرهم ثم جاء أحد من السابقين
يتأخرون عن صدر المجلس ليجلس فيه السابقون للاسلام ولو كانوا من الموالي
وزالأمم لا يزالون يتأخرون حتى يكون غير السابقين في آخر المجلس ولو كانوا

من أشراف قريش وعن الحسن البصري أن رجلا أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشا فأغرمهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديته وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جاء رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال ما شأنك قال أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأقبلت على فرس فلما حضر الناس قام محمد بن عمرو بن العاص يقول هذه فرسي ورب الكعبة فلما دنا مني قلت له هذه فرسي ورب الكعبة فقام يضربني بالسوط ويقول خذها وأنا ابن الأكرمين قال فوالله ما زاد عمر على أن قال اجلس ثم كتب الى عمرو بن العاص اذا جاءك كتابي هذا فأقبل واحضر معك ابنك محمدا قال فدعا عمرو ابنه محمدا فقال هل أحدثت حدثا أو جنيت جناية قال لا قال فما بال أمير المؤمنين عمر يكتب فيك فقدم عمرو وابنه على عمر قال أنس فوالله انا لعند عمر اذا نحن بعمرو وقد أقبل فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه محمدا فاذا هو خلف أبيه فقال عمر أين المصري فقال ها أنا ذا قال دونك الدرة اضرب ابن الأكرمين اضرب ابن الأكرمين اضرب ابن الأكرمين فضربه ثم قال فضربه ثم اجعلها على صلعة أبيه عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه فقال عمرو يا أمير المؤمنين قد ضرب من ضربه فقال أما والله لو ضربته من ضربه لما أقدمناك يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ثم التفت الى المصري فقال انصرف راشدا فان رابك شيء فاكتب الي وكان عمر رضي الله عنه اذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الانصار أن لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس دقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول اللهم اشهد وعن الحسن البصري قال قال عمر رضي الله عنه لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولا فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني أما هم فلا يصلون الي وأما عمالهم فلا يرفعونها الي فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها

شهر بن وعن الزهري أن عمر رضي الله عنه جلد ضبيعا التميمي لكثرة مسألته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوي ما يجد ما يملا بطنه من الدقل وعن هشام بن عروة قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة فهو والله لغيرها من حق الله تعالى أشد تضييعا وعن يحيى بن جعدة قال قال عمر رضي الله عنه لولا ثلاث لأحببت أن ألقى الله عز وجل لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبهتي لله تعالى أو أجالس أقواما ينتقون طيب الكلام كما ينتقى طيب التمر وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يبكي عند موت عمر رضي الله عنه فقيل له في ذلك فقال أبكي على موت عمر إن موت عمر ثلمة في الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه كان أبو بكر أواها حليما وكان عمر ناصحا لله فناصحه الله وإن كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون لنرى أن السكينة تنطق على لسان عمر وإن كنا لنرى أن شيطانه لهابه أن يأمره بالخطيئة وشهد عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال عمر رضي الله عنه أنت جاره الأدنى تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدراهم والدنانير التي يستبين بها ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يرفع رأسه طورا ويخفضه طورا قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك وقالت عائشة رضي الله عنها من رأى ابن الخطاب علم أنه إنما خلق غناء للإسلام وعن لاحق بن حميد قال بعث عمر بن الخطاب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف رضي الله عنهم إلى الكوفة فجعل عمار بن ياسر على الصلاة وعلى الجيوش وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة أرض الخراج وجعل بينهم كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر

رضي الله عنه والصف بين هدين قال الراوي ولا أحفظ الطعام ثم قال أنزلتكم
واياي من هذا المال منزلة والي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فليأكل بالمعروف وما أرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا كان سريعا في خرابها
ولما قدم عليه أول عير عام الرمادة دعا الزبير رضي الله عنه وقال أخرج في أول
هذه العير فاستقبل بها نجدا فاحمل الى أهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم ومن لم
يستطع حمله فر لأهل بيت بعير بما عليه وليكسوا كساءين من ذلك ولينحروا
البعير فيجملوا شحمه وليقددوا لحمه ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم وحفنة
من دقيق فيطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق فاعتذر الزبير من الخروج ثم
دعا طلحة رضي الله عنه فاعتذر فأمر أبا عبيدة رضي الله عنه فخرج فلما رجع بعث
له بألف دينار فقال أبو عبيدة اني لم أعمل لك يا ابن الخطاب اني عملت لله عز وجل
ولست آخذ في ذلك شيأ فقال عمر قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
أشياء بعثنا لها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلها أيها
الرجل فاستعن بها على دينك ودنياك فقبلها أبو عبيدة رضي الله عنه وتصدق
بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا
سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ولما جيء له بغنائم العراق كان فيها تاج كسرى
وأساوره وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بذلك سراقة بن مالك لما تعرض لان
يمسكه لكفار قريش عام الهجرة فساخت به قوائم فرسه ثم سأل النبي صلى الله
عليه وسلم الامان وعقد التوبة فخرجت قوائم فرسه وعرض عليه النبي صلى الله
عليه وسلم الاسلام فأبى فقال له كيف بك يا سراقة اذا لبست تاج كسرى وأساوره
ثم أسلم سراقة رضي الله عنه عام ثمان من الهجرة بالجعرانة فلما جاءت غنائم العراق
وفيها تاج كسرى وأساوره قال عمر رضي الله عنه ائتوني بسراقة بن مالك لالبسه
اياها لتحقق بذلك معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في وعده سراقة بذلك فجيء
له بسراقة فألبسه التاج والاساور وقال له قل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما
كسرى وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج وأركبه جملا

وطيف به في المدينة لإظهار ذلك النصر وقال عمر رضي الله عنه لما جيء له بمال العراق اللهم إني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب مالا فيقسمه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم إني قد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب أن يصيب مالا فيقسمه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكرا بعمر واستدراجا ثم قال بل يحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قدمت من عند أبي موسى الأشعري من العراق على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بثمانمائة ألف درهم فقال لي ماذا قدمت قلت قدمت بثمانمائة ألف درهم قال قدمت بثمانين ألف درهم قلت بل قدمت بثمانمائة ألف درهم قال ألم أقل لك إنك يمان أحمق قدمت بثمانين ألف درهم فكم ثمانين ألف درهم فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عددت ثمانمائة ألف درهم قال أطيب هو ويلك قلت نعم وإنما سأله عن طيبه مخافة من كثرته فاشتد به أن يكون طيبا حلالا قال فبات عمر ليلته أرقا حتى إذا نودي بصلاة الصبح قالت امرأته يا أمير المؤمنين الليلة قال كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله منذ كان الإسلام فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله منذ كان الإسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا علي رأيت أن أكيل للناس بالمكيال فقالوا لا تفعل يا أمير المؤمنين إن الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب الله وكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه قال فأشيروا علي بمن أبدأ منهم فقال له علي وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ابدأ بنفسك فقال لا بل أبدأ بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يجيء هذا المال فيفرض العطا كل سنة ويدون الدواوين للعطا كل سنة فكتب الناس ودون الدواوين فهو أول من

فعل ذلك ورتب ذلك أولا باعتبار التقدم و[illegible] آخر ثم باعتبار المقدار
الذي لكل انسان أما باعتبار التقدم والتأخر في الذكر في ذلك الديوان الذي
رتبه فبدأ ببني هاشم والمطلب بن عبد مناف فأعطاهم جميعا ثم أعطى بني عبد
شمس بن عبد مناف ثم بني نوفل بن عبد مناف وانما قدم بني عبد شمس على بني
نوفل لان عبد شمس كان أخا هاشم من أبيه وأمه وأما نوفل فكان أخا هاشم لابيه
فقط ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار ابنا قصي بن كلاب فقدم بني أسد بن
عبد العزى وهم قوم خديجة رضي الله عنها الصهر النبي صلى الله عليه وسلم
فيهم ثم تفردت له بنو زهرة بن كلاب بن مرة فدعاها تلو عبد الدار ثم استوت
له بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة فقدم بني تيم لانهم كانوا من
أهل حلف الفضول والمطيبين وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان
أبا بكر رضي الله عنه من بني تيم ثم دعا مخزوم فتلاهم ثم استوت له سهم وجمح
ابنا هصيص بن كعب وعدي بن كعب وكان عمر رضي الله عنه من عدي فقالوا
له ابدأ بعدي فقال بل أقر نفسي حيث كنت فان الاسلام دخل وأمرنا وأمر بني
سهم واحد فانظروا بين سهم وجمح فقدم بني جمح ثم بني سهم فكان ديوان جمح
وسهم كالدعوة الواحدة فلما خلصت اليه دعوته بعد بني سهم وجمح كبر تكبيرة
عالية ثم قال الحمد لله الذي أوصل الى حظي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسيأتي ذكر ما فرض لنفسه لان الكلام الآن في الترتيب في التقدم والتأخر
فقط لا في ذكر المقدار المفروض ثم دعا بني عامر بن لؤي بن فهر وكان أبو
عبيدة بن الجراح من بني فهر فتكون دعوته بعد بني عامر فلما دعا بني عامر بن
لؤي قبل فهر قال أبو عبيدة رضي الله عنه أكل هؤلاء يدعون أمامي فقال يا أبا
عبيدة اصبر كما صبرت أو كلم قومك فمن قدمك على نفسه لم أمنعه فأما أنا وبنو عدي
فنقدمك ان أحببت على أنفسنا فقال أبو عبيدة اصبر كما صبرت أنت ولا حاجة الى
ذكر ترتيب القبائل لانه يطول وبقي هذا الترتيب الذي رتبه عمر رضي الله عنه
الى زمن خلافة بني العباس فوقع تشاجر بين بني سهم وبني جمح في خلافة المهدي

ابن المنصور فأفردوا ثم المهدي عليهما بني عدي وأما بنو هاشم والمطلب فكانا
على ترتيب عمر رضي الله عنه في مرتبة واحدة لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما
نحن وبنو المطلب شيء واحد فإذا كان السن في الهاشمي قدمه على المطلبي وإذا
كان في المطلبي قدمه وبقي ذلك إلى خلافة عبد الملك بن مروان فقدم بني هاشم
على بني المطلب ثم إن عمر رضي الله عنه بعد ترتيب القبائل في الديوان الأقرب
فالأقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرض المقدار الذي يعطى لكل إنسان
وجعل التفاوت على السابقة للإسلام وأما أبو بكر رضي الله عنه فكان يسوي
بين المسلمين في القسم ولا ينظر إلى أسبقية الإسلام فراجعه عمر رضي الله عنه في
ذلك فلم يقبل مراجعته في ذلك وقال إنما فضلهم عند الله تعالى وإنما الدنيا بلاغ فلما
صارت الخلافة لعمر رضي الله عنه فاضل بينهم بالنسبة للأسبقية في الإسلام ولا
ينكر على أحد منهما لأن ذلك اجتهاد وجعل صفوان بن أمية والحارث بن هشام
وسهيل بن عمرو مع من أسلم عام الفتح وكان ذلك أقل من عطاء من أسلم قبل ذلك
فامتنعوا أن يأخذوا وقالوا لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا فقال إنما أعطيتكم
على السابقة في الإسلام لا على الأحساب قالوا فنعم إذا وأخذوا وخرج الحارث
وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين وفرض لأهل بدر خمسة آلاف كل
سنة ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن
بعد الحديبية إلى تمام قتال أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لأهل
القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن كان منهم مشهوراً بالشجاعة ولأولي
بلاء في تلك الوقائع ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل هؤلاء
بالألفين وخمسمائة فقال لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من
بعدت داره عن قرب داره وقاتلهم عن فنائه فقال من قرب داره أحق بالزيادة
لأنهم كانوا ردءاً للحتوف وشجى للعدو وهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين
سوينا بين السابقين منهم والأنصار فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم وهاجر إليهم
المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ثم فرض

لمن بعدهم خمسمائة ثم للروادف بعدهم ثلاثمائة سوى فى كل طبقة بين قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف بعدهم على مائتين وخمسين ولمن بعدهم على مائتين وفرض للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفا وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهل بدر وهم الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان الفارسي رضى الله عنهم وفرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف إلا من جرى عليها الملك كصفية ومارية وجويرية فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة فسو بيننا ففعل وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ الالفين وامتنعت من أخذ الزيادة وجعل نساء أهل بدر فى خمسمائة خمسمائة ونساء من بعدهم الى الحديبية فى أربعمائة ونساء من بعد ذلك الى تمام قتال أهل الردة فى ثلاثمائة ثلاثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين فى شهر والجريب مكيال قدر أربعة أقفزة والقفيز مكيال يسع ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفا فتكون الجريبتان ستا وتسعين صاعا ثمانية وأربعون له وثمانية وأربعون لعياله وأشار عليه بعض الصحابة أن يبقى فى بيت المال شيأ من المال عدة لكون ان كان فقال عمر رضى الله عنه هذه كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهى فتنة لمن بعدى بل أعدلهم ما أعد الله و رسوله طاعة الله و رسوله هما عدتنا التى بها أفضينا الى ماترون فاذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم وفى رواية قدم على عمر مال من العراق فقسمه فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو ان حضر أو نازلة أو نائبة ان نزلت فقال عمر قاتلك الله نطق بها على لسانك الشيطان لقنى الله حجتها والله لا أعصى الله اليوم ولكن أعد لهم كما أعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر للمسلمين فى شأن نفسه انى كنت امرأ

ما حرا بعني الله تعالى بصاري وقد شغلني أمركم هذا أفتارون أنه يحل لي في
هذا المال فأكثر القوم وعلي رضي الله عنه ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن
فقال ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القول ما قال علي فأخذ بها
قال علي رضي الله عنه واشتدت حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان
وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر في زيادة يزيدها إياها في رزقه فقال عثمان هلموا
فلنستبرئ ما عنده من وراء وراء فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال
واستكتموها أن لا تخبر باسم فلقيت عمر في ذلك فغضب وقال من هؤلاء
لأسوءنهم قالت لا سبيل إلى علمهم قال أنت بيني وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما
للوفد والجمع قال وأي الطعام ناله عندك أرفع قالت خرفا من خبز شعير فصببنا عليه
وهو حار أسفل عكة لنا فجعلناها دسمة حلوة فأكل منها قال وأي مبسط كان يبسط
عندك كان أوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه في الصيف فإذا كان الشتاء بسطنا
نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغيهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر
فضل الفضول ووضعها مواضعها وتبلغ بالترجية وإني والله لأضعن الفضول مواضعها
ولأتبلغن بالترجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الأول وقد
تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فإن لزم
طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وإن سلك غير طريقهما لم يجتمع معهما وكان
فرض العطاء وبدأ عمر الدواوين سنة خمس عشرة من الهجرة وخطب عمر
رضي الله عنه الناس لما كان بالشام فقال إن الله جعلني خازنا لهذا المال وقاسما
له ثم قال بل الله يقسمه وأنا بادئ بأهل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشرفهم
ففرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا جويرية وصفية وميمونة رضي الله عنهن
ثم قالت عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا
فعدل عمر بينهن رضي الله عنهن ثم قال إني بادئ بالمهاجرين الأولين الذين أخرجوا
من ديارهم ظلما وعدوانا ثم أشرفهم ثم أسرع في الهجرة أسرع به العطاء ومن

أبطأ في الهجرة أبطأ به العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته ولما قدم الشام
استقبله الناس وهو على بعيره وقالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء
الناس ووجوههم فقال عمر لا أراكم ههنا إنما الأمر من هنا وأشار بيده إلى السماء
خلوا سبيل جملي ودخل مرة على مزبلة فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا بها
فقال هذه دنياكم التي تحرصون عليها وقال نظرت في هذا الأمر إذا أردت
الدنيا أضر بالآخرة وإذا نظرت للآخرة أضر بالدنيا فإذا كان الأمر هكذا
فأضروا بالفانية وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن الله عز وجل جعل أبا
بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة سبقا والله سبقا بعيدا
وأتعبا من بعدهما إتعابا شديدا وعن الإمام مالك رضي الله عنه قال كان السلف
يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يعلمونهم السورة من
القرآن وعن شعيب بن حرب قال قلت لمالك أوصني قال أوصيك بحب الشيخين
أبي بكر وعمر فقلت إن الله عز وجل أعطاني من ذلك شيئا كثيرا قال والله إني
لأرجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد وهذا الفرض الذي فرض عمر
رضي الله عنه في العطاء غير الفرض الذي فرض أبو بكر رضي الله عنه فإن أبا
بكر سوى بين الناس في الفرض والعطاء نظرا لاستوائهم في الإسلام وأكثر مال
جاءه قسمه عشرين درهما وفضلت فضلة فقسمها للخدم خمسة
دراهم خمسة دراهم وقال إن لكم خدما يخدمونكم ويعالجون لكم فرضخنا لهم
فلما فتحت الفتوحات في خلافة عمر رضي الله عنه وجاءته الأموال قال إن أبا بكر
رضي الله عنه رأى في هذا المال رأيا ولي فيه رأي آخر ففاضل بين الناس في
الفرض كما تقدم وقال لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه
وفاضل بين أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ففرض لأسامة أربعة آلاف ولعبد الله
ابن عمر ثلاثة آلاف فقيل له لم زدت لأسامة ألفا وفضلته على ابنك عبد الله فقال ما
كان لأبي عبد الله ما كان لأبي أسامة من الفضل وما كان لعبد الله ما كان لأسامة
فإن أبا أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عبد الله وكان

أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله وفرض لأبناء
المهاجرين والانصار ألفين ألفين فمر به عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال زيدوه ألفا وقال انى فرضت له لأبيه أبى سلمة ألفين وزدته بأمه أم
سلمة ألفا فان كانت لك أم مثل أم سلمة زدناك ألفا وجاءه طلحة بن عبيد الله بابن أخيه عثمان
ففرض له ثمانمائة فمر به النضر بن أنس بن النضر فقال افرضوا له ألفين فقال له
طلحة جئتك بمثله ففرضت له ثمانمائة وفرضت لهذا ألفين فقال ان أبا هذا لقينى يوم
أنس بن النضر لقينى يوم أحد حين أضرب الناس وصرخ الشيطان ان محمدا
قتل فقال لى ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الناس يقولون انه قد
قتل فسل سيفه وكسر غمده وقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان
الله حى لا يموت فقاتل حتى قتل فان كان أبو أحمل عثمان مثل أبيه نفرض له مثل
ما فرضناه وجعل الفرض لمن يفرض له من الصبيان بعد الفطام من الرضاع
ثم غير ذلك وجعل الفرض لمن يفرض له من الصبيان من حين الولادة وسبب
ذلك أنه جاءت قافلة تحمل طعاما الى المدينة وغربت الشمس قبل دخول
القافلة المدينة فباتت القافلة خارج المدينة فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فقال
لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انى أخشى على هذه القافلة من السراق
اخرج بنا نحرسهم من بعد فخرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يحرسان القافلة من
بعد وقاما يتهجدان بالصلاة فسمع عمر رضى الله عنه بكاء صبى بالمدينة فقال
لعبد الرحمن بن عوف احرس القافلة حتى أنظر سبب بكاء هذا الصبى فتوجه نحو
الصبى وقال لأمه اتقى الله واحسنى الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه من ثانيه
فعاد الى أمه فقال لها مثل ما قال فى المرة الاولى ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل
سمع بكاءه فعاد الى أمه فقال ويحك انى لاراك أم سوء مالى أرى ابنك لا يقر منذ
الليلة فقالت وهى لا تعرف أنه عمر يا عبد الله انى أحاوله على الفطام فيأبى قال ولم
ذلك قالت لان عمر لا يفرض للمولود الا بعد الفطام فأريد أن أفطمه قبل أوان فطامه
ليفرض له عمر قال وكم له قالت كذا وكذا شهرا فقال لا تعجليه ورجع الى

عبد الرحمن بن عوف وهو يبكي ويقول يا بؤسا لعمر كم قتل من أبناء المسلمين فلما صلى الفجر أمر مناديا ينادي أن لا تعجلوا على صبيانكم الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام من حين يولد وكتب بذلك الى الآفاق أن يفرضوا لكل مولود في الاسلام من حين يولد وكان رضي الله عنه شديد الخوف من الله تعالى قوي الرجاء حتى كاد خوفه ورجاؤه كجناحي طائر في الاعتدال فكان يقول لو نادى مناد من السماء لا يدخل النار الا رجل واحد لخفت أن أكون أنا ولو نادى منادٍ لا يدخل الجنة الا رجل واحد لرجوت أن أكون أنا وكان رضي الله عنه مدة خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا الا خفقات يخفقها ويقول ان نمت ليلا أضعت نفسي وان نمت نهارا أضعت رعيتي وقرأ يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه أياما يعاد وأرسل مرة الى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستسلفه أربعمائة درهم فقال عبد الرحمن تستسلفني وعندك بيت المال ألا تأخذ منه ثم ترده فقال عمر اني أتخوف أن يصيبني قدري يعني الموت فتقول أنت وأصحابك اتركوها لامير المؤمنين حتى تؤخذ مني يوم القيامة ولكن أستسلفها منك فاذا مت جئت واستوفيتها من ميراثي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال والله لو أعلم أن كلبا يحب عمر لاحببته ووددت أني كنت خادما لعمر حتى أموت ولقد وجد فقده كل شيء حتى العضاه وان هجرته كانت نصرا وان سلطانه كان رحمة وقال ابن مسعود لابنه عبد الله وهو في حلقة في المسجد الحرام يا أبا عبد الرحمن ما الصراط المستقيم الا الذي كان عليه أبوك ثابتا حتى دخل الجنة ورأى ربه وحلف ثلاث أيمان على ذلك وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان عالما برعيته عادلا في نفسه قليل الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مفتوح الباب متحريا للصواب بعيدا من الاساءة رفيقا بالضعيف غير صخاب كثير الصمت بعيدا من العبث وكتب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص وهو على مصر رضي الله عنهما كن لرعيتك كما تحب لك أميرك وعن عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما قال دخل عيينة بن حصن على عمر رضي الله عنه فقال هيه
يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله
عنه حتى هم أن يوقع به فقال الحر بن قيس يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن هذا من
الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل
وعن الحسن البصري قال يجيء الاسلام يوم القيامة فيتصفح وجوه الناس حتى
يجيء الى عمر رضي الله عنه فيعتنقه ويقول أي رب كنت خفيا وأهان وهذا
أظهرني وآمن أعلم قال فيعطى ملائكة فيأخذونه فيدخله الجنان والناس
في الحساب وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان عمر إذا نهى
الناس عن شيء دخل على أهله أو قال جمع أهله فقال إني قد نهيت الناس
عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم فإن وقعتم وقعوا
وإن هبتم هابوا وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت
له العقوبة لمكانه مني فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر وعن ضبة بن
محصن العنزي قال كان علينا أميرا بالبصرة أبو موسى الاشعري رضي الله عنه
وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه حين لا يذكر
أبا بكر رضي الله عنه فقلت له أين أنت من صاحبه يعني أبا بكر رضي الله عنه
تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محصن
العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر أن أشخصه الي قال فأشخصني
اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من أنت فقلت أنا ضبة
فقال لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل لي ولا مال
فبما استحللت يا عمر إشخاصي من بلدي بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته قال ما الذي
شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك إنه كان إذا خطبنا حمد الله
وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك

منه فقمت له فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعاثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك فقلت غفر الله لك ياأمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه قلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا ومعه أبو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا ياأبا بكر ماأعرف هذا من أفعالك فقال يارسول الله أذكر الرصد فأكون امامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه أي حتى لايظهر أثر قدميه في الارض حتى حفيت فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذي بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ياأبا بكر لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه أي الطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحا فقلت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لئن منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب الى أبي موسى يلومه وقال الاوراعي في وعظ

وغط به المنصور وبلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة لحسبت أن الله سائلي عنها يوم القيامة وكتب بن حزم عند ذلك وهو على شاطىء وحدثني يزيد بن حازم عن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال انه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من أمور الناس الا أتي به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها الا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا قال من أبي ذر وسلمان فأرسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أنفه وألصق خده بالارض فأخذ عمر رضي الله عنه المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني وقال عمر رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف العقل أريب العقدة لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال أيضا الامراء أربعة فامير قوي ظلف نفسه أي منعها وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقال عمر أيضا رضي الله عنه اللهم ان كنت تعلم اني أبالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين وكان الخليفة المنصور بالسند بالمسيئة لا يجترئ أحد أن يعظه بمثل ما وعظه الاوزاعي رأيت جرأ الاوزاعي على ذلك لانه طلبه وأحضره من الشام الى بغداد وسأله أن يعظه فقال الاوزاعي

أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به فصاح به الربيع وزبره المنصور وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال الأوزاعى وطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ومن جملة ما قال له فى ذلك المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ومن كره الحق كره الله ان الله هو الحق المبين ان الله الذى لين قلوب رعيتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك أن تقوم فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له قائما ولعورتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه يا أمير المؤمنين كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الاعرابى فقال اقتص منى فقال الاعرابى قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لافعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى فدعا له بخير يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والارض التى يقول فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمد فوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها
يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك ولم يبق لغيرك
يا أمير المؤمنين أتدري ما جا عن جدك في تأويل هذه الآية مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك
فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين أتدري ما جا عن
جدك في تأويل هذه الآية يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين
الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى في الزبور يا داود
اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن
يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا
كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاة كرعاة الابل لعلمهم بالرعاية
ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والما يا أمير
المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين أن
يحملنه وأشفقن منه يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله عليه
وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم
رسول الله نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره
أنه لا يغني عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس
عم رسول الله ويا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم
من الله شيأ ان لي عملي ولكم عملكم وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه
السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار
فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال إن
الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى
اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سودا مظلمة لا يضي جمرها
ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لاهل
الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل

من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت أنت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي يمنعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله أمنكما أن تعصيا فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة عليهم السلام يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه وهذه نصيحتي اليك والسلام عليك ثم نهض الاوزاعي فقال له المنصور الى أين فقال الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله تعالى ثم أمر المنصور للأوزاعي بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وروى ابن المهاجر أن المنصور قدم مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاءه المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم

خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدنا فأما الرسول فقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور وماهذا الذي يتصل بي عنك من قول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول من الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي أنبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسي فهي في شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقووهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وأمرت بان لا يدخل عليك من الناس الافلان وفلان نفر سميتهم لم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله من الطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاء لك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم

حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك
وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك
الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وكانت للمتظلم بها حرمة
وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو
ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فإذا أجهد وأحرج وظهر وصرخ بين يديك
فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء
الإسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا
رجعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب
سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى
سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك
فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي
لا بكت عيناك فقال أما إني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي
لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن كان قد ذهب سمعي فإن
بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا المظلوم فكان يركب
الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك
بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن
عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فإنك لا تجمع الأموال
إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها للولد فقد أراك الله عبرا في الطفل الصغير
يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما
يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه وليس تعطي بل الله
يعطي من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما
أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع
وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد
الله وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله ما

ووق ماأسب فيه الامرله لا بدرك الا بعمل صالح يا أمير المومنين هل بما فيتين عمالك من رعيتك بأشد من العدل قال لا قال فكيف يسمع بالملك الذي خوّلك الله وماأسبغ عليك من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شي مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المومنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشي مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن لك على ان من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسي يطلب الرجل فاذا هو يطوف في طلب الرجل وبحث عليه فاذا هو بالرجل في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل أما تتقي الله قال لي قال بلى قال أما تعرفه قال لي قال فانطلق معي الى الامير فقد آلى أن يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شي فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت الي فان رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وفضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا

ولا يموت الا شهيدا تقول (اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا انك المحسن الى وأنا المسىء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بنعمتك وأتبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك على انك أنت التواب الرحيم) قال فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت عليه فرفع رأسه فنظر الى وتبسم ثم قال ويلك أوتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذى أعطاك ثم جعل يبكى وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام وعن أبى عمران الجونى قال لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه من أمور الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر التنسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثورى قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد أما بعد يا أخى قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وانى منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة واعلم يا أبا عبد الله انه ما بقى من اخوانى واخوانك أحد

الا وقد ارى وهانى عاصرت السنة وقد قصت سوف الا قوال وأستطيعهم من الحوارات ما قرحت به نفسى وقرت عينى وانى استطابك لم يأتى وقد كتب الك كتابا سيوقا ى المشدة ادا وقد لقت بالبك الله ماحا فى فصل الموت وزيارته ومواصلته فاذا ورد لك كتابى فالعجل العجل فلما كتب الكتاب ... الى ... عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وحتوسنه فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى فقال يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ثم اسأل عن سفيان الثورى فاذا رأيته فألق كتابى هذا اليه ثم سمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فارشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو فى المسجد قال عباد فأقبلت الى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة فى قلبى فخرجت فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع الى أحد رأسه وردوا السلام على رؤوس الاصابع فبقيت وقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ومددت عينى اليهم فقلت ان المصلى هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه فى يده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فانى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من حية تنهشه ثم فضه وقرأ وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوا واكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت له فى قرطاس نقى فقال اكتبوا الى الظالم فى ظهر كتابه فان كان

اكتسبه من حلال فسوف يجرى به وإن اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شئ منه طالم عند ما فيه يسدّ علينا دينا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد الثورى الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب حلاوة الايمان أما بعد فانى قد كتبت اليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتنى شاهدا عليك باقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت تشهدنى على نفسك أما انى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا عليك قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسائل جوابا وللبلاء جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة رب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون يد السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله عز وجل ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سائق وامام الى النار كأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى

بأن عزلت وسلبت عزلك في ميراثك زاد على سائلك ملأ على ملأ
دون طلبه فاحفظ يوصي وانتبه بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أنك تسأل
وما أنعمت الله في الصحيح عليه فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله
عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك
لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم
من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإني أحسبك يا هارون ممن
خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه
والسلام قال عباد فألقى إلي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فأخذته
وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة
فأجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا إلي
بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة
قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع
أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت
باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن
لي فلما دخلت عليه ونظر إلي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه
ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي
وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعا ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلي
فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض
جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد
وضيقت عليه في السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا
المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فاتركوا
سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى
توفي رحمه الله تعالى فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من
عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق فهذه كتابة بسيرة العلماء

وعادتهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله الموفق ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق وشرب عمر رضي الله عنه مرة من لبن إبل الصدقة غلطا فأدخل أصبعه وتقيأ وروي أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان لعمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة زوجة كان يحبها فطلقها لما ولي الخلافة خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها أو يطلب رضاها وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولما أخذ مخلاته أما ضربه فتأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذ مخلاته فان ما فيها جمعه بلا حق لأن الذي أعطاه اعتقد أنه محتاج فهو مال ضائع لا يعرف مالكه وأمره للإمام يصرفه في المصالح وأتي عمر رضي الله عنه مرة بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد اقتدى في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه لما أتي

فما أباه أهل فما بسر به من لبس ثوبه فسل فوضع القدح بيده وقال أما
انى لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى وقال على لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل
دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى
وقيصر وبين يدى فوم ونومهم وقال عمر رضي الله عنه كان لى صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بى غير طريقهما وانى والله سأصبر
على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد وقال رضي الله عنه
الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما نعلم
الاعمال كلها الا نعرف فى أمر الآخرة أبلغ من زهده فى الدنيا وكان عمر رضي الله عنه
يحب على بن أبى طالب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنه فى
ذلك شئ كثير فمن ذلك أنه لما قال النبى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى
مولاه قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أمسيت يا ابن أبى طالب ولى كل مؤمن
ومؤمنة وحكم على من على أعرابى بحكم فلم يرض بحكمه فتلببه عمر بن الخطاب
وقال له ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة وأخرج الطبرانى انه قيل لعمر
انك تصنع بعلى أى من التعظيم شيئا لا تصنعه مع أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم فقال انه مولاى والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه
الولاية فى المحبة والقرب والاتباع مثل قول الله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا) وأخرج ابن سعد عن أبى هريرة رضي
الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أقضانا وأخرج أيضا عن سعيد
ابن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن
يعنى عليا رضي الله عنه وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه لقد أعطى على ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها
أحب الى من حمر النعم فسئل وما هى قال تزويجه ابنته صلى الله عليه وسلم وسكناه
فى المسجد لا يحل لى فيه ما يحل له والراية يوم خيبر وأخرج أبو يعلى

والطبراني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب من علي ابنته أم كلثوم رضي الله عنهما بنت فاطمة رضي الله عنها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أبوهم وعصبتهم ثم قال عمر وإني وإن كانت لي صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم فأحببت أن يكون لي معها سبب ونسب وقصة تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم رواها الأئمة من طرق كثيرة منهم الطبراني والبيهقي والدارقطني وأكثر طرق الحديث مروية عن أكابر أهل البيت النبوي منهم جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين رضي الله عنهم أن عليا رضي الله عنه عزل بناته لولد أخيه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فلقي عمر عليا رضي الله عنهما فقال يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي قد حبستهن لولد أخي جعفر فقال عمر والله ما على وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فأنكحني يا أبا الحسن فقال علي إنها صغيرة فقال عمر ما ذاك بك ولكن أردت منعي فإن كانت كما تقول فابعثها إلي وفي رواية أنه لما قال له إنها صغيرة قال له ما بي حاجة إلى الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم وأحببت أن يكون لي من رسول الله سبب ونسب وفي رواية وإنه كان لي صحبة وأحببت أن يكون لي معها سبب فقال علي رضي الله عنه إن لي أمراء حتى أستأذنهم وفي رواية إن لي أميرين حتى أستأذنهما يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له وفي رواية أنه لما استأذن الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال إني كرهت أن أقضي أمرا دونكما فسكت الحسين لكون أخيه الحسن أكبر منه وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل فقال له أبوه صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمرا دونكما ثم

قال لها علي رضي الله عنه انطلقي الى أمير المؤمنين فقولي له إن أبي يقرئك السلام
ويقول لك انا قد قضينا حاجتك وفي رواية فأعطاها حلة وقال لها قولي له هذا البرد
الذي قلت لك فقالت ذلك لعمر فقال قولي له قد رضيت رضي الله عنه حصان كريم
ما أحسنها وأجملها ووضع يده على ساقها وفي رواية فضمها اليه فقالت تفعل هذا
لولا انك امير المؤمنين لكسرت انفك ثم خرجت حتى أتت أباها فأخبرته الخبر
وقالت بعثتني الى شيخ سوء فقال يا بنية انه زوجك ثم زوجها اياها فجاء عمر الى
مجلسه بين الروضة والمنبر حيث يجلس المهاجرون والانصار وذكر لهم الخبر وفي
رواية قال لهم زفوني أي قولوا لي بالرفاء والبنين فقالوا عن يا امير المؤمنين فقال
تزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ذكر لهم الحديث السابق وجعل لها مهرا أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية ولم
يعقبا وماتت عند عمر فتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات
عنها فتزوجها بعده أخوه محمد بن جعفر فمات عنها فتزوجها بعده أخوه عبد الله بن
جعفر فماتت عنده ولم تلد لاحد من الثلاثة شيئا واتفق الصحابة رضي الله عنهم على
أن عمر رضي الله عنه كان متصفا بكمال الزهد والعلم والورع والعقل وكانوا يقولون
هو أكرم من أن يخل وأعقل من أن يخدع وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون أنواع
الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ودخل عمر بن الخطاب رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط
فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر رضي الله
عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت
كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله
نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترضى يا عمر أن
تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل
على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك

متاعا ولا عبرة بذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها ورأى على باب منزلها سترا وفي يدها قلبين أي سوارين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبو رافع فقال من أجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها بأبي أنت وأمي قد أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به إلى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال ينقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتته صلى الله عليه وسلم دنانير خمسة أو ستة ليلا فبيتها فسهر ليلة حتى أخرجها آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه وقال الحسن البصري رضي الله عنه أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا قط كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وقال الحسن ودخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا قالوا إنه الرئاسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة وقال

عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فاذا بأعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله احياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لك الذراع لاتأكلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت بمثلها علينا لهلكنا كلنا فلقد وطىء ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لولم تجالس الا كفؤا ما جالستنا ولولم تنكح الا كفؤا ما نكحت الينا ولولم تواكل الا كفؤا ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وآكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت الطعام على الارض ولعقت أصابعك تواضعا منك وقال عمر رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلاتفارقوا مجالس العلماء وكان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى الأشعري رضي الله عنه ذكرنا ربنا وكان أبوموسى حسن الصوت حسن القراءة فيقرأ أبوموسى حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال

يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أو لنسائي الصلاة الصلاة أشار إلى قوله تعالى
ولذكر الله أكبر وكتب عمر إلى أمرائه الأجناد أن لا تلقبوا وأحسنوا وسموا أي
التسمية الحسنى واستعملوا الحسن في الأسماء واهتدى عمر بعمله أي بموافقته في عمله
هذا فإنه لما سمي سلا بابه دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسميها
ويسري بهما بدنانها عن ذلك وقال بل إذ هذا فعل أي لأن العمل الحسن
من الكبر الذي وقال عمر رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه
فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر
رضي الله عنهما ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما
دنونا منه إذا باب مجاف على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال أتدري
بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن على شرب فما ترى
قلت أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه
وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم
لمعاوية رضي الله عنه إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم
وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته
حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة بالمدينة
فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر
فقال يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يا أمير
المؤمنين فلا تعجل فإن كنت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث قال الله
تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها وقد تسورت علي وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله
عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت
عني لا أعود إلى مثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال عمر رضي الله عنه من أقام

نفسه فقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به ومر رجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين انها امرأتي فقال هلا كلمتها حيث لا يراك الناس وقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز أو فجور وكان رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول اني لأتزوج الا لأجل الولد وقال عمر رضي الله عنه ما أعطي العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان ذلك الاثاث رحى وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق وخطب مرة ونهى عن المغالاة في الصداق وقال ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأة كيف تنهى وقد قال الله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فقال كل الناس أفقه منك يا عمر حتى النساء وفي رواية قال امرأة أصابت وأخطأ عمر وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه في الكلام فقال لها أتراجعيني بالكلام فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم دخل على حفصة فقال لها لا تغتري بابنة أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى ان امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم دفعت في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى مرة بينه وبين عائشة رضي الله عنها رضي الله عنها كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية

نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت
خلف ظهره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك
هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلماً وكرماً وكان يقول لها إني لأعرف
غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت
قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهجر اسمك قالوا أول حب وقع في الإسلام
حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك
كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذوني في عائشة فإنه
والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكم غيرها وقال أنس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان يمزح مع
نسائه وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي عنه أنه
كان يسابق عائشة رضي الله عنها في العدو وسبقته يوماً وسبقها في بعض الأيام
فقال عليه الصلاة والسلام هذه بتلك وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان من
أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من
الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عيد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين البابين ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر
وجعل رسول صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثاً
ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وقال صلى الله عليه
وسلم خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وفي رواية خيركم خيركم لنسائه وأنا
خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في
أهله مثل الصبي فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً وقال رضي الله عنه خالفوا
النساء فإن في خلافهن بركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد زجر عمر رضي

الله عنه امرأته عراجعته وقال ما أنت إلا لعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما أنت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر اليه فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضى الله عنه وقال أعليك أغار يا رسول الله وقال عمر رضى الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال لاتلبسوهن زينة وانما قال ذلك لأنهن حينئذ لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وبعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وقال عمر رضى الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال رضى الله عنه مامن موضع يأتيني الموت فيه أحب إلىّ من موطن أطلب فيه القوت لأهلي أبيع وأشترى وكان رضى الله عنه يطوف فى السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه والا أكل الربا شاء أو أبى قال قتادة لما قدم عمر رضى الله عنه الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا ومر عمر رضى الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فقالوا لعامل من عمالك بالبحرين فقاسمه ماله وكان رضى الله عنه يقول لى على كل خائن أمينان الماء والطين وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد التى قدموا منها وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا عزله وكتب له أن اقبل وكان يقول مثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وقد تقدم أنه كان يشاطر العمال أموالهم فيأخذ نصف أموالهم فيجعلها فى بيت المال وانما

يناظرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وولى أبا هريرة رضي الله عنه عملا فرأى له مالا فقال له من أين لك هذا المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وعطايا تداولت وأسهم من الغنيمة فقال أد الشطر وكأنه رضي الله عنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رزقه وإن كان حلالا فإنه لا ينبغي له ذلك لأن له مالا أراه قوي على أن نال بالحلال ماله بالتجر وفعله هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا أهدي إلي فقال صلى الله عليه وسلم ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم خطب فقال إني أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي فهلا جلس في بيت أبيه وبيت أمه ليهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى به يوم القيامة يحمله فلأعرفن أحدكم يوم القيامة يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت وكان رضي الله عنه إذا قدم عليه العمال أمرهم أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كي لا يخفوا شيئا من المال وقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة والله ما أصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان وكان رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه وقال رضي الله عنه لسلمان الفارسي رضي الله عنه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما قال لا قال عمر رضي الله عنه لسانان قد كفيتهما والله لسانان فيما [illegible] مع أن ذلك مكذوب على عمر رضي الله عنه لم يقع منه شيء من ذلك وسأل عمر رضي الله عنه بعض من قدم عليه من الشام عن أخ كان وآخاه في الله تعالى فخرج إلى الشام فقال ما فعل أخي فلان

ذلك أخو الشيطان قال عمر فإنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال عمر إذا أردت الخروج فآذني فكتب له عمر بخطه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم كتب إليه بعد ذلك كلاماً يعاتبه فيه ويعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله وقد نصح لي عمر فتاب مما كان قد وقع فيه وكان عمر رضي الله عنه يحب عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ويقربه ويدنيه ويستشيره ويقدمه على الأشياخ فقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمساً لا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تجربن عليه كذباً ولا تعصين له أمراً ولا يطلعن منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف وكان عمر رضي الله عنه يقول ثلاث يصفون لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه وكان عمر رضي الله عنه يوماً جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين

المؤمنين يوم اليمامة وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة بالمدينة
فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو أن إماما رأى
رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت
إمام فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليس ذلك لك إذن يقام عليك الحد
إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم
ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال علي مثل مقالته الأولى وكان عمر
رضي الله عنه مترددا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله تعالى
فلذلك راجعهم في معرض التقرير لا في معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له
ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال علي رضي الله عنه إلى أنه ليس له ذلك وأخذ
عمر بقوله وهذا هو الحق عند الفقهاء فإن من قال إن القاضي يقضي بعلمه
استثنى من ذلك الحدود وروى الشعبي أن عمر رضي الله عنه بعث مصدقين
فأبطئوا عليه وبالناس حاجة شديدة فلما جاءوا بالصدقات قام عمر معتجرا بعمامة
يحمل في أولها وآخرها يقسم تلك الصدقة ويقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان
حتى انتصف النهار وجاع فدخل بيته فأكل ثم أكل بيته وقال في مال الصدقة من
أدخله بطنه أبعده الله قال العلامة الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك
كانت الخلفاء تعدل في بيت المال فكانت الرعية هم الأجناد وهذه هي سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وكان جوعه أكثر من شبعه وتوفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة في آصع من شعير وإذا لم يكن العدل في بيت المال ضعف الملك
وقويت الأعداء كان الهرمزان من ملوك الفرس فأسره المسلمون وأرسلوه إلى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما وصل إلى المدينة وجد عمر رضي الله عنه في
المسجد مستلقيا متوسدا كوما من الحصا ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت
فنمت وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
على عاتقه قربة وهو يتخلل الناس فقلت ما لك يا أمير المؤمنين فقال لي لا تكلم
وأقول لك فتبعته حتى صبها في بيت عجوز وجدنا إلى جنبه فقلت له في ذلك

فقال انه حضرني رسول ملك الروم ورسول ملك الفرس فقالا لي لله درك يا عمر قد اجتمع الناس على عدلك وفضلك وعدلك وانا احر جامن عندي تداخلني ما يتداخل البشر فقمت ففعلت بنفسي ما فعلت وحمل مرة أخرى قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال ان نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها وقال له كعب الاحبار يوما انا لنجد في كتابنا انك تكون على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة وكان كعب الاحبار حبرا من أحبار اليهود ثم هداه الله للاسلام في زمن خلافة عمر رضي الله عنه وكان عنده علم كثير من التوراة وكتب بني اسرائيل وكان فيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم وصفات خلفائه وأصحابه وكثير من حوادث هذه الامة وكان يجلس مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بها وقد رأوا كثيرا مما أخبرهم به من الحوادث التي تجري في المستقبل فرأوها كما أخبر وقال له عمر رضي الله عنه يوما خوفنا يا كعب فقال لعمر رضي الله عنه اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسي وقال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي وغير جاف للقريب وعن سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا التقى المسلمان وسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر والتقى مرة عمر وأبو عبيدة رضي

أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت ف
فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار على قبر فلانة نراها
كل ليلة فقلت والله إن كانت لصوامة قوامة فأخذت المعول حتى
انتهيت الى القبر فحفرت فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك
ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من
الغراب بالغراب وكان عمر رضي الله عنه كبقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يبالغون في تطهير ظواهرهم وبواطنهم من الصفات الذميمة كالحسد والكبر
ويتساهلون في الطهارة الظاهرة حتى ان عمر رضي الله عنه توضأ من ماء في جرة
نصرانية وكان بعض المنافقين يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من
العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه أن يقتله ورأى ان
فعله ذلك حرام وركب عمر رضي الله عنه مرة على فرس هملج ثم نزل عنه
وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته وسمع عمر رضي الله عنه
مرة رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه
فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وكان عمر رضي الله عنه يقول اذا أعطيتم
فأغنوا وكان يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وأعطى مرة
أعرابيا ناقة بولدها وقال اللهم اجعل الفضل عند خيارنا وكان رضي الله عنه
يقول ان الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وقال له رجل من أهل
الكتاب في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا لو نزلت هذه الآية علينا لجعلنا يوم نزولها يوم عيد فقال عمر
رضي الله عنه أشهد لقد نزلت هذه الآية يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد اتخذناه عيدا وكان رضي الله
عنه يقول الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في ذي الحجة ومحرم وصفر وعشرين
من ربيع الأول وحج رضي الله عنه فلما قبل الحجر الاسود قال اني لاعلم انك
حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك

ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه والتفت فرأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وراءه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علي رضي
الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال إن الله تعالى لما أخذ
الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين
بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود قال عمر رضي الله عنه لا أبقاني الله في
قوم لست فيهم يا أبا الحسن قال العلماء ولهذا المعنى الذي ذكره علي رضي الله عنه
استحب للطائف أن يقول عند استلام الحجر اللهم إيمانا بك ووفاء بعهدك يشير به من
ذلك إلى العهد الذي ألقمه الله الحجر وكان عمر رضي الله عنه يقول أخشى
أن يكثر الطعام بمكة فتسقط هيبة البيت الحرام من القلوب وكان يقول للحجاج
إذا حججتم يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم
ولذلك هم عمر منع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت
فتسقط هيبته من قلوبهم وقال رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار
بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وقال عمر رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه للدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما
وجهه وكان رضي الله عنه يقول يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه وتعالى
رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإذا أذنب استعتبه ثلاث
مرات لئلا يسلبه رداءه وقال رضي الله عنه موت ألف عابد صائم النهار قائم الليل
أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال رضي الله عنه من حدث حديثا
فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف
على هذه الأمة المنافق العالم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان
جاهل القلب والعمل وقال رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق
وقال رضي الله عنه ثلاث يهدمن الدين إحداهن زلة العالم وكان عمر رضي الله
عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن نفسه هل فيه شيء من النفاق فبرأه
من ذلك وكان إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة للصلاة عليها

صلى عليها والاترك وكان حذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين والفتن وكان لا يحضر جنازة منافق وكان عمر رضي الله عنه يقول ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى، وماتم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال رضي الله عنه ان الرجل يشيب في الاسلام وما أكمل لله صلاة فقيل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل وقال رضي الله عنه ما كنا نعرف الانسان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يترك انكار المنكر ولا النصح للمسلمين فكان رضي الله عنه مرة يخطب للجمعة فدخل المسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه فأنكر عليه تأخره الى ذلك الوقت وترك التبكير الى المسجد فقال في خطبته أهذه الساعة تجيء يا عثمان فقال عثمان ما زدت بعد أن سمعت الاذان على أن توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء أيضا أي اقتصرت عليه وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل وأخر عمر رضي الله عنه مرة صلاة المغرب حتى طلع نجم فأعتق رقبة وسئل رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وخطب رضي الله عنه مرة فقال أيها الناس انه قد أتى علي زمان وأنا أرى أن قراء القرآن يريدون به الله عز وجل وما عنده فخيل الي الآن ان قوما يقرؤنه يريدون به الناس والدنيا الا فأريدوا الله عز وجل بأعمالكم الا انما كنا نعرفكم اذ يتنزل الوحي واذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا من اخباركم فقد انقطع الوحي وذهب النبي فانما نعرفكم الآن بالقول فمن رأينا منه خيرا ظننا به خيرا واحببناه عليه ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم ألا واني انما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم الا من رابه شيء من ذلك فليرفعه الي فوالذي نفسي

بعد لا يصلحكم ، فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أراك أن تعتب
علينا الأمين عمالك فأدب رجلا من رعيته فضربه أتقصه منه قال نعم والذي نفس
عمر بيده لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه
وخطب لما ولي الخلافة فقال يا أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني شديد فلين لأهل
طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على
أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم إني شحيح
فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة
واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين
الجانب للمؤمنين اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال
وذكر الموت في كل حين اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني
النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك اللهم
ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني
الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات
اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه
والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير وكان آخر كلام عمر
الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على
غرة ولا تجعلني من الغافلين وكان الذين يكتبون له زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم
وعبد الله بن خلف الخزاعي الذي يقال له طلحة الطلحات كان على ديوان
البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك فلم يزل إلى أن
ولي عبيد الله بن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن المسيب روي أن عمر رضي الله
عنه خطب امرأة من بني بثقيف وخطبها المغيرة بن شعبة فزوجوها المغيرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا زوجتم عمر فإنه خير من فيها ولكنها
الإماحلب لله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن البصري قال ما فضل عمر
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياما

ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في أمر الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنهما خرجت يوما أريد عمر في خلافته فألفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفي رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت أجذب الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الي الطعام ويقول كل لي ولك

﴿ ذكر مقتل عمر رضي الله عنه ﴾

قال الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني وقيل مجوسي يقال له فيروز أبو لؤلؤة وكان نجارا جيدا نقاشا يصنع الرحى وحدادا وكان خراجه ثقيلا عليه فشكا الى عمر ثقل الخراج وسأله أن يكلم مولاه أن يخفف عنه من خراجه فقال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وما صناعتك قال نجار نقاش حداد قال ما أرى هذا خراجا ثقيلا في مثل صناعتك فقد بلغني أنك تقول لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر لقد وعدني العبد الآن فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجد ذلك في كتاب عندي قال عمر أتجد عمر بن الخطاب قال اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك وانك قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما أصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر فاستعمل أبو لؤلؤة خنجرا له رأسان محدد الطرفين نصابه في وسطه وكان عمر قد رأى في المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات فتأوله بأنه رجل من العجم يطعنه ثلاث طعنات وكان عمر رضي الله عنه يوكل بالصفوف رجالا يسوونها فاذا استوت أخبروه فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فلما كان ذلك اليوم الذي طعن فيه كمن له أبو لؤلؤة في المسجد في غمار

الناس وأمهله الى أن كبر ودخل فى صلاة الصبح فطعنه ثلاث طعنات وقيل ست طعنات احداهن تحت سرته هى التى قتلته فلما وجد عمر حد السلاح سقط وقال دونكم الكلب فانه قد قتلنى وفى رواية قتلنى أو أكلنى الكلب ماج الناس وأسرعوا اليه وصار العلج لا يمر على أحد يمينا أو شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة حتى جاء رجل فاحتضنه من خلفه وقيل ألقى عليه برنسا فأدنى السكين الى حلقه فقتل نفسه وقال عمر عند ما سقط أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا انعم هو ذا فساوله بيده وقال تقدم صل بالناس فصلى ثم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة وحمل عمر الى منزله ثم سأل عمن طعنه فقالوا انه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام ثم أذن للناس فدخلوا عليه ودخل فى الناس كعب الاحبار فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

وواعدنى كعب ثلاثا اعدها ❊ ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بى حذار الموت انى لميت ❊ ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ثم أوصى بجعل الخلافة شورى بين ستة وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ثم قال لابنه عبد الله أنظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا فقال ان وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم والا فسل فى بنى عدى بن كعب وان لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم الى غيرهم فأد عنى هذا المال ثم قال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم أميرا وقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ثم دخل على عائشة رضى الله عنها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله قد جاء وهو مضطجع اليه فقال ارفعونى فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال عمر الحمد لله ما كان شئ من الامر أهم الى من ذلك فاذا أنا قضيت فاحملونى وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت

لي وأدخلوني وان رددتني فردوني وفي رواية والا فاصرفوني الى مقابر المسلمين فلما توفي خرجوا به وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ثم حملوه واستأذنوا به على عائشة رضي الله عنها فأذنت فدفنوه في بيتها عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وطعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم سنة أربع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وفي تاريخ ابن الوردي مر يوما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما دام هذا بين أظهركم فاذا فارقكم انفتح ذلك الباب فكان كما قال عليه الصلاة والسلام لان الفتنة كلها قد نجمت بعده فتتابعت واتصل بعضها ببعض ولا تزال الفتن كذلك الى يوم القيامة انتهى ذكر ما كان لعمر رضي الله عنه وذلك نزر يسير من سيرته رضي الله عنه

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان عثمان رضي الله عنه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة عادلا في بيت المال لا يأخذ لنفسه منه شيأ لانه كان غنيا وغناه كان مشهورا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وكان كثير الانفاق في نهاية الجود والسماحة والعدل في القريب والبعيد وأنزل الله فيه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان يخطب الناس وعليه ازار غليظ عدني ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت قال الحسن البصري دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاءان يختصمان اليه فقضى بينهما وعن عبد الله بن شداد قال رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة يخطب وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه

ثوب ثمنه أربعة دراهم وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان قال كان قطري قالوا كم ثمنه قال ثمانية دراهم وكان رضي الله عنه شديد التواضع قال الحسن البصري رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه ويجيء الرجل فيجلس اليه ثم يجيء الرجل فيجلس اليه فيجلس حتى كأنه أحدهم ويرى حنه قال رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين وفي رواية أخرى لحيته أما رأيت عثمان يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصا في جنبه فيقول الناس هذا أمير المؤمنين وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم لكفوك فقال لا الليل لهم يستريحون فيه وكان رضي الله عنه يعتق في كل جمعة رقبة منذ أسلم الا أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيعتقها في الجمعة الاخرى قال العلامة ابن حجر في الصواعق ان جملة ما أعتقه عثمان رضي الله عنه ألفان وأربعمائة ومن تواضعه رضي الله عنه أنه كان يردف غلامه خلفه أيام خلافته ولا يعيب ذلك وكان رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة من أوله وكان يختم القرآن كل ليلة في صلاته وكان كثيرا ما يختمه في ركعة وكان اذا مر على المقبر يبكي حتى يبل لحيته وكان رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة ومن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض وكان من السابقين للاسلام فانه أسلم بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والزهد في الدنيا فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك وكثرت الفتوحات في زمن خلافته رضي الله عنه فلم يبق في زمنها الا بعض سواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك وكثرت أموال الصحابة في خلافته رضي الله عنهم حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف ونخلة بألف وعن الحسن البصري قال كانت الارزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيرا وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاما يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان بن عفان ولي

فى الدنيا والآخرة وأخرج ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان فى الجنة وقال لكل نبى خليل فى الجنة وان خليلى عثمان بن عفان وفى رواية لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استحقوا النار الجنة بغير حساب وأخرج أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لأول من هاجر الى الله تعالى بأهله بعد لوط ولما زوج النبى صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان رضى الله عنهما قال لها ان بعلك لأشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم أشد أمتى حياء عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الىّ أن أزوج كريمتىّ يعنى رقية وأم كلثوم من عثمان وقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان حيي تستحى منه الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم انا يشبه عثمان بأبينا ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم ما زوجت عثمان بأم كلثوم الا بوحى من السماء وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان يا عثمان هذا جبريل يخبرنى أن الله زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علىّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد اليوم وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثره فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه انها عشرة آلاف دينار فجعل النبى صلى الله عليه وسلم

يقلبها و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي عثمان ما عمل بعدها وأخرج الواحدي ان الله أنزل بسبب ذلك في حق عثمان رضي الله عنه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ارتقبت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من أول الليل الى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه فما زال رافعا يديه حتى طلع الفجر وأخرج البغوي عن جابر بن عطية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو كائن الى يوم القيامة وأخرج الامام أحمد عن أم عمرو بنت حسان وكانت امرأة صدق قالت سمعت أبي يقول ان عثمان جهز جيش العسرة مرتين بيعتا أمر صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان كان عثمان رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى بايعه عنه فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضي الله عنه وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت اليه بوجهه فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان ان الله مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلما حصره المنافقون وأرادوا منه أن يخلع نفسه استمع لهذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا فأنا صابر عليه وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر

رومة وجهز جيش العسرة ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن
بها ماء مستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة يجعل
دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتراها عثمان رضي الله عنه بخمسة
وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين وكانت بقعة الى جنب المسجد فقال النبي صلى
الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد وله مثلها في الجنة فاشتراها عثمان رضي
الله عنه بعد ذلك ووسعها في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله عثمان تستحيه
الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد في مسجدنا حتى وسعنا وعن أبي الفرات
قال كان لعثمان رضي الله عنه عبد فقال له يوما اني كنت عركت أذنك فاقتص مني
وألزمه أن يفعل فأخذ بأذنه ثم قال قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة وصح عنه
صلى الله عليه وسلم انه وزن إيمان عثمان بايمان الامة فرجحهم وأخرج الطبراني
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت أني وضعت
في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع
عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها وأخرج
ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما قال أبو بكر شعرا قط في
جاهلية ولا اسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية وأخرج أبو نعيم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعصمة بن مالك اذا أنا مت وأبو بكر وعمر
وعثمان فان استطعت أن تموت فمت وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القائم بعدي في الجنة والذي يقوم
بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة وروى ابن عساكر أيضا عن أنس بن
مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا يجتمع حبهم في
قلب منافق ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأتي صلى الله عليه وسلم
مرة بجنازة رجل فلم يصل عليها فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على
أحد قبل هذا فقال انه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل وروى الامام أحمد
والبخاري وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو

بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال
اثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان وتكرر نقل ذلك وقوعه على حراء وعلى
ثبير وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع حصيات
فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم ناولهن أبا بكر فسبحن في يده
وكذا في يد عمر وعثمان ثم وضعهن في الأرض فخرسن ثم أخذهن وقال صلى الله عليه وسلم
إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة
والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا
الحج وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه
أخرجه قال الله المستعان وروى الشافعي بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنوارا على يمين العرش قبل أن يخلق
آدم بألف عام وأصاب الناس مجاعة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فجاءت عير
من الشام لعثمان رضي الله عنه تحمل برا وزيتا وزبيبا وكانت ألف بعير فأعطاه
التجار لكل درهم خمسة دراهم فقال إن الله أعطاني لكل درهم عشرة أشهدكم
أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله تعالى قال الزهري كان عثمان رضي الله عنه
أحب إلى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان
لهم ووصلهم وكان عثمان رضي الله عنه حليما محببا إلى قريش حتى كان يقال
أحبك والرحمن حب قريش لعثمان وكان لعثمان رضي الله عنه على طلحة بن عبيد
الله رضي الله عنه خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك معونة
على مروءتك وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على رعيته قال سليمان بن موسى
دعي عثمان إلى قوم كانوا على أمر قبيح فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى
أمرا قبيحا فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة كفارة لهمته وخروجه وكان
رضي الله عنه شديد الخوف من الله تعالى فكان إذا مر بقبر بكى حتى يبل لحيته
وكان يقول يا ليتني إذا مت لم أبعث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان إنك
ستلي بعدي فلا تقاتل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تبوك عثمان يصلي

عليه ملائكة السماء ودخل عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ركبته
صلى الله عليه وسلم بادية فغطاها فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلي فلم تغطها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأستحي ممن استحيت منه الملائكة وكان
رضي الله عنه يقال له ذو النورين لانه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يعلم أحد أرسل سترا على ابنتي نبي غيره زوجه ابنته رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم
فلما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها وعن علي رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن لي أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد
واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وقال صلى الله عليه وسلم اعثمان أشبه بأبينا ابراهيم
عليه السلام وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه انا
نستحي منه وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله وروى الامام
أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضي
الله عنه وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك
السيف فلم يغمد ذلك السيف الى يوم القيامة وفي الشفاء للقاضي عياض أنه صلى
الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى أن يلبسه قميصا
وانهم يريدون خلعه وانه يسيل دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم ولما حصر وهو استأذنه جماعة من الصحابة انهم يقاتلونهم فأبى وممن استأذنه
ليقاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله
عنهم فامتنع أن يأذن لهم وكان علي رضي الله عنه يلعن قتلة عثمان ويقول اللهم اني
أبرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وكان علي رضي الله عنه
يقول أيضا والله الذي لا اله الا هو ما قتلت عثمان ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال كنت مع عثمان يوم الدار فقال اعزم علي

فكل من رأى أن لله عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويلقي سلاحه فألقى القوم
أسلحتهم وقال سمرة إن الإسلام كان في حصن حصين وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة
بقتلهم عثمان لا تنسد إلى يوم القيامة . وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن
ابن مهدي قال خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر صبره على نفسه حتى قتل
وجمعه الناس على المصحف وكان له عبيد عشرون حملوا السلاح ليقاتلوا عنه
يوم حصر فنهاهم وقال من ألقى السلاح فهو حر لوجه الله تعالى فامتنعوا من
القتال وألقوا السلاح ولما قتل رضي الله عنه فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً
مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان
يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق
وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف
الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين وأخرج الحاكم
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال لما بويع عثمان رضي الله عنه أمرنا
خير من بقي وعن زيد بن أبي حبيب قال بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى
عثمان وحاصروه جنوا وعن حذيفة رضي الله عنه أن أول الفتن قتل عثمان وآخر
الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من
حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من
السماء وقال ابن عباس أيضاً لو أمطرت السماء دماً لقتل عثمان لكان قليلاً وكان
ابن عباس رضي الله عنهما يقول لعلي معاوية وأصحابه علينا وأصحابه لأن الله
تعالى يقول ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان
منصوراً وكان آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه أيها الناس إن الله إنما
أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا
تفنى والآخرة تبقى لا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فآثروا ما يبقى
على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله فإن تقواه جنة من بأسه

ووسيلة عنده واحذروا من الله الغيرة والزموا جماعتكم ولا تكونوا أحزابا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا قال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان وهو محصور لأسلم عليه فدخلت عليه فقال مرحبا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال ياعثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم وأدلى الي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال ابن سلام والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي عن سحيمن ضبة أن عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعديك عليهم وأ
على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني قال المحب الطبري في الرياض
النضرة إن الشيعة اختلقوا أشياء جعلوها طعناً في عثمان رضي الله عنه وهو
بريء منها فقالوا إنه زوج ابنته بالحارث بن الحكم وأعطاه مائة ألف
من المال فقد كذبوا في ذلك فإنه إنما أعطى ذلك من ماله لا من بيت المال وهو
مشهور بالغنى قبل أن يلي الخلافة وقالوا أيضاً أنكح ابنته أم أبان بن مروان
وأعطاها مائة ألف من بيت المال وذلك أيضاً كذب محض بل إنما كان ذلك من
ماله وقالوا أيضاً إنه أعطى الحارث بن الحكم عشور أسواق المدينة وذلك أيضاً
غير صحيح وإنما الصحيح أن الحارث المذكور جعله عثمان رضي الله عنه محتسباً
على السوق ليحافظ الأسواق كي لا يقع التدليس والخيانة والجور في المكاييل
والموازين فقام بالأمر يومين أو ثلاثة فاشتكى أهل المدينة منه وقالوا إنه كان
يشتري النوى ويمنع بيعه من غيره فلم يحصل من النوى شيء إلا للمسلمين
فعزله عثمان رضي الله عنه فوراً وقبحه وأي عتب يعود على عثمان رضي الله عنه
من ذلك بل هو عين الإنصاف والعدل فإن قيل إنه كان يعمر شياع السكينة
أنه من قرابته وعابوا عليه أنه ولى بعض أقاربه ولايات وذلك لا يعاب عليه قط
لأنه كان باجتهاد منه وطلباً لإظهار العدل لأنه رأى أن أقاربه يقدرون على إظهار
العدل ووفاء الحق وهكذا جميع الأشياء التي عابوه بها كلها كانت باجتهاد منه
وله فيها أعذار ومخارج تدل على أنه إنما أراد بذلك العدل وإظهار الحق وكلها
مبسوطة في كتب أهل السنة ولما حصره المنافقون وقتلوه بايع الناس بعده علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ونادى أيضاً القوم الذين حصروا عثمان وقتلوه
فوقعت الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم لذلك فقال الذين امتنعوا من بيعته
لا نبايعك حتى تقتل قتلة عثمان بعضهم منهم فقال علي رضي الله عنه أمهلوني أولاً
ثم بعد ذلك أتتبع قتلة عثمان فمن ثبت عليه شرعاً موجب القصاص اقتص منه
وإلا فالاقتصاص منهم قبل دخولكم في البيعة فيه عسر جداً لأن لهم قبائل

وعشائر يتعصبون لهم فتنتشر الفتنة وتزداد هذا هو السبب في الاختلاف الذي وقع بينهم فنشأ عنه وقعة الجمل ووقعة صفين وتمسك كل من الفريقين بحجج وأدلة وتعارضت الأدلة عند بعضهم فاعتزلوا الفريقين منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم وبقي الأمر مشتبها بين الناس الى زمن الأئمة الأربعة فنظروا في الحجج والأدلة التي تمسك بها كل فريق فظهر لهم واتضح تصويب اجتهاد علي رضي الله عنه وتخطئة اجتهاد غيره لكن لما كان ذلك الخطأ ناشئا عن اجتهاد لم يأثموا به لقول النبي صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد فلا سبيل الى الحكم بتأثيم أحد منهم ولذلك كان مذهب أهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم وتأويله وحمله على أحسن المحامل تحسينا للظن بهم لان الله تعالى أثنى عليهم وشهد لهم بالصدق وأخبر بأنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة فالقدح فيهم يوجب تكذيب الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ويوجب أيضا الحكم عليهم بالفسق فيستلزم ذلك اسقاط ما جاء عنهم من السنة والتشريع الذي نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستلزم ذلك ابطال الشريعة بخلاف ما اذا حمل ما وقع منهم على الاجتهاد الذي لا اثم فيه فمذهب أهل السنة هو المذهب الحق الذي من عدل عنه فقد زاغ وضل ومن تمسك به فقد نجا ومما يؤيد مذهب أهل السنة أن عليا رضي الله عنه سأله أبو سلامة الدلاني عن القوم الثائرين لطلب قتلته فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشيء اذا كان لا يدرك ان الحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال اني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله الا أدخله الله الجنة واستشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة قيل كان قتله أيام التشريق وكانت خلافته اثنى عشرة سنة الا اثني عشر

يوماً وكان عمر ابنين وثمانين سنة وقيل ثلاثة وثمانين وقيل ستين وقصة حمار ... مبسوط في التواريخ لا حاجة لنا بذكرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر ما كان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الاجتهاد في الدنيا وحسن السير﴾

كان علي رضي الله عنه شديد الزهد في الدنيا قال عمر بن عبد العزيز إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكذا قال سفيان بن عيينة وكان رضي الله عنه عادلاً في بيت المال لا يأخذ منه الا بقدر حاجته وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا وان الله زينه بذلك فقد روى عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها هي زينة الابرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا الدنيا ترزأ منك شيأ ووهب لك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك اماماً وأخرج الامام أحمد عن علي بن أبي ربيعة ان ابن النباح رضي الله عنهما جاء ابن النباح فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال الله أكبر ثم قام متوكئاً على ابن النباح حتى قام على المال فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري هاؤها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين وفي رواية رواها الامام أحمد أيضاً ان علياً رضي الله عنه دخل بيت المال فرأى فيه شيأ فقال لا أرى هذا هنا وبالناس اليه حاجة فأمر به فقسم وأمر بالبيت فكنس ثم نضح فصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة وكان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازناً لعلي رضي الله عنه على بيت المال قال فدخل علي يوماً وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان قد عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لاقطعن يدها فلما رأى أبو رافع جده في ذلك قال أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال علي لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالي خادم غيرها وقال هارون

ابن عنترة عن أبيه قال دخلت على علي بالخورنق في فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما أرزؤكم شيأ وما هي الا قطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها طرف عسل وطرف سمن فاما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فأخذها منها ثم قسم الجميع وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على علي مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا أمراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطي أولا وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب من أرض كانت تزرع له وأخرج يوما سيفه الى السوق فباعه وقال لو كان عندي أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وعن أبي حيان التيمي عن أبيه قال سمعت علي بن أبي طالب ورأيته وهو يقول على المنبر من يشتري مني سيفي هذا فلو كان معي ثمن ازار ما بعته فقام اليه رجل فقال أسلفك ثمن ازار ولعل هذه مرة أخرى غير المرة التي باع فيها سيفه بالسوق وكان رضي الله عنه يقول انما أحفظ المال للمسلمين وكان لا يشتري ممن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقي ويقول الحمد لله الذي كساني هذا من فضله وعن عبد الله ابن أبي الهذيل قال رأيت عليا رضي الله عنه خرج وعليه قميص غليظ اذا مد كم قميصه بلغ الى الظفر واذا أرسله صار الى نصف الساعد وفي رواية رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريان متزر بواحد ومرتد بالآخر وازاره الى نصف الساق وهو يطوف بالاسواق ومعه درة يأمرهم

بتقوى الله وصدق الحديث وحسن السمت ووفاء الكيل وعن أبي سعيد الأزدي قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السوق وهو يقول من عنده قميص بثلاثة دراهم فقال رجل عندي فجاء به فأعجبه ثم لبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما يفضل من أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اشترى علي بن أبي طالب قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين وعن أم سلمة رضي الله عنها وقد سئلت عن لباس علي رضي الله عنه فقالت كان لباسه الكرابيس السنبلانية والكرابيس ثياب غليظة من القطن وغيره وعن زيد بن وهب أن الجعد بن نعجة عاتب عليا رضي الله عنه في لبوسه فقال مالك وللبوسي هذا أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم وقيل لعلي رضي الله عنه لم ترقع قميصك قال يخشع القلب ويقتدي به المؤمن وكان رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم وقال الشعبي وجد علي رضي الله عنه درعا له عند نصراني فأقبل به إلى القاضي شريح وجلس إلى جانبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته في المجلس وقال هذه درعي فقال النصراني ما هي إلا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك بينة قال لا وهو يضحك وقيل إنه استشهد بابنه الحسن ومولاه قنبر فلم يقبل شريح شهادتهما لكون الحسن ابنه وقنبر مولاه فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال إن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين ففرح علي بإسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج ورؤي علي رضي الله عنه وهو يحمل في ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك فقال أبو العيال أحق بحمله وفي رواية ما ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع إلى عياله وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وكان يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشيء أحق بحمله وكان الحسن بن

على رضي الله عنهما بمر وهو راكب على بغلته بالسؤال وبين أيديهم كسر خبز رلون فقال هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب بغلته ويقول إن الله لا يحب المستكبرين وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول لعمر بن الخطاب إن أردت أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الإزار واخصف النعل تلحق بهما وإما سئل في خلافة عمر رضي الله عنه عما يستحقه الخليفة في بيت المال فقال ما يسعه وأهله غداء وعشاء وما يكسوه وأهله صيفا وشتاء من أوسط القوت والكسوة لا من أعلاها ولا من أدناها فعمل عمر رضي الله عنه بما قال علي رضي الله عنه فلما صارت الخلافة لعلي رضي الله عنه عمل بذلك أيضا وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن زرير قال دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يوم عيد الأضحى فقرب لنا خزيرة فقلت أصلحك الله لو قربت لنا من هذا البط يعني الإوز فإن الله قد كثر الخير فقال يا ابن زرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس والخزيرة لحم يقطع صغارا على ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيه لحم فهو العصيدة وعن زاذان قال رأيت عليا رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يمشي في الأسواق فيمسك الشسوع بيده فيناول الرجل الشسع ويرشد الضال ويعين الحمال على الحمولة وهو يقرأ هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم يقول هذه الآية نزلت في ذوي القدرة من الناس وعن أبي مطر البصري أنه شهد عليا رضي الله عنه أتى صاحب تمر وجارية تبكي عند التمار فقال ما شأنك فقالت باعني تمرا بدرهم فرده مولاي فأبى أن يقبله فقال يا صاحب التمر خذ تمرك واعطها درهمها فإنها جارية وليس لها أمر فدفع عليا فقال المسلمون أتدري من تدفع قال لا قالوا أمير المؤمنين فصب تمرها وأعطاها

درهماً وقال لعلي رضي الله عنه أحب أن ترضى عني فقال ما أرضاني عنك إذا دفعت للناس حقوقهم رواه الإمام أحمد كالذي قبله وكان علي رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيء ثم يرش له ويقيل فيه ثم يتمثل فيه وكان إذا دخل بيت المال ونظر إلى ما فيه من الذهب والفضة يقول يا صفراء اصفري غري غيري قد طلقتك ثلاثاً وأتي علي رضي الله عنه بفالوذج فوضع قدامه فقال إنه لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكني أكره أن أعود نفسي ما لم تعتد ولم يأكل منه وقصة مفارقة أخيه عقيل له ولحوقه بمعاوية مشهورة رواها كثير من المحدثين بألفاظ متقاربة وفي رواية أنه كان يعطيه من البر كل يوم ما يكفي عياله فاشتهى عليه أولاده مريساً فصار يوفر كل يوم شيئاً قليلاً حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمناً وتمراً وصنع لهم فدعوا علياً إليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال أوكان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه قالوا نعم فنقص مما كان يدفعه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي أن أزيد من ذلك فغضب فحمي له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم فقال أذهب إلى من يعطيني تبراً ويطعمني تمراً فلحق بمعاوية وقد قال معاوية يوماً لولا علم بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير وأخرج ابن عساكر أن عقيلاً سأل علياً فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني فقال اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم فألح عليه فقال علي لرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقال دق هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت فقال تريد أن تتخذني سارقاً فقال علي وأنت تريد أن تتخذني سارقاً أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال لآتين معاوية قال أنت وذاك فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني أخبركم أني أردت معاوية على دينه فاختارني

على دينه وفي رواية أن عقيلا رضي الله عنه لزمه دين فقدم على علي رضي الله عنه بالكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فاذا خبز وملح وبقل فقال عقيل لعلي رضي الله عنه ما هو الا ما أرى فقال علي ما هو الا ما ترى قال أتقضي ديني قال وكم دينك قال أربعون ألفا قال علي ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأدفعه اليك فقال له عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بخروج عطائك قال علي أفتأمرني أن أدفع اليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها قال فاني آتي معاوية فأذن له فأتى معاوية فأعطاه خمسين ألفا ثم خمسين ألفا حتى كملت مائة ألف وجلس أياما عند معاوية ثم رجع الى أخيه علي رضي الله عنهم وحضر مع معاوية وقعة صفين ولم يقاتل ولم يترك نصح أخيه والتعصب له وكان سريع الجواب روي أن معاوية قال يوم صفين لا بالي وأبو يزيد معي يعني عقيلا فقال عقيل وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن من الله شيأ وله في سرعة الجواب أخبار كثيرة وكان علي رضي الله عنه بعد نهب الدار عند مقتل عثمان يتحرى في مأكله غاية التحري خوفا من أن يدخل في بطنه حرام فكان لا يأكل طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة وكان علي رضي الله عنه يقول أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم فقال على الهين اللين السهل وكان يقول ومن موجبات الغفران بذل السلام وحسن الكلام ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ورأى علي رضي الله عنه مرة رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا يا غوثاه فقصد الصوت وهو يقول أتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت عليه أن لا يعطيني مغمورا ولا مقطوعا وكان ذلك شرطهم يومئذ فأتاني بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمني فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا أمير المؤمنين قال أعطه شرطه فأعطاه وقال للملطوم اقتص قال أو أعفو يا أمير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يا معشر المسلمين خذوه فحمل على ظهر رجل كما

فحمل عثمان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما ارتكب
من تزويره وكان رضي الله عنه يقول لاني أحب الى الله تعالى من عدل امام رعيته
ولا شيء أبغض اليه من جوره وخرقه وكان رضي الله عنه يقول أصب المعروف
في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهل وان لم تصب أهله فأنت من أهله
وقال رضي الله عنه رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف
الى كل بر وفاجر وقال علي رضي الله عنه شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز
شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله اليه يا يحيى وجدت دارا خيرا لك من
داري أو وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت
الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم
اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الجلد بدل المسوح
وقال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال
الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بهم الفقير ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو
أقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم وقال ان الله تعالى عاد البسوا
بالقمص ورؤي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الأمير
وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن
نحتفي أحيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان أردت أن تلحق بصاحبك فارقع
القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال رضي الله عنه
اخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال رضي الله عنه من تزيا
بزي قوم فهو منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي
الذين غذوا بالنعيم نطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام
وكان علي رضي الله عنه أصغر أولاد أبي طالب الاربعة في السن وأفضلهم قدرا وهم
طالب وعقيل وجعفر كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن
من جعفر بعشر سنين وجعفر أسن من علي بعشر سنين و [illegible] قدم جعفرا على
عقيل فقال ان جعفرا أسن من عقيل بعشر سنين أما علي وجعفر وعقيل

وأخواهم فاختة وجمانة وقيل جمانة بالجيم وكلهم لأم وأب أمهم فاطمة بنت أسد بن
هاشم وأبوهم أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وفاختة اسمها هند وتكنى بأم
هانئ أسلمت وهاجرت رضي الله عنها وكان زوجها أبو وهب هبيرة بن عمرو
المخزومي مات مشركا وأما جمانة فكان بعلها سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
أسلمت وهاجرت رضي الله عنها وماتت بالمدينة زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
خفاء في اسلامهم وصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وأما طالب فلا يعلم له اسلام
يقال ان الجن اختطفته فذهب وكان خرج مع كفار قريش يوم بدر فلم يعلم له خبر
وكان على رضي الله عنه قد أعطاه الله علما كثيرا وكشاعر يرا قال أبو الطفيل
شهدت عليا رضي الله عنه يخطب وهو يقول سلوني من كتاب الله فوالله ما من آية
الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه أنا مدينة العلم وعلى
بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقال ابن العباس رضي الله عنهما علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من علم الله تبارك وتعالى وعلم على رضي الله عنه من علم النبي
صلى الله عليه وسلم وعلمي من علم على رضى الله عنه وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم في علم على رضي الله عنه الا كقطرة في سبعة أبحر ويقال ان عبد الله
ابن عباس أكثر البكاء على على رضي الله عنه حتى ذهب بصره وقال ابن
عباس أيضا لقد أعطى على بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارك
الناس في العشر العاشر وكان معاوية رضي الله عنه يسأله ويكتب له فيما ينزل
به فلما توفي على رضي الله عنه قال معاوية لقد ذهب الفقه والعلم بموت على
ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من
معضلة ليس لها أبو الحسن وسئل عطاء أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم أحد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه وفضائله كثيرة قد جمعها الناس
ودونوها وأجمعها للعنة ما وصفه به ضرار الصدائي اذ قال له معاوية صف لي عليا
فقال أعفني يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذ لا بد من وصفه فكان والله

من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبي صلى الله عليه وسلم أمضاها ورثاها تسم صلى الله عليه وسلم اذ سمعها استصوابا ثم أنفذها اذ رآها صوابا وكم مسئلة بديعة دقيقة دق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضي الله عنه قال جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا فى أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين فترافعا الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه إلا بمر الحق فقال على رضي الله عنه ليس لك فى مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول لى الآن انه لا يجب لى فى مر الحق إلا درهم واحد فعرفنى بالوجه فى مر الحق حتى أقبله فقال على رضي الله عنه أليس الثمانية الارغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الا كثر منكم أكلا ولا الاقل فتحملون فى أكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن * ومن كلام على رضي الله عنه أول ما يرى الحليم من بركة حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل * وأما شجاعة على رضي الله عنه فيكفى فى اثباتها مبارزته لعمرو بن ود الذى بلغ النهاية فى الشهرة بالشجاعة وقتله اياه ذكر ابن اسحاق أن عمرو بن ود خرج يوم الخندق فنادى هل من يبارز بى فقام على بن أبى طالب رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا نبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل

مبارزتي وهو يومهم يقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال أنا أبرز يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة فقال

ولقد بححت من النداء * بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع * وقفة القرن المناجز
وكذلك اني لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله أنا له فقال انه عمرو فقال وإن كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى أتاه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجي كل فائز
اني لأرجو أن أقيم * عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى * ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف وهو اسم أبي طالب قال أنا علي بن أبي طالب قال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك فان أباك كان صديقا لي فقال له علي رضي الله عنه لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب عمرو ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا وروى أنه نزل عن فرسه الا بعد أن قال له علي رضي الله عنه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته وضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأس علي فشجه وضربه علي رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قتله ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال علي اني حين ضربته استقبلني

نسوءته فاستحييت أن أسلبه ثم خرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق فمن هنا لم يأخذ على سلبه وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه وكذا قصته عند فتح خيبر لما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فأعطاه الراية فكان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن وكان ذلك الباب من حديد فترس به نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه وراء ظهره من يده حين فرغ فكان بعده عنه حين ألقاه ثمانين شبرا قال أبو رافع فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أناس منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه وعن جابر أنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون وفى رواية البيهقى فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوا الباب الى مكانه وفى شرح المواقف قال على رضى الله عنه ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية وكان على رضى الله عنه اذا استعلى الفارس قده واذا اعترضه قطه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له فى ذلك فقال اذا وليت فلا وألت أى لا رجعت يعنى أنه كان لا يولى ظهره أبدا والموئل المرجع وفى حديث آخر كانت ضربات على أبكارا اذا استعلى قد واذا استعرض قط وقوله أبكارا يقال ضربة بكر أى لا تثنى ＊ ومن شجاعته رضى الله عنه أنه يوم خيبر قتل أخا مرحب ثم مرحبا وكل منهما كان شجاعا مشهورا وذلك أنه بارز أولا أخا مرحب فقتله فخرج اليه مرحب ولم يكن فى أهل خيبر أشجع منه ولم يقدر أحد من أهل الاسلام أن يقاومه فى الحرب وخرج وهو يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب ＊ شاكى السلاح بطل مجرب

أضرب أحيانا وحينا أضرب ＊ اذا الحروب أقبلت تلهب

ان حماى للحمى لا يقرب

وكان قد لبس درعين وتقلد سيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة على رأسه وله رمح لسانه ثلاثة أسنان فبرز له علي كرم الله وجهه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره ٭٭ ضرغام آجام وليث قسوره

وفي رواية بدل هذا المصراع

كليث غابات كريه المنظره ٭٭ عبل الذراعين غليظ القصره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

وفي رواية أكيلكم بالصاع كيل السندره وقوله عبل الذراعين أي ضخمهما والقصرة أصل العنق والسندرة ضرب من الكيل كبير واسم امرأة كانت تبيع الحنطة وتوفي الكيل والكيلة في ارتجاله رضي الله عنه بهذا الرجز إن مرحبا كان قد رأى في المنام أن أسدا افترسه فذكر علي رضي الله عنه أطلعه الله على رؤيا مرحب فأراد أن يذكره رؤياه فيلقى في قلبه الرعب فلما حمل أراد مرحب أن يضرب عليا فسبقه علي بالسيف ذي الفقار فضرب مرحبا فوقع السيف على الفرس فقده وقد الحجر والمغفر والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ في الأضراس فقتله ثم حمل المسلمون على الكفار وقتلوا جماعة من رؤسائهم وفر الباقون إلى الحصن وتبعهم المسلمون وكان ضرار بن ضمرة الصدائي من أولياء علي رضي الله عنه فكان لما تمت البيعة لمعاوية بنزول الحسن له عن الخلافة رضي الله عنه ساعد معاوية لا بعد الله تعالى ثم ألجأه ضرورة فوفد على معاوية (١) فقال له معاوية صف لي عليا فقال اعفني يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك لتصفنه فقال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر

---

(١) قد تقدم قريبا وصف سيدنا ضرار رضي الله عنه لسيدنا علي رضي الله عنه بسؤال سيدنا معاوية رضي الله عنه مرة أخرى ولكن بعض تغيير فليطراجع

ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه و يأتينا اذا دعوناه وبحن والله مع تقريبه ايانا وقربنا منه لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم أى اللديغ و يبكى بكاء الحزين و يقول يا دنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وحظك قليل آه آه من قلة الزاد و بعد السفر و وحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار فقال حزن من ذبح ولدها فى حجرها وسئل الحسن البصرى عن على رضى الله عنه فقال كان والله سهما صائبا من مرامى الله عز وجل على عدوه وربانى هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متراخيا عن أمر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى على عبادة وقال صلى الله عليه وسلم على امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله وقال صلى الله عليه وسلم عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب وقال صلى الله عليه وسلم حب على يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا فى حياته و بعد مماته وقال صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله وقال صلى الله عليه وسلم على يزهر فى الجنة ككوكب الصبح لاهل الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزل فى على رضى الله عنه ثلاثمائة آية من آيات القرآن منها قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قال محمد بن الحنفية لا يبقى مؤمن الا

وفي فضله وفضل علي وأهل بيته ولما نزل قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها أذن علي قال علي رضي الله عنه ما نسيت بعد ذلك شيئاً وفضائل علي رضي الله عنه وبقية الخلفاء الراشدين كثيرة مفردة بالتأليف والمقصد من ذلك كله بيان عدله في بيت المال وأنهم إنما فتحوا الفتوحات حتى اتسع الإسلام بالعدل في بيت المال وقصة استشهاد علي رضي الله عنه مشهورة لا حاجة لنا بذكرها وكان استشهاد سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة ومما ينبغي أن يلحق بالخلفاء الأربعة في العدل في بيت المال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإن كثيرا من الأئمة ألحقوه بالخلفاء الراشدين

﴿ ذكر ما كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان رضي الله عنه راهداً عادلاً في بيت المال كانت نفقته التي يأخذها من بيت المال كل يوم درهمين قال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهماً قميصه ورداؤه وقباؤه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفاه وكان يلبس الفروة من فوقها كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سعيد بن سويد صلى عمر بن عبد العزيز بالناس الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة وقال ميمون بن مهران دخل عمر بن عبد العزيز يوماً على امرأته فاطمة بنت عبد الملك فقال يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنباً قالت لا ثم قالت وأنت يا أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنباً قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في جهنم وقال أبو أمية الخصي غلام عمر دخلت يوماً على مولاتي فغدتني عدساً فقلت لها كل يوم عدس فقالت يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين ولما أصاب الخلافة اليه وفرغ من دفن ابن عمه سليمان

ابن عبد الملك قربوا اليه من الخيل مراكب الخلافة يركب ماشاء منها وكانت
مراكب كثيرة مزينة بانواع الزينة فأبى أن يركب شيأ منها وقال تكفيني بغلتي وباع
تلك المراكب وما كان عليها من أنواع الزينة وجعل ذلك الثمن في بيت المال وكذا
ما كان يصرف عليها من النفقات وما يصرف على خدمها القائمين عليها جعل ذلك
كله في بيت مال المسلمين وأمر بالستور فهتكت والفرش التي كانت تبسط للخلفاء
حملت وأمر ببيعها وادخال ثمنها في بيت مال المسلمين قال مالك بن دينار الناس
يقولون مالك زاهدا انما الزاهد عمر بن عبد العزيز وقال عبد الله بن المبارك لما
قيل له زاهد قال لست زاهدا انما الدنيا زهدتني وتركتني الزاهد عمر بن عبد العزيز
جاءته الدنيا فزهد فيها وتركها وكان ابن سيرين اذا سئل عن الطلا قال نهى عنها
الامام المهدي يعني عمر بن عبد العزيز وقال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر
ابن عبد العزيز أعوده في مرضه الذي توفي فيه فاذا عليه قميص وسخ فقلت لأختي
فاطمة بنت عبد الملك ألا تغسليه ثم رجعت مرة أخرى فوجدت القميص بحاله
لم يغسل فقلت ألا تغسلين قميصه فقالت والله ماله غيره وقال قيس بن جبير مثل عمر
عبد العزيز في بني أمية مثل مؤمن آل فرعون وقال ميمون بن مهران ان الله
كان يتعهد الناس بنبي بعد نبي وان الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز وقال
حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم في البادية في خلافة عمر بن عبد العزيز
فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها فقال الراعي اذا صلح الرأس فليس على
الجسد بأس وقال مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء من
هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن شياهنا فقيل لهم وما
علمكم بذلك فقالوا اذا قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن الشياه
وكانت الشياه والذئاب ترعى في مكان واحد فبينما هم كذلك ذات ليلة اذ عرض
الذئب لشاة فقالوا ما نرى الرجل الصالح الا هلك وكان ذلك في زمان موته فلما
بلغهم خبر موته بعد نحو شهر حسبوا ذلك فوجدوا موته في تلك الليلة وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى أمير المؤمنين

أن يقطع لنا مالا بر بها فه فكتب اليه عمر إذا قرأت كتابي هذا فخصها بالعدل وبرو طرقها من الظلم فانه من مهاوا السلام وكانت زوجته فاطمة بنت عمه عبد الملك بن مروان عندها حلي وجواهر لم يرمثلها أمر لها بها أبوها حين زوجها به فلما ولي الخلافة اليه قال لها اختاري اما أن تردي حليك الى بيت المال لانه أخذ بغير حق واما أن تأذني لي في فراقك فاني أكره أن أكون أنا وأنت وهذا الحلي في بيت واحد فقالت بل أختارك عليه وعلى اضعافه وأمرت به فحمل حتى وضع في بيت المال فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة ان شئت رددته عليك لان عمر أخذه منك بغير حق وأدخله بيت المال فأبت أن ترده وقالت لا أطيب به نفسا في حياته وارجع فيه بعد موته فأخذه يزيد فقسمه بين أهله ولما ولي عمر الخلافة أخذ من بني عمه وقرابته أموالا كثيرة وضياعا وعقارات وأدخلها بيت المال وقال انهم أخذوها بغير حق وسمى ذلك مظالم ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان وسألوها أن تكلمه وتراجعه في ذلك بأمرهم فقالت له تكلم يا أمير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم منه سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم عمر فعمل عملهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابناء عبد الملك حتى أفضى الامر الي وقد يبس النهر الاعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد أردت كلامك فأما اذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم بكلامه وقيل انها قالت له ان بني أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له انهم يحذرونك يوما من أيامهم فغضب وقال كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره فرجعت اليهم فأخبرتهم وقالت انهم تعلم هذا انفسكم بزوجكم بأولاد عمر فجاء نسبه جد فتكلموا الى لان أم عمر بن عبد العزيز هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها حفصة وكان رضي الله عنه بوجهه شجة ضربته فرس في جبهته وهو غلام فجعل

أبو حفص الشيخ عمه ويقول ان كنت أشج بني مروان لسعيد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا فكان هو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفي رواية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول كما تحدث ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شجة فكانوا يظنون أنه ذو الشين الذي ذكره عمر فلم يكن هو وما عرفوا ذا الشين حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز فولي الخلافة وسار بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن عبد الله بن مسلم عن أبيه قال دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين فلما فرغ الكاتب وخرج أطفئت الشمعة وجيء بسراج الى عمر من ماله وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين ولما ولي الخلافة أمر مناديا ينادي من كانت له مظلمة فليرفعها فقام اليه ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى قال وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك غصبني أرضي والعباس جالس فقال ما تقول يا عباس قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلا فقال عمر ما تقول يا ذمي فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ابن عبد الملك قم فاردد اليه يا عباس ضيعته فردها عليه وجعل لا يدع شيأ مما كان في يده ويد أهل بيته من المظالم الا ردها مظلمة مظلمة ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان عمر بن الوليد بن عبد الملك غائبا فسمع أن عمر بن عبد العزيز أخذ أموالا من بني عمه وعشيرته وردها الى بيت المال فكتب كتابا لعمر بن عبد العزيز يقول فيه انك قد أزريت على من قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك

على هذا أي فلابد أن يخرجوا عليك ويقاتلوك فلما قرأ كتابه كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه فأما أول شأنك يا ابن الوليد كما زعم فأمك بنانة بنت السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا تزعم أني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان أظلم مني وأترك لعهد الله سبحانه وتعالى من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له في ذلك نية الا حب الوالد لولده فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه وان أظلم مني وأترك لعهد الله تعالى من استعمل قرة ابن شريك أعرابيا جافيا على مصر وأذن له في المعازف واللهو والشرب ومن جعل لعالية البربرية سهما في خمس العرب فرويدا يا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفيء الى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فان لكل فيك حقا والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا ينال سلام الله الظالمين وكان عمر بن عبد العزيز قبل أن يلي الخلافة على خير وعلم وصلاح وعبادة الا أنه كان منعما في مأكله ومشربه وملبسه فلما ولي الخلافة اخشوشن وترك ما كان عليه من التنعم وكان قبل أن يلي الخلافة لا يأكل الا أحسن الطعام ولا يلبس الا أحسن الثياب وكان يشترى له الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها وكان يؤتى له الثوب الحسن الناعم فيلمسه بيده ويقول ما أخشنه أو لا أحبه ويدعه فلما ولي الخلافة واخشوشن فكان يؤتى له بالقميص الخشن الذي لا قيمة له فيلمسه بيده فيقول ما أحسنه لولا نعومته فيسئل عن ذلك فقال ان لي نفسا تواقة لا تنال شيئا

الآفاق لما هو أرفع منه ولما نالت الخلافة اشتاقت الى الجنة وحدث الهيثم بن عدى قال كان لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز جارية حسناء وكان عمر بن عبد العزيز يهوى تلك الجارية فطلبها من زوجته فاطمة لنفسه قبل أن يلي الخلافة فامتنعت من اعطائها اياه فلما ولى الخلافة أرادت فاطمة التقرب اليه والحظوة عنده فأمرت باصلاح الجارية وأدخلها عليه وأعطته إياها فى أحسن صورة وقالت هى لك قد طبت بها نفسا فسر بقولها وظهر الفرح فى وجهه ثم لما خلا بالجارية لم يمسها بل سألها وقال لها لمن كنت ومن أين أتيت لفاطمة فقالت كان الحجاج أغرم عاملا كان له بالكوفة مالا وكنت فى رق ذلك العامل فأخذنى الحجاج فبعثنى الى عبد الملك بن مروان وأنا صبية فوهبنى عبد الملك لابنته فاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وترك ولدا قالت بلى قال فما حاله قالت سيء فكتب عمر الى عامله أن سرح الى فلان بن فلان على البريد فلما قدم عليه قال له ارفع الى جميع ما أغرمه الحجاج أباك فما رفع اليه شيأ الا دفعه له ثم دفع اليه الجارية وقال له اياك واياها ولعل أباك قد وطئها فحرمت عليك فقال الغلام هى لك يا أمير المؤمنين وأراد اعطاءه اياها قال لا حاجة لى فيها فابتعها منى قال اذا لست ممن ينهى النفس عن الهوى فمضى بها الفتى فقالت الجارية لعمر فأين وجدك ومحبتك لى فقال على حاله ولقد ازددت قبل فما زالت فى نفس عمر حتى مات وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان متنعما ينفق كل يوم على مائدته ألف درهم فبعث اليه عمر بن عبد العزيز يوما أن يتغدى عنده وهيأ له طعاما وأمر أن يحبس الطعام وأن يقدم اليه قبل ذلك العدس لكن أخروا تقديمه حتى جاع مسلمة جوعا طويلا فقال عمر لخادمه ويحك ان أبا سعيد لا يصبر على الجوع فأتنا بما عندك فأتاه بالعدس فأكل مسلمة من ذلك أكلا عنيفا منكرا لشدة جوعه حتى شبع ثم جيء بالطعام الذى هيأه فقال عمر كل يا أبا سعيد فقال قد اكتفيت فقال عمر يا أبا سعيد تكفيك أكلة بدانقين وعلى مائدتك ألف درهم كل يوم فتاب وأعطى الله عهدا أن لا يعود لمثل ذلك ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن

عنك ثم قال اللهم انى وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه أبدا ثم نظر الى وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الانصارى وقال يا عمرو والله ليعلمن الله أن ما بينى وبينك قرابة الا قرابة الاسلام ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلى فى موضع تظن أنه لا يراك أحد الا الله ورأيتك تحسن الصلاة وأنت رجل من الانصار خذ هذا السيف فقد وليتك حرسى فوضع الله ذكر خالد بدعوة عمر ابن عبد العزيز حتى كان لا يذكر ولا يدرى أحى هو أم ميت قال يحيى بن يحيى فما رأيت شريفا خمل ذكره حتى لا يذكر مثل خالد بن الريان حتى ان كاد الناس يقولون ما فعل خالد أحى هو أو قد مات لخمول ذكره بدعوة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قال لميمون بن مهران كيف لى بأعوان على هذا الامر أثق بهم فقال يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فانك سوق وانما يحمل الى كل سوق ما ينفق فيه فاذا عرف الناس منك النصح لم يأتوك الا بالنصح فكان الأمر كذلك وكان رضى الله عنه يجمع الفقهاء عنده كل ليلة فيذكرون الموت والقيامة ويبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وكان رضى الله عنه يقول مالى فى الامور هوى سوى مواقع قضاء الله فيها وما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرنى أنى على غيرها وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنا له اشترى فصا بألف درهم وتختم به فأمره أن يبيع الفص ويتصدق بثمنه وأن يشترى فصا بدرهم وينقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وعن الاوزاعى قال قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه من صحبنى منكم فليصحبنى بخمس خصال يدلنى من العدل على مالا أهتدى له ويكون لى على الخير عونا ويبلغنى حاجة من لا يستطيع بلاغها ولا يغتاب عندى أحدا ويؤدى الامانة التى حملها منى ومن الناس فاذا كان كذلك فحيهلا به والا فهو فى حرج من صحبتى والدخول على وعن الزهرى قال كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة وقال ميمون ابن مهران عمر بن عبد العزيز معلم العلماء أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه ولما ظهر من عدله ما ظهر وضع له جماعة من بنى أمية من سقاه السم فقيل له

بدارك بعسل فقال والله لقد عرفت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي أن أمس شحمة أذني ما فعلت وسأل الذي سقاه السم فأقر فقال له كم أعطوك فقال ألف دينار فقال ائتني بها فأتاه بها فوضعها في بيت المال وقال اذهب وجهك حتى لا يعافيه أحد فرحل الى هشام بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رحمه الله ونزعها مني فقال هشام أعد مقالك فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الملك أقطع جدي قطيعة وأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رحمه الله ونزعها مني فقال هشام والله ان فيك لعجبا انك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليه وتذكر من انتزعها منك فترحم عليه وانا قد أمضينا ما صنع عمر رحمه الله وقال سفيان الثوري والشافعي وكثير من الائمة الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ولما عهد اليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة امتنع من القبول فاكرهوه على البيعة فبادر عوام الناس البيعة فصعد المنبر فقال يا أيها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رأي مني ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الاصوات قد هدأت ورضوا به جميعا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال أوصيكم بتقوى الله الى أن قال ان هذه الامة لم تختلف في ربها ولا في نبيها ولا في كتابها وانما اختلفوا في الدنانير والدراهم والله لا أعطي أحدا باطلا ولا أمنع أحدا حقا ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعوني ما أطعت الله تعالى فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لي عليكم ثم نزل فدخل داره وكانت فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم تكثر من الترحم على عمر بن عبد العزيز فقيل لها في ذلك فقالت دخلت عليه وهو أمير المؤمنين فأخرج عنه كل خصي حتى لم يبق في البيت غيري وغيره ثم قال والله ما على وجه الارض أهل بيت أحب الي منكم ولانتم أحب الي

من أهل بيتي وما ترك لي حاجة إلا قضاها وقال الامام محمد الباقر بن العابدين رضي الله عنه أن عمر بن عبد العزيز نجيب بني أمية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وعن حماد أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف بكى فقال يا فلان تخشى على قلت كيف حبك الدرهم قال لا أحبه قلت لا تخف فان الله سيعينك وقال في بعض خطبه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم واني لست بقاض ولكن منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من أحدكم ولكني أثقلكم حملا ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال بعض علماء التابعين ان عمر بن عبد العزيز هو المهدي الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه يملأ الارض عدلا لكن الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أنه مهدي من جملة المهديين وأما المهدي المنتظر فانه من ولد فاطمة رضي الله عنها ويجتمع بعيسى عليه السلام ويكون خروج الدجال في أيامه وذلك من أعظم علاماته ومما استدل به القائلون بأن عمر بن عبد العزيز هو المهدي كثرة المال في زمانه وزهد الناس في الدنيا وذلك من علامات المهدي قال معمر بن أسيد والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح حتى يرجع بماله كله وقد أغنى عمر الناس وقد علمت أنه مهدي من جملة المهديين وليس هو المهدي المنتظر وان وجد كثير من علامات المهدي المنتظر في زمانه وكان عمر بن عبد العزيز كثير العبادة والزهد والخوف والبكاء قال عطاء بن أبي رباح حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز انها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على خديه فقالت يا أمير المؤمنين أشيء حدث قال يا فاطمة اني تقلدت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الاسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت لي حجتي فبكيت قال عطاء الخراساني أمر

عمر بن عبد العزيز غلامه أن يسخن له ماء فانطلق فسخن قمقماً في مطبخ بيت المال
فلما علم عمر أمر الغلام أن يشتري حطباً بدرهم ويجعله في مطبخ بيت المال وأهدى
إليه رجل من أهل بيته تفاحاً فاشتم الطعم والريح فقال عمر ما أطيب ريحه وأحسنه
ارفعه يا غلام للذي أتى به وقل له إن هديتك عندنا وقعت بحيث تحب وكان عنده
عمرو بن مهاجر فقال يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك إن الهدية كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم هدية وهي اليوم لنا رشوة وقال مكحول لو حلفت لصدقت
ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز وقال سعيد بن أبي عروبة
كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله واجتمع بنو مروان
يوماً فقالوا لعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قل لأبيك إن من كان قبلك من
الخلفاء يعطونا ويعرفون لنا مواضعنا فجفونا وإن أباك قد أخرجنا مما في يده
فدخل على أبيه فأخبره فقال قل لهم إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم
وقال أرطاة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرساً واحترست في
طعامك وشرابك فقال اللهم إن كنت تعلم أني أخاف شيئاً دون يوم القيامة فلا تؤمن
خوفي وكتب إليه نائبه في خراسان إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ولا
يصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فكتب
إليه عمر أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه
لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك
فيهم والسلام وكان رضي الله عنه إذا أتى على كأنه يقول اللهم إني أعوذ بك من شر
لساني وبكى رضي الله عنه مرة فبكت لبكائه فاطمة زوجته فبكى أهل الدار
لبكائهما ولا يدري أحد منهم ما سبب البكاء فلما تجلى عنهم قالت له فاطمة بأبي أنت
يا أمير المؤمنين مم بكيت قال ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل
فريق في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه ورفع رضي الله عنه مرة
بيده كفاً من تمر وقال لمسلمة بن عبد الملك إن الماء على التمر طيب أرأيت لو أن رجلاً

أ كل هذا ثم شرب عليه الماء أ كان يجريه الى الليل قال نعم قال فتلام يدخل النار •
قال مسلمة فما وقعت مني موعظة موقعها وجاء ابن سليمان بن عبد الملك الى مزاحم
مولى عمر بن عبد العزيز وحاجبه فقال ان لي حاجة الى أمير المؤمنين عمر
فاستأذن له فأذن له فلما دخل قال له يا أمير المؤمنين رد على قطيعتي التي أخذت
مني فقال عمر معاذ الله أن أرد قطيعة أصبحت في الاسلام فقال هذا كتابي
وأخرج كتابا من كمه فقرأه عمر فقال لمن كانت هذه الارض قبلك قال الفاسق
ابن الحجاج فقال عمر فهو أولى بدعواها قال فانها من بيت مال المسلمين قال
فالمسلمون أولى بها قال يا أمير المؤمنين رد على كتابي قال لا أفعل لو لم تأتني به لم
أسألكه فاما اذ جئتني به فلم أدعك تطلب باطلا فبكى ابن سليمان فقال مزاحم
يا أمير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال ويحك يا مزاحم انها نفسي أجادل عنها
واني لأجد له من الشفقة ما أجد لولدي وكتب سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن
عبد العزيز يعظه من سيرة عمر بن الخطاب لما طلب منه ذلك عمر بن عبد العزيز
ثم قال سالم ان عمر بن الخطاب عمل في غير زمانك وكان له مساعد ومعين على ما
يريد من الحق فان عملت في زمانك بمثل ما عمل في زمانه كنت أفضل منه وأرسل
مرة عمر بن عبد العزيز غلاما له يشوي له لحما فعجل الغلام بها فقال له عمر
أسرعت بها فقال شويتها في نار مطبخ بيت مال المسلمين وكان للمسلمين مطبخ
يغديهم ويعشيهم منه فقال عمر لغلامه اذهب فكلها يا بني فانك رزقتها ولم
أرزقها وكان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سفط فيه دراعة من شعر وغل
وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل عليه فيه أحد فاذا كان في آخر
الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدراعة ووضع الغل في عنقه ولا يزال يصلي
ويناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ثم يعيده في السفط وقال الامام الغزالي في
الاحياء دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر رضي الله عنه فسلمت
عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت
واسترسلت في منامها ثم استيقظت وقالت يا أمير المؤمنين اني والله رأيت عجبا

قال وما ذاك قال رأيت النار وهي ترفرف على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه فقال ثم جيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال هيه قال ثم جيء بالوليد ابن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى في جهنم فقال عمر هيه قال ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى في جهنم فقال عمر هيه قال ثم جيء بك يا أمير المؤمنين فصاح عمر صيحة وخر مغشيا عليه فقام اليه فجعل ينادي في أذنه يا أمير المؤمنين اني والله رأيتك نجوت قال فجعل ينادي وهو يصيح ويفحص برجليه وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله وهو عدي بن أرطاة وكان قد ولاه البصرة فلما أراد عزله كتب له يعزله وقال له في كتابه أما بعد فانك غررتني بعمامتك السوداء وارسالك طرفها من ورائك ومجالستك القراء وانك أظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن وقد أظهرنى الله على ما كتمتم والسلام وذكر الفضل بن عياض أن بعض عمال عمر بن عبد العزيز شكا اليه سهر المنام بعمله فكتب اليه عمر يا أخي أذكر سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد واياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء فلما قرأ العامل الكتاب ترك عمله وانصرف وطوى الأرض حتى قدم على عمر فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابك لا أعود الى ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن كعب وهو كئيب حزين فقال لأحدهما سلني فقال يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل أحدا من خلقه فوقك فلا ترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع منك ولا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك فبكى عمر رحمه الله حتى غشي عليه ثم أفاق فقال هيه يا أبا خالد لم ترض أن يكون فوقي فوالله لا خافنه خوفا ولا حذرنه حذرا ولأرجونه رجاء ولأحبنه حبه ولأشكرنه شكرا ولأحمدنه حمدا يكون ذلك كله

غاية طاقتي ولأجتهدن في العدل والسنة والزهد في الدنيا والرغبة في باقي الآخرة ودوامها حتى ألقى الله عز وجل لعلي أنجو مع الناجين وأفوز مع الفائزين ثم بكى حتى غشي عليه وقال له الآخر اجعل الناس ثلاثة الكبير بمنزلة الاب والوسط بمنزلة الاخ والصغير بمنزلة الولد فبر أباك وصل أخاك واعطف على ولدك قال زياد مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله قال سيء الحال قال فان كانا خصمين ألدين قال ذاك حاله أسوأ قال فان كانوا ثلاثة قال ذاك حين لا يهنأه عيش قال فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصم لك قال فبكى عمر حتى تمنيت أن لا أكون قلت له وعن نعيم قال قلت لعمر بن عبد العزيز وقد رأيته قاعدا يا أمير المؤمنين ما يقعدك ههنا قال أنتظر ثيابي تغسل لاصعد بها المنبر قلت وما هي قال قميص وازار ورداء قيمتهن أربعة عشر درهما وقال اسماعيل بن عياش قلت لعمرو بن المهاجر ما كان يلبس عمر في بيته قال جبة سوداء مبطنة وكان رضي الله عنه يقول ما تركت شيأ من الدنيا الا أعقبني في قلبي ما هو أفضل منه يعني بالزهد وما أنعم الله على في ديني أفضل وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني فقال أبو سليمان لأبي صفوان كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس فقال له ولم قال لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها فقال له أبو صفوان وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر فقال أبو سليمان لا تجعل من جرب كمن لم يجرب ان من جرت الدنيا على يديه وليس لها في قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وان لم يكن لها في قلبه موقع وكان في دار عمر بن عبد العزيز درجة فيها السنة تحركت فكان كلما نزل أو صعد ارتاع منها فعمد مولى له فشدها بطين فلما صعد عمر لم يرها فسأل عنها فقال له مولاه رأيتك ترتاع منها فشددتها فقال له عمر أعدها الى حالها فاني أعطيت الله عهدا ان وليت هذا الأمر أن لا أضع لبنة على لبنة ولا آجرة على آجرة وكان رضي الله عنه يقول ليس لي في الأمور هوى الا مواقع القضاء أي ما يقضيه الله علي وفي رواية ما كنت

على حاله في حالات الدنيا فسرني أني على غيرها * ومن دعائه رضي الله عنه اللهم إني
أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك
وهو الشرك فاغفر لي ما بينهما ومن كلامه رضي الله عنه ذكر الله عز وجل عظيم
والفكر في نعم الله عز وجل أفضل العبادة * ومن دعائه اللهم أصلح من كان في
صلاحه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهلك من كان في هلاكه صلاح
لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولما سقي السم قيل له تدارك نفسك فقال والله لقد
عرفت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي أن أمس شحمة أذني ما فعلت وكان
رضي الله عنه يبغض الحجاج على ظلمه بغضا كثيرا وكان يقول ما حسدت الحجاج
على شيء إلا على حبه القرآن وإعطائه أهله وقوله حين حضرته الوفاة اللهم اغفر لي
فإن عبادك يزعمون أنك لا تفعل ولما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت
ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه وأحد النظر فقيل له إنك لتنظر نظرا شديدا قال
إني لأرى أناسا ما هم بإنس ولا جن ثم قال تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا ثم قال لا إله إلا الله لمثل هذا فليعمل العاملون روى
يوسف بن ماهك قال بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط
علينا رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله تعالى لعمر بن
عبد العزيز من النار واستشهد رجل بالشام فكان يأتي إلى أبيه كل ليلة جمعة في المنام
فيحدثه ويأنس به فغاب عنه جمعة ثم جاء في الجمعة الأخرى فقال يا أبي لقد أحزنت
عني وشق علي تخلفك فقال إنما شغلني عنك أن الشهداء أمروا أن يتلقوا عمر بن
عبد العزيز فتلقيناه وكان ذلك عند موت عمر بن عبد العزيز وكانت وفاته رضي
الله عنه سنة إحدى ومائة وعمره تسع وثلاثون سنة وأشهر ومدة خلافته سنتان
وخمسة أشهر ومناقبه كثيرة أفردت بالتأليف رضي الله عنه وقد تقدم في مناقب
السلطان صلاح الدين الأيوبي أنه كان زاهدا متقشفا في الدنيا وأنه لما مات لم
يخلف سوى سبعة وأربعين درهما ودينارا واحدا وقد خلف سبعة عشر ولدا

ذكرا وأنثى وتقدم أيضا في مناقب السلطان نور الدين محمود بن زنكي أنه كان يقول في أموال بيت المال إنما هي أموال المسلمين وإني خازن لهم فلا أخونهم فيها وإن زوجته شكت النفقة عمرها فلم يعطها من بيت المال وأعطاها ثلاثة دكاكين بحمص كانت له اشتراها من ماله الذي خصه من الغنيمة وقد علم من ذلك كله أن الزهد في الدنيا والاقتصاد فيها هو ملاك الأمر كله وأن الخلفاء الراشدين والسلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين إنما فتح كل منهم ما فتح من البلاد ومكن الله لهم في الأرض بين العباد بالزهد في الدنيا والاقتصاد فيها والعدل في بيت المال قال العلامة القطبي في تاريخه لما أراد الله بأهل الأرض إحسانا وإفضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهما إكراما لهم وإجلالا وقضى بإطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الإسلام وتقوية أهل السنة السنية المتمسكين بسنن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وإقامة الشرع الشريف على رغم الملحدة اللئام أطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الإيالة العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى كمال المعدلة الخاقانية وأجلسهم على سرير الملك وملكهم أعظم ممالك الإسلام وفتح على أيديهم الممالك العظام ونشر بهم جناح الأمن والأمان لا زالت دولتهم باقية إلى آخر الزمان اهـ ثم ذكر في تراجمهم ما بهر العقول من محاسن الصفات ومن الزهد والعدل والجهاد وفعل الخيرات وقد تقدم في هذا الكتاب كثير من ذلك ومن تأمل في سيرة الملوك والسلاطين الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين يحصل له كمال اليقين بأن الدولة العثمانية أحسن الدول الإسلامية بين العالمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لأنهم اتصفوا بصفات لم يتصف بها كثير من دول الإسلام وجمعوا فضائل لم تكن لغيرهم على ممر الليالي والأيام منها أن لهم كثيرا من الفتوحات الواسعة والغزوات الشهيرة في الأقطار الشاسعة حتى اتسع بفتوحاتهم الإسلام وانتشر العلم والأمن والأمان بين الأنام ومنها أن عقائدهم صحيحة مطابقة لعقيدة أهل السنة والجماعة ليس فيهم مبتدع ولا خارج عن الطاعة ومنها أنهم ناصرون لمذهب أهل السنة وقائمون بشعائر الدين في كافة مدن الإسلام لا سيما في الحرمين الشريفين اللذين هما منبع

الدين وأساسه ومطلع نور وبراسه فانهم موظفون لاهل الحرمين الوظائف التي بها قوام الدين ومظهرون شعار الائمة الاربعة الدين اعتصر فهم مذهب أهل السنة والجماعة ومعينون للعاطين بوظائف الدين أعظم المرتبات وينعمون عليهم بأنواع كثيرة من أصناف البر الذي به شكر الحسنات ومعينون أيضا للاشراف والسادات والعلما والصلحا الابرار ما يقوم بكفايتهم في المعيشة التي عليها المدار فأعانوا الجميع على القيام بالعبادة والاشتغال بالعلم النافع فقاموا بأدا الشكر لله تعالى وبذل الدعوات الخيرية للدولة العلية العثمانية في كل مسجد وجامع وبين محاسنهم الجليلة ومناقبهم الاثيلة أنهم دافعون كيد الكفرة الفجار والمبتدعة الاشرار بعساكرهم وحراسهم في سائر الاقطار ومؤمنون الطرقات للحجاج والزوار والتجار والمسافرين باذلون غاية جهدهم في نصرة الاسلام وصيانة الدين فيجب على كافة المسلمين السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعد سلطنتهم والدعا لهم بدوام التوفيق والنصر الذي يكون به تأييد ممالكهم اللهم وفقهم لكل خير وادفع عنهم كل مكر وضير ووفق سائر الوزرا والامرا والقضا والعلماء والعمال للعدل ونصر الدين وقد من الله على أهل هذا العصر الجديد بسلطنة واسطة عقد الدولة العثمانية الفريد من تشرف بذكره في الحرمين الشريفين المنابر والمنابر وعمر مساجدهما فصدق عليه قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلف خلفا الرحمن أشرف سلف آل عثمان السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المنصور المظفر المعان مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن المرحوم مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان متع الله المسلمين بوجوده وأفاض عليهم سحائب فضله وجوده وأدام له النصر والتمكين وأيده بروح القدس الامين فكان له من حسن ولايته الى هذا الزمان من محاسن الصفات وفعل الخيرات ما يعجز عن بيانه اللسان فمن ذلك أنه عمر عمارة فائقة في الكعبة المعظمة وفرش باطنها بالرخام على أعجب الاوصاف المنظمة وبذل على ذلك كثيرا من الاموال وأنعم على تمام مزيتها بالاعطا بالنوال وكان ذلك في سنة تسع وتسعين بعد

المائتين والالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم * ومن مآثره وخيراته الجليلة صدور أمره الكريم بوضع مطبعة في مكة المشرفة يطبع فيها كتب العلوم ليكثر انتشار العلم في موضع مهبط الوحي الذي هو مرجع الخصوص والعموم فيحصل له بذلك ثواب نشر العلم وتأييد قواعد الدين اللذين هما من أقوى أسباب التأييد والتمكين فكان وضع المطبعة المذكورة سنة ثلاثمائة بعد الالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وقام بوضعها واجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه حتى كملت واشتهرت بين العباد الوزير المعظم والمشير المفخم دولتلو السيد عثمان نوري باشا والى ولاية الحجاز وشيخ الحرم المحترم لازال فعله مبرورا وسعيه مشكورا وأقام في المطبعة المذكورة مديرا سويكي زاده السيد عبد الغني أفندي الدمشقي فصارت الناس تهرع اليها من جميع المواضع لطبع كتب العلوم فيها ويطبع فيها باللسان العربي والتركي والجاوي ففاقت بذلك جميع المطابع فنسأل الله تعالى أن يديم هذه السلطنة السنية ويوفقها لكل خصلة مرضية ويزيدها توفيقا على ممر الزمان حتى تكون أهل هذه الملة بهذه الدولة في أعلى مقامات الاستقامة والاحسان ويتحقق بها ما تقدم عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من قوله لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها ونسأل الله للجميع التوفيق والاعانة والاخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان التمام للفتوحات الاسلامية يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر محرم الحرام سنة ثلاث بعد الثلاثمائة والالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم آمين

بحمد رب البرية تم طبع الفتوحات الاسلامية بمطبعة السعادة الزاهرة البهية في أواخر آخر الربيعين من عام ١٣٣٠ من هجرة سيد العالمين صلى الله وسلم عليه وآله وكل منتم اليه

﴿ فهرست الجزء الثاني من الفتوحات الاسلامية ﴾

صحيفة

صحيفة